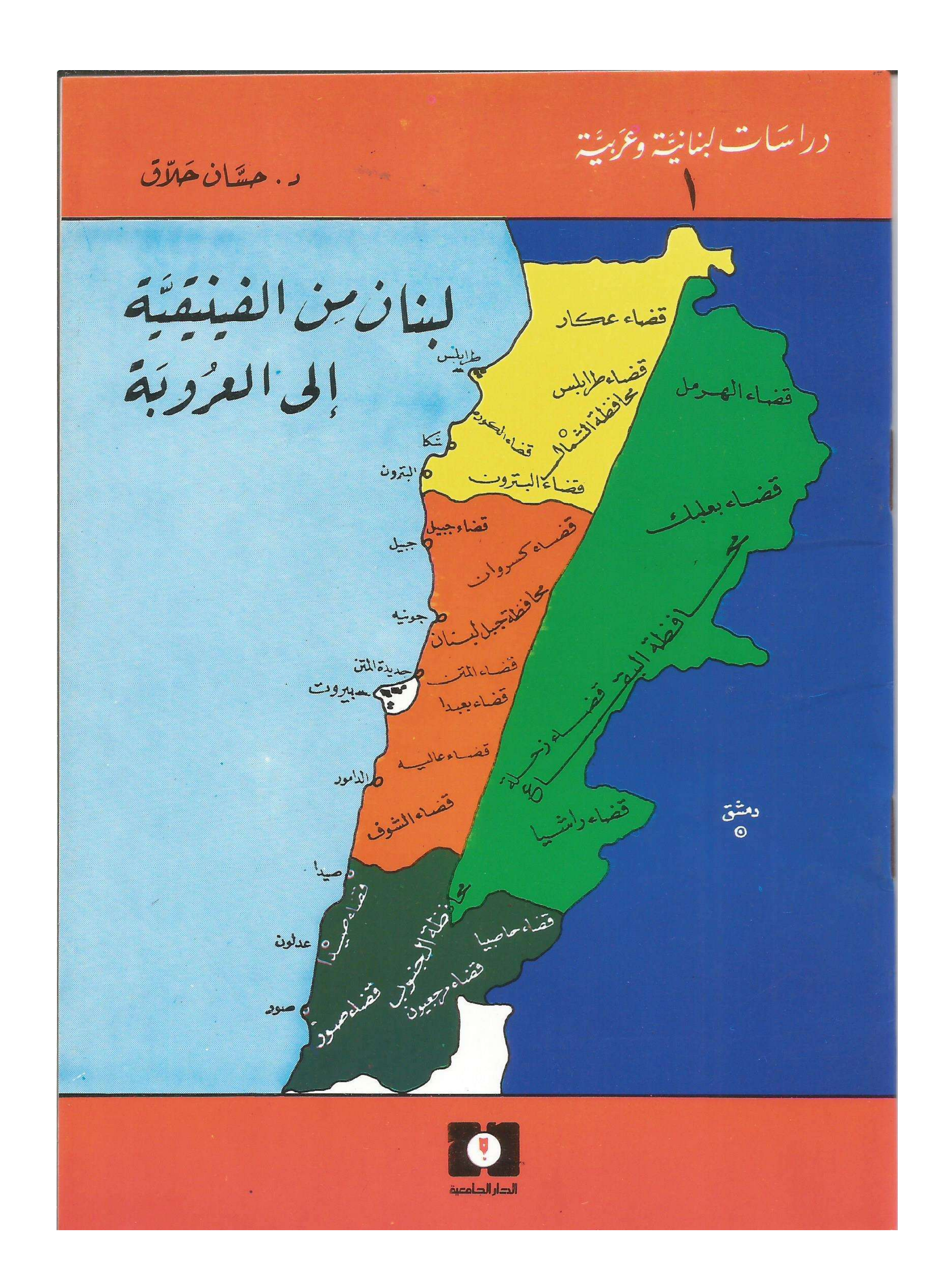
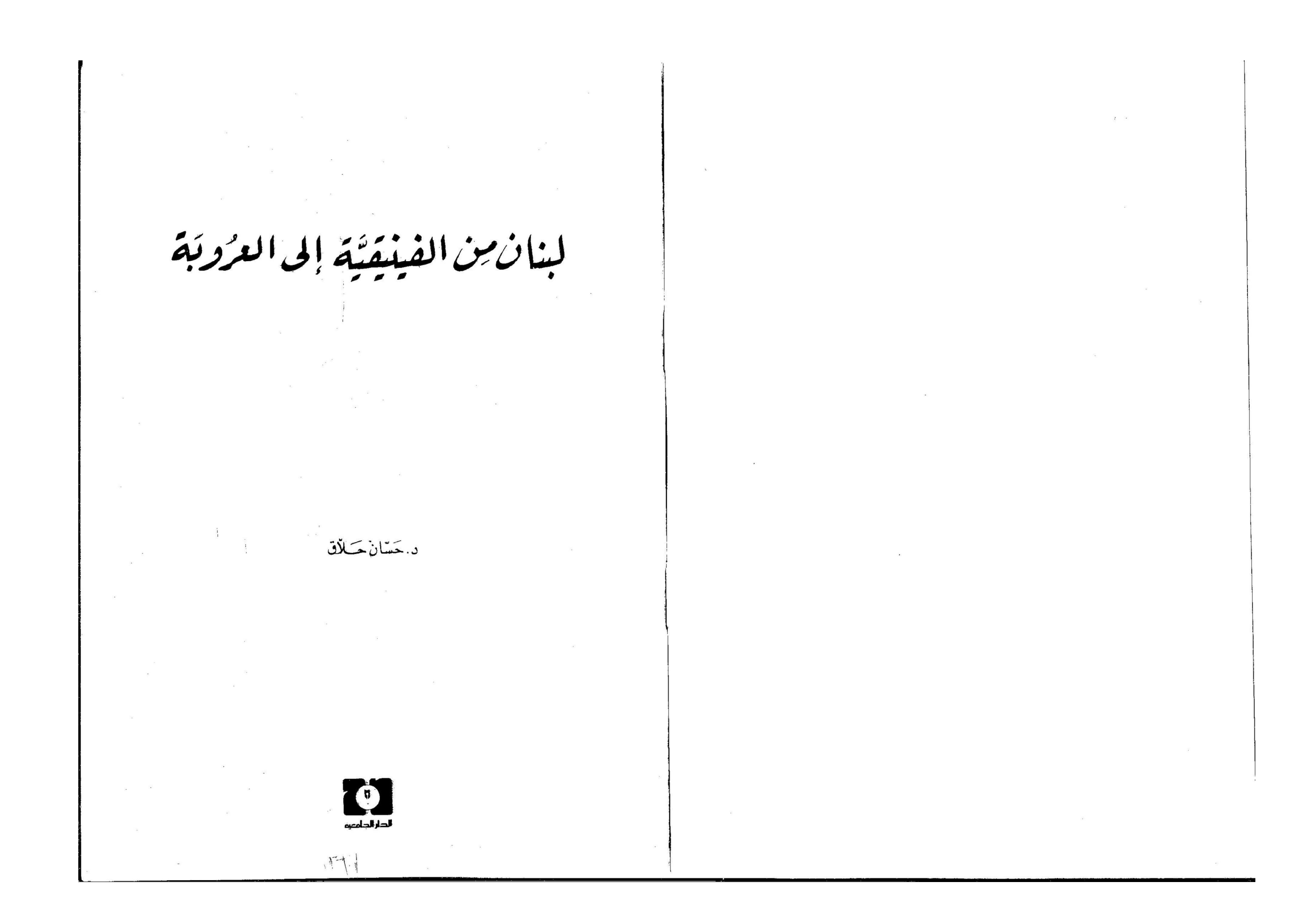

دراسات لبنانية وعربية
١
د. حسّان حلاّق
لبنان من الفينيقيّة
الى العروبة
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الهرمل
قضاء الكورة
شكا
البترون
قضاء البترون
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
محافظة جبل لبنان
جونيه
جديدة المتن
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
محافظة البقاع
قضاء زحلة
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
قضاء صيدا
عدلون
محافظة الجنوب
قضاء حاصبيا
قضاء مرجعيون
صور
قضاء صور
الدار الجامعية



# لبنان من الفينيقيّة إلى العروبة

د. حسّان حلّاق

الدار الجامعية

# لبنان من الفينيقية إلى العروبة

ان دراسة تاريخ لبنان الحديث والمعاصر ، وما نشأ عن أحداثه من مشاكل وعقد تاريخية وطائفية ، دعت كل فريق لبناني لان يؤرخ للبنان حسب منظوره الطائفي والاقليمي والسياسي . وأصبح كل فريق يدعي لنفسه أنه مؤسس لبنان وأساس كيانه . وأنه حفيد الفينيقيين الاوائل ، يوم لم تكن هناك دراسات علمية تثبت بأن الفينيقيين عرباً . وما أن انتشرت الدراسات التاريخية والحفريات الاثرية ، وتبيّن بأن الفينيقيين عرب، حتى راح ذاك الفريق يبتعد عن « الفينيقية » واتخذ لنفسه لقباً جديداً هو « سلالة شعوب البحر المتوسط » . وكان البعض من اللبنانيين يحاربون الاتجاهات العثمانية والتركية ، ورأوا أن لا حل إلا بالعروبة لتكون « المنقذ » للبنانيين والعرب . وكانت المساعي في القرن التاسع عشر إلى عام ١٩١٨ ، فكانت نهاية العثمانية والتركية . والامر اللافت للنظر ، أن هذا « البعض » نفسه الذي كان داعية للعروبة ، سرعان ما تخلى عنها وعمل ضدها منذ مجيء الفرنسيين إلى

بلاد الشام واحتلالهم لها ، وبالتالي لم تكن هناك « ثوابت » لدى بعض اللبنانيين ، إنما هناك « متغيرات » وفق المصالح والاهداف المتغيرة . ووفق مبدأ ميكافيلي القائل : « أن السياسة والاخلاق تسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان » . غير أن هذا المبدأ لا يمكن أن يؤسس دولة لشعب حر ، عادل ، ديمقراطي ، وعامل .

وفي ضوء ذلك فاننا سنحاول دراسة بعض الجوانب التاريخية في «فينيقية لبنان وعروبته » معتمدين على المصادر العلمية الاساسية ، فقد رأى علماء الهجرات والشعوب والسلالات القديمة بأن الهجرات من شبه الجزيرة العربية كانت على النحو التالي :

١ ـ الاكاديون ، وقد استقروا في وادي الرافدين في الالف الرابع ق . م .

٢ ـ الكنعانيون والفينيقيون والاموريون ، وقد استقروا في المناطق السورية ووادي الرافدين خلال الالفين الثالث والثاني ق . م .

٣ ـ الاراميون ( السريان ) وقد استقروا في كل مناطق الهلال الخصيب . والعبرانيون الذين استقروا في المنطقة السورية في النصف الثاني من الالف الثاني ق . م .

٤ ـ الانباط وبعض القبائل العربية الجاهلية ، وقد استقروا في منطقة الهلال الخصيب بين القرن الثاني ق . م . والقرن السادس الميلادي .



٥ ـ العرب المسلمون ، وقد استقروا في منطقة الهلال الخصيب ومصر وبقية شمالي أفريقية منذ القرن السابع الميلادي .

ويرى العلماء ، بأن هذه الموجات انطلقت من شبه الجزيرة العربية نتيجة للجفاف الذي حل بها ، بعد أن كانت مناطق خضراء مزدحمة بالسكان . وقد عثر هؤلاء على قواقع متحجرة أو جافة لا تعيش عادة إلا في المياه العذبة ، كما عثروا على بقايا عظام وأدوات حجرية تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، مما يشير إلى وجود المياه والحياة في هذه المناطق الصحراوية في الماضي السحيق، ومن بينها عدد من الوديان الجافة في الوقت الحاضر مثال : وادي الدواسر ، ووادي الرمة ، ووادي السرحان .

ثم أن الكتّاب الكلاسيكيين ( اليونان والرومان٥٠٠ ق . م ـ ٥٠٠ م ) والكتّاب العرب ، أوردوا أسماء عدد من الحيوانات والاشجار التي كانت معروفة في شبه الجزيرة ، ولكنها قلتّ أو اندثرت في الوقت الحاضر ، وهو أمر يدعم نظرية استمرار الجفاف . ومن ثم زحف الاقفار على المنطقة حتى في العصور التاريخية .

ولقد حدد علماء آخرون المكان الذي انطلقت منه هذه الهجرات من شبه الجزيرة العربية ، فرأوا أنها وسط شبه الجزيرة وخاصة منطقة نجد ، لانها هي المنطقة التي تمثل الصفات الاساسية التي تجمع بين الشعوب السامية . ويرى

البعض الاخر بأن اليمن كانت نقطة انطلاق لهجرات سامية أيضاً ، ويعتمدون في ذلك على أن الخط المسند الذي عرف في اليمن هو الذي اشتقت منه سائر الخطوط التي كتبت بها الشعوب السامية الاخرى ومنها الخط الفينيقي . أما بعض الباحثين ، فرأى أن موطن الهجرات السامية هي منطقة البحرين في شرقي الجزيرة العربية . وقد أقام هؤلاء رأيهم على بعض الدراسات التي تثبت أن الفينيقيين قد هاجروا إلى الساحل الفينيقي من هذه المنطقة . علماً أن هناك علاقة وطيدة بين البحرين والفينيقيين ، اعتماداً على النص والاستنتاج . أما النص فهو للمؤرخ الرحالة الجغرافي سترابون ( Strabo ) الذي كتب في أواخر القرن الاول ق . م . وأوائل القرن الاول الميلادي ، وفيه يتحدث عن الخليج الذي تطل عليه منطقة البحرين فيشير فيه إلى جزيرتين هما : أرادوس ( Arados ) وصور ( Tyros ) ويشير بأن في هاتين الجزيرتين معابد تشبه معابد الفينيقيين . وأن أهل الجزيرتين يؤكدون أن جزيرتي ارواد وصور في فينقيا هي مستوطنات بحرانية تابعة لهم . أما الاستنتاج فهو أن الفينيقيين حين ظهروا لاول مرة على الساحل السوري ، ظهروا كملاحين مهرة ، وقد اختاروا المناطق الساحلية ، ولم يسكنوا المناطق الجبلية ، لان موطنهم الاصلي على الساحل ، وقد مارسوا فيه شؤون الملاحة ، التي تطورت لديهم أكثر من ذي قبل بعد وصولهم وتجاربهم في الساحل الفينيقي . وفي ضوء النص الذي أورده استرابون تبرز منطقة البحرين كموطن أصلي



محتمل هاجر منه الفينيقيون إلى الشاطىء السوري . خاصة وأن « نيارخوس » أمير البحر عند الاسكندر المقدوني ، زار مدينة تسمى صيدا تقع على شاطىء الجزيرة العربية الشرقي .

ويرى د . فيليب حتي ، بأن الموجة التي أتت بالشعب الاموري من الصحراء العربية إلى الهلال الخصيب هي الموجة ذاتها التي أتت بالشعب الكنعاني الفينيقي . ورجح بأنه دخل فينيقيا قبائل بدوية مع ماشيتها وقطعانها عن طريق سهل البقاع وشمالي سورية . واسم البقاع في النقوش المصرية أمورو ( Amurru ) . وهذه التسمية « أموريون » أطلقها عليهم جيرانهم إلى الشرق ، أي السومريون . والاموريون العرب هم الذين أسسوا ملكاً عظيماً في وادي دجلة والفرات ، كان من ملوكه العظام حمورابي ( المتوفى حوالي عام ١٧٠٠ ق . م . ) أول مشرّع في التاريخ . وقد تكون اللاحقة في « ان » التي تظهر في اسم « لبنان » و« عقلان » و« ون » التي تظهر في اسم « صيدون » لاحقة أمورية . وليس هناك من فروق عرقية أساسية بين الشعب الكنعاني الفينيقي وبين الاموريين .

ويمكن القول بأن شبه الجزيرة العربية بما كانت تزخر من تضخم سكاني ، يمكن اعتبارها الموطن الاساسي لكل الشعوب السامية التي توطنت في الهلال الخصيب أو البلاد السورية . فالبابليون والاكاديون والاشوريون والكلدانيون والاموريون والكنعانيون والفينيقيون والعبريون ، هي شعوب تربطها أواصر قربى شديدة ، ولغاتها ذات أصول وجذور واحدة .

ولقد استعمل المصري القديم كلمة « فنخو » منذ عهد الدولة القديمة للدلالة على شعب من سكان الاقليم السوري . كذلك ورد اسم الفينيقيين ( Phoivikes ) كشعب ، واسم فينيقيا ( Phoivikn ) كبلاد أو منطقة في كتابات اليونان منذ أيام هومير أو قبل ذلك ، حيث استعمل لفظ فينكس ( Phœnix ) كدلالة جنسية ، وان كان أصلا يعني اللون الاحمر القاتم أو الارجوان ( Phoinos ) او ( Phoiviex ) المستخرج من صدف الموريكس الموجود على الشواطىء الفينيقية . كما تعني « فونكس » ( Phoinix ) باليونانية « النخلة » . ولقد عثر على نقود فينيقية تحمل رسماً للنخلة ، قد يكون هذا الرسم من مؤشرات النخل والبيئة في شبه الجزيرة العربية .

ويؤكد « كونتنو » ( G . Contenau ) انه من المسلم به منذ العصور القديمة ان الفينيقيين ليسوا أهل فينيقيا الاصليين . وأنهم نزحوا مهاجرين إلى البلاد التي نزلوها . ويردد العهد القديم ( الفصل العاشر ، سفر التكوين ) هذه الرواية ويؤكدها . وورد في ذلك الفصل قائمة نسب للشعوب المختلفة المعروفة في تلك الفترة ، مبتدئاً بأولاد نوح الثلاثة : سام وحام ويافث ، وهم أيضاً أسماء لثلاثة شعوب كبيرة هم : الساميون ، الحاميون ، واليافيثون واسم صيدا الوارد في قائمة العهد القديم يمثل فينيقية كلها في شخص رجل واحد ، وهو الولد البكر من أبناء كنعان ( Canaan ) وكنعان من أبناء سام . فالفينيقي يدخل في مجموعة الكنعانيين ، واللغة الكنعانية



بحسب خواصها هي من ضمن المجموعة السامية . وقد أشارت رسائل تل العمارنة إلى بلادهم باسم « كيناهو » ( Kinahnu ) او ( Kinahhu ) .

ويرى هيرودوت وجوستان وماسبرو ، بأن الفينيقيين عرب ، وأن الامة السورية مكونة من الفينيقيين . وأن الشاطىء الفينيقي كان غير آهل بسكان كثيرين . بينما كانت هجرة الفينيقيين بنسبة كثيفة جداً بحيث غطت على السكان البدائيين . ولما زار هيرودوت فينيقية حوالي عام ( ٤٥٠ ق . م ) أكد له الناس بأن صور أسست قبل زيارته بحوالي ٢٣٠٠ سنة ، ومعنى ذلك أن عام ٢٧٥٠ ق . م . هو عام تأسيس مدينة صور ، وهو تاريخ راجح يتفق مع ما اكتشف من آثار بيبلوس .

هذا ، وأن مقابر بيبلوس ( جبيل ) في الالف الثاني ق . م . تؤكد أهمية العنصر السامي بالبلاد ، فان الملك « أبشيموابي » ( Ypshemuabi ) ملك بيبلوس ملك سامي باصله واسمه . وفي منتصف الالف الثاني تشير مراسلات تل العمارنة السابقة الذكر إلى الساميين النازلين في كل البقاع الفينيقية . كما أن قبر أحيرام الملك السامي ( بعد حوالي قرنين ) وجد على قبره شاهداً مكتوباً باللغة السامية الفينيقية . وفي الواقع فانه يوجد سلسلة من الوقائع العلمية تتيح للدارس تتبع وجود العنصر السامي في فينيقية إلى بدء العصر التاريخي ، مما أكد بأن الحضارة الفينيقية حضارة عربية بأصولها ، سامية بمنابعها ، آسيوية بملامحها . ولهذا نرى أن الكثير من الالفاظ والعادات والتقاليد وأسماء الايام والاشهر

والأعياد والمدن في فينيقيا متشابهة ومتقاربة مع ما كان موجوداً في الجزيرة العربية وبقية البلدان التي هاجر إليها الساميون في المنطقة، ولا يزال إلى اليوم في شبه الجزيرة بعض المدن التي تحمل اسماء مدن فينيقية مثل: صيدا وصور وجبيل وسواها. ويعتبر مرفأ جبيل في المملكة العربية السعودية من أهم المرافى السعودية.

أما فيما يختص بلغة الفينيقيين ، فهي في الواقع ، كانت نتيجة تطور لغوي قديم ، فقد تأثرت الفينيقية باللغة السينائية القديمة ( نسبة إلى سيناء ) وباللغة العربية الجنوبية ، وبالهيراطيقية وهي الهيروغليفية المبسطة . علماً أنه وجد في بلاد العرب شاهد قبر « ميزا » وعليه كتابات بلغة مؤاب وهي لغة عربية من الفينيقية . ويرى د . أنيس فريحة خلافاً لاراء الفكر اللبناني والفينيقي التقليدي ، بأن فينيقيا كانت تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى العرق الارامي . وبرأيه أن هؤلاء هم سكان لبنان الاصليون ، وكانت لغتهم الارامية . وأن السكان اللبنانيين فيما بعد تكلموا اللغة العربية بتركيب سرياني ومفردات عربية . وأضاف قوله ، بأن الاغريق والرومان حاولوا ما بوسعهم أن ينزعوا عن الشعب اللبناني الصبغة السامية فلم يفلحوا . وهذا تأكيد على أن الشعب الفينيقي ( اللبناني ) كانت جذوره وأصوله سامية عربية ، بما في ذلك الاراميين السريان . وأضاف د . فريحة قائلاً : « لا ينحصر الاثر السامي في اللغة ، بل يتعداها إلى العقلية كما تبدو لنا في فولكلوره وعاداته ، ومآكله ومشاربه وملابسه ، وتتمثل الذهنية السامية



أيضاً في بعض المثل الصحراوية ، في الفروسية والكرم والولاء القبلي » . وبالرغم من تأكيد د . فريحة من أن الاراميين هم السكان الاصليين للبنان ، غير أنه من الثابت أيضاً ، بأن الاراميين هم من جملة الشعوب السامية التي نزحت قبل سواها من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل السوري .

أما فيما يختص باسم لبنان فيرى الاب مرتين اليسوعي ، بأنه أطلق على اسم فينيقيا أيضاً اسم لبنان ، وأن البعض يرى أنه سمي كذلك لكثرة الثلوج البيضاء على غرار جبل « بلان » ( Blanc ) . كما أن اليونانيين الذين أطلقوا اسم فينيقيا على المنطقة ، هم أنفسهم أطلقوا على جباله « انتي ليبان » ( Anti — Liban ) بينما أطلق عليه العبريون ( العبرانيون ) اسم « لبنون » و« هلبنن» وهو مشتق من فعل « لبن » أي أبيض . بينما رأى البعض الاخر بان اسم لبنان اسم سامي مشتق من اسم شجرة عطرية مشهورة عند الساميين بشجيرة اللبان ( البخور ) . ويرى د . كمال الصليبي وسواه من المؤرخين بأن عبارة « لبنان » لم تستخدم استخداماً رسمياً محدد المضمون ، إلا بعد انشاء المتصرفية اللبنانية . بل أن أمراء الجبل ، عرفوا بأمراء الدروز وليس بأمراء لبنان .

من جهة ثانية ، فان «روبنسن» ( Robinson ) في كتابه « تاريخ اسرائيل » يذكر بأن العرب جاؤوا إلى بلاد الشام قبل ثلاثة آلاف سنة من ولادة السيد المسيح ، وذلك على موجات متتابعة ، فكانوا في داخلها يعرفون بالاموريين ( العموريين )

وفي ساحلها بالكنعانيين الفينيقيين . وقد أكدت التنقيبات الاثرية صحة ما رواه « روبنسن » ، كما اكدتها الكتابات العربية الاثرية التي وجدتها في الستينات بعثة جامعة متشيغن الاميركية على جدران خزان للمياه بالقرب من عمان وهي تعود إلى القرن الخامس ق . م . وقد ورد ذكر العرب باسمهم الصريح في رقيم اصدره الملك الاشوري شلمناصر بمناسبة حملته على دمشق عام ٨٥٤ ق . م . كما ورد اسمهم في تاريخ الاسكندر المقدوني الذي جاء فيه : « اثناء ما كان الاسكندر يحاصر صور في سنة ٣٢٨ ق . م . رغب في الترفيه عن نفسه بالصيد . ولما توغل في طلبه وجد نفسه بين قوم من العرب » . ثم ان التوراة اتت كثيراً على ذكر العرب بالشام خلال القرنين السابقين للسيد المسيح ، خصوصاً في الاصحاح ١١ و١٢ ، العدد ١٣ و٢٠ ، وارامیا الاصحاح ٣ والاصحاح ٢٥ وكذلك في سفر ايوب . كما ان تاريخ المسيحية يشير إلى وجود العرب في فلسطين في عهد السيد المسيح عليه السلام . وقد اشار إلى ذلك الاب يوسف قوشاقجي ، حيث روى ان العرب كانوا بين الحاضرين في اورشليم يوم نزل الروح القدس على الرسل ، وان الرسولين العظيمين بطرس وبولس تكلما باللغة العربية ، اعتماداً على ما جاء في الفصل الاول من سفر أعمال الرسل .

ثم ان التاريخ حفل بذكر دول للعرب اسست في فينيقيا وخارجها كالانباط في البتراء ( الاردن ) وتدمر بسوريا عام ١٠٦



ق . م . ومملكة الايطوريين العرب في لبنان في القرن الثاني ق . م . وفي نهاية القرن الاول الميلادي . وكانت عاصمتهم عنجر في البقاع ، وذكر الاب هنري لامنس، بأنه عندما زحف بومبيوس على لبنان وجده في قبضة احد الايطوريين . وأضاف بأن كل الاعلام الايطورية الواردة في الكتابات القديمة اما عربية واما آرامية من أصل سامي عربي . ومن القبائل العربية القديمة التي وطأت جنوب لبنان هي قبيلة بني عاملة ، وبذلك يقول « ديمونبيين ( Demonbgne ) في كتابه :

« بأن بني عاملة سلالة سبأ العربي هم اليمنيون الذين أتوا عقب انهيار سد مأرب وسكنوا جبلاً دعي باسمهم» أي جبل عامل . ثم ان العرب بالمعنى التاريخي الشائع اليوم وجدوا في لبنان قبل الاسلام ، بدليل ما كتبه أبو عبيدة بن الجراح إلى أهل بعلبك حيث خاطبهم بالقول : إلى أهل بعلبك رومها وفرسها وعربها .

ولابد من الاشارة إلى ان الجذور والاصول العربية لا تزال تظهر واضحة في اللهجة العامية اللبنانية سواء لدى أهل الجبل او أهل الساحل او الداخل . أقول الاصول العربية وليس السريانية . والمسيحيون انفسهم ينهجون نهج العرب في الكثير من كلماتهم الواضحة والمميزة عن المسلمين لا سيما الكلمات التي تنتهي بتاء مربوطة ( ة ) فيلفظونها تاء مفتوحة ( ت ) . وهذه لهجة عربية اصيلة من شبه الجزيرة العربية كقولهم ( بقرت ) ( سياست ) ( حكمت ) ( لهجت ) . وقد

عرف عن العرب في الجزيرة من يقول : يا أهل سورت البقرت ( سورة البقرة ) وللشاعر العربي أبي النجم بيت من الشعر يقول فيه :

صار نفوس القوم عند الغلصمت

وكادت الحرة ان تدعى أمت

وفي الجبل اللبناني المسيحي والدرزي معاً تلفظ ( القاف ) واضحة في : قال ، قلنا ، قوي ، دون تمييز بينهما . كما أن بني تميم كانوا يبدلون السين صاداً ، مثال ( عالسور ) فنقولها ( عالصور ) ، و (المسيطبة) فتلفظ (المصيطبة ) و( السمطية ) فتلفظ ( الصمطية ) ، وكقول ابن الجبل ايضاً ( راص ) بدلاً من ( رأس ) ، واحياناً يحول ( الذال ) إلى سين كقوله ( اس كان ) بدلاً من ( اذا كان ) ويحولها إلى ( دال ) كقوله ( دهب ) بدلا من ( ذهب ) . ولغة بني تميم تظهر في لهجة اللبناني الذي يقول ( لاء ) بدلاً من (لا ) وتظهر لهجة أهل الحجاز في جنوب لبنان بقولهم ( مننا ) بدلاً من ( منا ) كما تظهر لهجة اهل نجد في الجنوب ايضاً في مثل ( باب وكتاب ) فيقولون ( بيب وكتيب ) ، وتظهر لهجة بكر بن وائل في كسروان وبعض مناطق لبنان في مثل الكلمات المضخمة ( ضهر ) بدلاً من ( ظهر ) ( وعباية ) بدلاً من ( عباءة ) . اما اهل الشمال المسلمين والمسيحيين واهل اقليم الخروب ، فتظهر فيهم لهجة قبيلة طيء كقولهم : ( افعو ) بدلاً من ( افعى ) .



والعرب اعتمدوا هذا الاسلوب في اللهجة حتى ظهر واضحاً في اسماء بعض العائلات اللبنانية ، فآل سنو مثلاً هم في الاصل آل سنه ، وكنيعو هم في الاصل كنيعه ، واستخدمت مشاقه ومشاقو معاً وبري وبرو وهكذا . . . والحقيقة فان ما من منطقة في لبنان إلا وتظهر فيها آثار اللهجات العربية سواء في المناطق الاسلامية او المسيحية على السواء .

ولا بد من الاشارة إلى مسألة غير علمية وغير منطقية يثيرها بعض اللبنانيين وفق خلفيات سياسية وطائفية بالقول : ان المسلمين وبعض المسيحيين كالارثوذكس مثلاً ليسوا من أصل لبناني ، إنما هم من العرب او من الجزيرة العربية او من المغرب وان بعض الطوائف هي الاصيلة وهي اللبنانية .

ويمكن الاجابة على هذا الطرح غير العلمي وغير المنطقي بما يلي :

أولاً: لقد ثبت علمياً واثرياً وتاريخياً بأن الفينيقيين السكان الاوائل للبنان هم من العرب الاقحاح ، اضافة إلى ان الاراميين (السريان) هم من العرب الذين هاجروا أيضاً من الجزيرة العربية . وتوالي الهجرات العربية على لبنان سواء بعد الفتح العربي او في العهد العثماني ، إنما كانت هجرات من بلاد عربية إلى بلد عربي كنعاني فينيقي . ثم ان الحدود الجغرافية لم يعمل بها في البلدان العربية ، ولم توضع هذه الحدود إلا في عام ١٩١٨ - ١٩٢٠ بواسطة الفرنسيين والانجليز . وكانت الارض العربية واحدة ،

والسكان فيها لهم حرية الانتقال والعيش والاقامة والعمل . وكانت مثلاً ولاية بيروت الجنوبية تمتد إلى نابلس وولاية بيروت الشمالية تمتد إلى اللاذقية. وكان هذا التداخل موجوداً في كل الولايات العربية.

ثانياً : ان نظرية السكان الاصليين والجنس والعرق النقي والاصيل هي نظرية خاطئة من الوجهة العلمية والعملية ، وثبت بطلانها منذ ان حاول هتلر في هذا القرن ان يطبقها ، على اعتبار ان العرق الجرماني هو انقى وارقى العروق . علماً ان اية منطقة من العالم عبر العصور لم يكن لها ان تتطور ، لو انها بقيت منعزلة ومنكمشة عن التيارات العالمية بما فيها الهجرات . ولنأخذ مثلاً واضحاً عن اكبر واقوى دولة في العالم اليوم ، وهي الولايات المتحدة الاميركية : ماذا يمكن ان نتصور مستقبل هذه الدولة لو استمر فيها الهنود الحمر فحسب ؟ هل كانت اصبحت من اقوى دول العالم اليوم ؟ ام انها بقيت في اطار حضارة المایاس والازتيك ؟

وماذا نقول للسكان المهاجرين إلى اميركا منذ اكتشافها في العام ١٤٩٢ م . ماذا نقول للبريطاني والفرنسي والافريقي والبولندي والروسي والتشيكي والايطالي واستطراداً للبناني الذي يعطى الجنسية الاميركية بعد خمس سنوات من اقامته او بعد خمس ثوان من ولادته في اميركا ؟ ماذا نقول لهؤلاء الذين طوروا اميركا وهم الاساس في الكيان الاميركي . انقول لهم ارحلوا عن اميركا فأنتم لستم اميركيون ، فأميركا هي للهنود الحمر ! .



ثالثاً : ان قضية السكان سواء في لبنان او في بعض بلدان العالم ، هي كقضية اللغة ، فالجنس واللغة صنوان ، فكما ان اللغة اية لغة في العالم ، فيها الكثير من الالفاظ والتعابير الداخلة إليها بحيث اصبحت من اسس اللغة ، فاللغة العربية مثلاً دخلت عليها ألفاظ يونانية ورومانية وتركية وفارسية وفرنسية وانجليزية ، كما ان اللغات الاجنبية دخلت عليها الكثير من الالفاظ العربية ، واصبحت من أسس تلك اللغات . ثم ان اللهجة اللبنانية العربية فيها الكثير من الالفاظ غير اللبنانية وغير العربية . فهل يمكن التخلي عن هذه الالفاظ وعائلات عديدة تحمل هذه الالقاب والاوصاف ؟ .

ولا بد من الاشارة أيضاً بأن الكثير من العائلات اللبنانية الوثنية والمسيحية القاطنة في لبنان منذ ما قبل الفتح العربي بكثير ، قد اعتنقت الاسلام بعد دخول المسلمين إلى بلاد الشام ، وهي بذلك ليست من العائلات الطارئة على لبنان . اما الروم الارثوذكس، الغساسنة العرب ، فانهم مثل سواهم في البلاد السورية وكانت لهم دولة فيها .

رابعاً : ان الكثير من العائلات المسيحية هي غير لبنانية ايضاً ، بل لم تكن يوماً من الايام فينيقية او آرامية ، فآل طربيهالموارنة مثلاً - كما يقول النقيب بردليان طربيه - هم من القبائل التي تنحدر من بلاد القوقاز ، وقد استقدمهم السلاطين الشراكسة من تلك البلاد إلى مصر إلى بلدة طرا ، ومنها انتقلوا

في ما بعد إلى لبنان . وهناك عائلات لبنانية مشهورة هي من الجاليات البيزنطية التي آثرت البقاء في بلاد الشام بعد انتصار المسلمين . ومن بين هذه العائلات الرومية المعروفة من ألقابها واوصافها: بسترس، سرسق، بالاضافة إلى آل باخوس وآل رومانوس وآل جرمانوس (من الجيوش الجرمانية التي بقيت بعد الحروب الصليبية) ودموس (تعبير يوناني يعني الضريبة) وشلهوب ( يعني الرياح الحارة ) وفرشخ ( وتعني مشى بعيداً ) وقرداحي ( وتعني الحداد ) وفرام ( كلمة ايطالية « Fremo » وتعني جهاز لايقاف المركبة ) وهذا ما يؤكده الاب رفائيل نخلة اليسوعي . علماً ان هناك عائلات مسيحية مارونية من اصل عربي بل من الاقحاح امثال آل الدحداح والخازن وأبي اللمع وشهاب والكثير مما لا يحصى عددهم . ولا يعني بأن تلك العائلات المسيحية التي كانت طارئة على لبنان ليست لبنانية ، بل هي كسواها من اللبنانيين تماماً ، وليست هي بالتالي بحاجة إلى شهادة من أحد .

خامساً : يؤكد الدكتور فيليب حتي وسواه بأن الموارنة الاوائل ليسوا من لبنان ، بل هم كانوا يعيشون بين انطاكية وقورش ، مع قديسهم مارون الذي عاش اواخر القرن الرابع ومات حوالي عام ٤١٠ . وكان يستخدم اللغة السريانية في الكنيسة . ثم ان مريديه نزحوا بعد موته بقليل إلى مكان قريب من أفامية ( Apamea ) على نهر العاصي ، بسبب خلافات عقائدية بين المسيحيين انفسهم . وفي عام ٥١٧ قتل اليعاقبة



المسيحيين ما يقارب ٣٥٠ راهباً مارونياً ، مما أدى إلى مزيد من النزوح والهجرة المارونية ، حتى انه في عام ٦٥٩ احتكم اليعاقبة والموارنة إلى معاوية بن ابي سفيان لفض الصراع بينهما . أما يوحنا مارون الذي اعتبر البطريرك الاول للموارنة فهو من مواليد سروم قرب انطاكية ومن تلاميذ دير مارون في وادي العاصي . ويذكر المسعودي وابن العبري وابن بطريق بأن الموارنة كانوا منتشرين في عام ٩٥٠ م . في نواحي حمص وحماه ومعرة النعمان ولبنان وشيزر ومنبج وقنسرين . ويذكر الاب هنري لامنس اليسوعي في « تسريح الابصار » بأن الموارنة في القرن السابع الميلادي كانوا عبارة عن مجموعة زمر آرامية لم يمسها العنصر اليوناني وتمدنه . . . وكان دخول الموارنة إلى لبنان في القسم الثاني من القرن السابع ، هاجروا إلى الجبل من وادي العاصي . . . وان مبادىء تاريخ الموارنة الديني تشير صريحاً إلى كون هذه الطائفة كانت اولاً خارجاً عن لبنان . . . ثم تراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمن لم نسمع لها بذكر لبنان . . . » ويؤكد الاب لامنس بأن الموارنة انفسهم خليط من شعوب وعناصر ومن مناطق شتى لا يجمعها جامع ، ثم وعبر القرون اتحدت وكونت بوتقة واحدة ( جـ ٢ ، ص ٥٤ ) .

في الواقع اننا لا نريد الاستطالة والافاضة والاستطراد في هذا الموضوع ، لان قضية الاصل النقي والشعب الخالص والامة المختارة ، كلها نظريات لا صحة لها في مختلف بلدان

العـالم . وان قضية اللبنـاني الاصيـل منـذ سبعـة آلاف سنـة والطارىء منذ ألف سنة او خمسمائـة سنة ، قضيـة من العيب طرحها من قبل البعض ، لانها تشكل انتقاصاً فاضحاً للبنانيين لا سيما الذين يدعون الثقـافة والعلم . فـالمعلوم ان التركيبـة السكانية اللبنانية اختلطت ببعضها عبر آلاف السنين كـاختلاط اللغات والرمال ببعضها البعض ، وقد تبلورت هذه التركيبة ـ التي لا يمكن فرزها مطلقاً ـ في احصاء عام ١٩٣٢ ـ وهو آخر احصاء سكاني في لبنان ـ وبالرغم من ذلك فاننا جميعـاً نعلم انـه اعطي بعـد هذا الاحصـاء للكثير الجنسيـة اللبنـانيـة لمن يستحق ولمن لا يستحق ولا سباب طائفية وسياسية .

والحقيقة فانني في هذا المجال لا اريد الخوض في موقف العروبة والاسلام من المسيحية او العـلاقة ين الـدولة العـربية والمسيحيين ، لان هذا الموضوع أفاض فيه المؤرخون والكتّاب لا سيما في الفترة الاخيرة في لبنان، وظهرت بعض الكتب في هذا الموضوع كما انني لا أريد التحدث عن مواقف الامام الاوزاعي المشهورة ازاء المسيحيين ، ولا عن مواقف سواه ، كما انني لا أريد الخوض في دور المسيحيين في اليقظة القومية وفي العمل من أجـل انجاح فكـرة القوميـة العربيـة . ولكن اود ان اشيـر باختصار إلى موقف البطريرك الماروني الياس الحويك من آخر حكم إسلامي عثماني تركي في لبنان والمنطقة العربية ، فقـد اوضح البطريرك عند تبلغه في عام ١٩١٨ نبأ وفاة السلطان عبد الحميد الثاني ( وكان مخلوعاً عن العرش ) فقال بوجوم وحزن



شديدين : « لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان الفقيد . ولا نعرف ماذا تخبىء لنا الايام بعد موته . رحمة الله عليه » . ( أوراق لبنـانية ، آب ـ اغسـطس ـ ١٩٥٦ ، جـ ٨ ، م٢ ، ص ٤٠٣ ) .

أما القول « بالتعددية الحضارية » التي كثر الحـديث عنها في السنوات الاخيرة ، فانه بدون ادنى شك ، فان القصد من اثـارتها وهـدف الذين اثـاروهـا ، انمـا يكمن في « التعـدديـة الدينية » وليس الحضارية . فمن المعروف ان الدين جـزء من الحضارة ، وليس كل الحضارة ومن المعروف ايضاً ان العرب مثلاً كان لهم حضـارة قبل اعتنـاقهم الاسلام ، وهكـذا بقية الشعـوب . والبعض في لبنان لم يعتبـر ان في لبنان « قـومية لبنانية » فحسب ، بل تطرف في القول إلى حد تمسكه بأن في لبنان « قوميـة مسيحية » و« قـومية إسـلامية » . ومن هنـا نشير لنؤكد بأن تلك الفئـات ،انطلقت من مفهـومها للتعـددية من منظار ديني بحت ، وليس من منظار قومي او حضاري . وفي هذا الاطار لابد من ذكر الامور التالية :

١ ـ ان الحضـارة الفينيقية السـامية العـربية ومنـذ حوالي خمسة آلاف سنة طبعت اللبنانيين بطابعها وتقاليـدها وعـاداتها ولغتهـا ، وكـان اللبنـانيـون يضيفـون إلى هـذه الحضـارة ، حضارات شعوب ومناطق اخرى احتكوا بها عبر وسائل عديدة ومتنـوعة . فكـانت الاضافـات الحضاريـة بمثـابـة مكتسبـات يكتسبها أي شعب من شعوب العـالم نتيجة التمـازج البشري

والحضـاري . وانه من المفيـد ان اكرر رأي د . أنيس فريحـة ( دراسات في التاريـخ ، ص ٩ ) بقولـه : « لا ينحصر الاثـر السامي ( في لبنان ) في اللغة ، بل يتعـداها إلى العقليـة كما تبدو لنا في فولكلوره وعاداته ومآكله ومشاربه وملابسه ، وتتمثل الـذهنية السـاميـة ايضـاً في بعض المثـل الصحـراويـة ، في الفروسية والكرم والولاء القبلي » ثم اكد ان هناك اثـراً سامياً قومياً في التاريخ اللبناني والذهنية اللبنانيـة . والحقيقة اذا مـا بحثنا في اللباس اللبناني التقليدي ، فهل عسانـا ان نميز بين قرية وقرية . واذا ما بحثنا في المآكل اللبنانية التقليدية المنتشرة من اقصى الجنوب إلى اقصى الشمال والبقاع وحتى في مدن السـاحل ، فهـل في ذلك تعـددية ؟ واذا بحثنـا في العـادات والتقاليد واللغة و . . . فماذا نرى ؟ هل نرى تعددية ؟ .

٢ ـ ان التعـدديـة التي تثـار في هـذه الايـام ، ليست في حقيقتهـا سـوى « تعـدديـة سيـاسيـة » بمعنى تعـدد المـواقف السياسية ، ولم تكن يـوماً من الايـام تعددية حضـاريـة . وان الذين « ألفوا » و« صاغوا » فكرة « التعدديـة الحضـاريـة » انما تأثروا بالفكر السياسي السائـد في لبنان منـذ العام ١٩٧٥ إلى الان ، ولنقل في فترة الاضطرابات السياسية . وهنـا لا بد لي من القول بأن زعماء لبنانييـن من طائفة واحدة تتعدد مواقفهم وتتبـاين آراءهم السياسيـة ، وان زعمـاء آخـرين من طـائفتين مختلفتيين تتـوحّد مـواقفهم وآراؤهم السيـاسيـة . فـالتعـدديـة الحضـارية تـوجد بين شعبين او شعـوب متعـددة او قـوميـات متعددة ، وفي لبنان لا يوجد إلا شعب لبناني واحد ، اختلفت آراؤه السياسية وتعددت أديانه .

٣ ـ ان أصحـاب المنهج التعـددي الحديث في لبنـان ، يريدون بمنهجهم تقسيم لبنان إلى دول دينية ، بل ومذهبيـة ، مستندين بآرائهم بأن لكل فئة عاداتها وحضارتها وتقاليدها . . . وفي هذا الصدد لا بد من التأكيد ، بأن التبـاين الشكلي وغير الاساسي موجـود حتى في اطار الاسـرة الواحـدة وبين الاخوة أنفسهم . وأؤكد أيضاً بأن الماروني في ديـر القمر يتبـاين في بعض تقـاليده وعـاداتـه ولهجتـه عن المـاروني في زغـرتـا أو كسروان أو جونية ، وهذه بدورها تتبـاين عن قرى مـارونية في الجنوب وفي البقاع وهكذا . وعلى هذا ، فمن الحري ان لا نتخذ من هذا التباين حتى في اطار أبنـاء المذهب الـواحد أو القرية الواحدة ، مبـرراً لآرائنا وافكـارنا المبنية على خلفيات سياسية طارئة وآنية .

٤ ـ لابـد لي في هذا المـوضـوع من الاعتمـاد على آراء بعض السيـاسيين والمفكرين المسيحيين من الجيـل السابق . فهـذه آراء ندره المـطران ( عضـو المؤتمـر العـربي الاول في باريس ) ذكرها في خطابه في حزيران ( يونيه ) ١٩١٣ ، ومما قاله : « ان سوريا ( يقصد البلاد السـورية كلهـا ) بعد الفتـح الاسلامي بمدة قليلة أصبحت عربية محضة بلسانها وعوائـدها وأخلاقها ، وذلـك بفضل اقتـدار العرب على استغـراق الامم المغزوة وتحويلها إلى لسانها وتقاليدها ، فضلاً عن ان دولـة

الغساسنة وهم يمانيو الاصل ، كانوا منذ أجيال قد أسسوا في حوران وجوارها دولة زاهرة ونشروا لغتهم وعوائدهم في أقسام واسعة من البلاد السورية . . . » ثم أشار إلى موقف الغساسنة ضد الروم المسيحيين وإلى جانب العرب المسلمين ، وأضاف : « لعمري في ما أبداه نصارى غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير ، لاعظم شاهد على ان العرب متحمسون بالجنس قبل الدين . . . وما زال هذا الولاء مستحكماً بين المسلم والمسيحي من عهد عمر بن الخطاب وما هو صحيح في مسلمي العرب صحيح في النصارى لان الدين لا ينفي المصلحة الشخصية ولا يقوم مقام العوائد والتقاليد واللسان والوطنية . . . » وتحدث في الاطار نفسه عن العروبة والقومية والجنس العربي كل من خليل صليبة واسكندر عمون ونعوم مكرزل وشارل دباس ( أول رئيس للجمهورية اللبنانية ) ١٩٢٦ ، وشكري غانم الذي خاطب المؤتمرين بالقول : « يا أبناء وطني ، أبناء تلك السلالة العربية المجيدة ، يا من فرقت الحكومات بينكم في الامس ، ومزقت وحدتكم ، ثم جمعت بينكم المصائب اليوم . . . . لقد أحسسنا اليوم لحسن حظنا بأننا مهددون بحياتنا وبما هو أعز منها الا وهو شرفنا ، والعربي حريص على ذلك الكنز » . هذه آراء سريعة مسيحية في القومية العربية ، يوم كانت هذه القومية اداة لانقاذ السوريين من الاتراك . سرعان ما تبدلت هذه الاراء يوم دخول الفرنسيين إلى لبنان .



ومن الاهمية بمكان الاشارة إلى ان العروبة ليست عيباً ولا جرثومة ولا نقيصة ، فالعروبة الاسلامية والمسيحية قامت بدور بارز على مر العصور ، بانارة ظلام اوروبا ، فأثر العلماء المسيحيين والمسلمين العرب على اوروبا واضح في شتى المجالات العلمية والفلسفية ، ونذكر على سبيل المثال بعض العلماء الذين برزوا في مختلف العلوم التي استفادت منها اوروبا ومن هؤلاء . حنّا الاشبيلي ، ابراهيم بن عزرا ، الفارابي ، ابن سينا ، ابن رشد ، ابن ميمون ، ثابت من قره ، والرازي والبيروني ، وجابر بن حيان ، وثابت النصراني ( الذي ذكره اسامة بن منقذ ) والطبيب النصراني جورجيوس بن بختيشوع عميد الاطباء في جند يسابور ، ومن الاطباء العرب النصارى : يوحنا بن مأسويه ، وحنين بن اسحاق ، وابناء جورجيوس ، وآخرون مما لا يمكن حصرهم في هذا المجال . وفي الوقت الذي كان فيه العالم العربي ينعم بالتقدم والرقي ، كانت اوروبا غافلة عن الحضارة والعلوم التي تلقفتها في ما بعد على أيدي العرب ، والمؤلفات الغربية تطيل الحديث عن هذا الموضوع أكثر من المؤلفات العربية .

وأخيراً لا بد من التساؤل : لماذا استمر لبنان عربياً ، ولم يستمر يونانياً أو رومانياً أو بيزنطيا أو صليبيا افرنجياً او مملوكيا ؟

واخيراً لماذا لم يستمر عثمانيا أو تركيا؟

لا بد من الاجابة على هذا التساؤل وفق التصور التالي : لقد بدأ التكوين اللبناني سامياً عرقاً ولغة وحضارة ، نتيجة

استقرار الفينقيين في الساحل الفينيقي ( لبنان ) ولما سيطر العرب على هذه البقعة كان من الطبيعي ان يكون هناك نوع من الامتداد العرقي واللغوي ( بغض النظر عن انقاذ العرب للسكان من ظلم الروم وتعسفهم ) وكان من الطبيعي التجاوب بين الساميين القدامى والساميين الجدد ، فقد تبين بأن اللبناني تجاوب مع حضارته وعاداته وتقاليده ولغته . وبالرغم من ان الروم والبيزنطيين والصليبيين كانوا من اتباع المسيحية ، وبالرغم من ان المماليك والاتراك من أتباع الديانة الاسلامية ، وبالرغم من بقاء هذه الاقوام مئات من السنين، فأن حضارتهم ولغاتهم لم تتجذر وتتأصل في الارض اللبنانية والعربية ، حتى ان الدولة لعثمانية التي استمر حكمها اربعمائة عام ( ١٥١٦ - ١٩١٨ ) فانها لم تستطع تتريك لبنان او البلدان العربية الاخرى ، ولهذا فان تلك القوميات والاقوام غير العربية لم تستطع الاستمرار في لبنان والمناطق العربية الاخرى . لانهم لم يكونوا عرباً ولم يتعربوا عبر العصور ، فكانت الاصول العربية اقوى من القوى المسيطرة الاخرى ، ولذلك فاننا نقول بأن لبنان عاد عربياً كما بدأ كينونه الاولى فينيقياً سامياً عربياً ، فذابت الفينيقية بمفهومها القديم لتحل محلها العروبة بمفهومها الحديث .



## مصادر البحث


(١) أحمد أبو سعد : الاصالة العربية في اللهجة اللبنانية ، المقاصد ، العدد السابع ، تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٨٢ .

(٢) د . أنيس فريحة : دراسات في التاريخ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

(٣) أوراق لبنانية: البطريرك يترحم على السلطان عبد الحميد الثاني ، عدد آب ( أغسطس ) ١٩٥٦ ، جـ ٨ ، م ٢ .

(٤) بردليان طربيه ( النقيب ) : آل طربيه في التاريخ ، دار لحد خاطر ، بيروت ١٩٨٣ .

(٥) حسان حلاق : ملامح من تاريخ الحضارات ، الدار الجامعية ، بيروت ١٩٨٤ .

(٦) الاب رفائيل نخلة اليسوعي : غرائب اللهجة اللبنانية السورية ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٢ .

(٧) د . زكي النقاش : أضواء توضيحية على تاريخ المارونية ، دار لبنان ، بيروت ١٩٧٠ .

(٨) د . زكي النقاش : الفينيقية ، ملحق النهار ، ٢٣ حزيران ( يونيه ) ١٩٧٤ .

(٩) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ( اثر الحضارة العربية في اوروبة ) تعريب : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ .

(١٠) زين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٩ .

(١١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : المدنية الاسلامية واثرها في الحضارة الاوروبية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣ .

(١٢) سليمان موسى : الحركة العربية ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٧ .

(١٣) د . عمر فروخ : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت - ١٩٨٠ .

(١٤) د . عمر فروخ : الاسلام والتاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٣ .

(١٥) د . فيليب حتي : لبنان في التاريخ ، تعريب : د . انيس فريحة ، مؤسسة فرنكلين ، بيروت - نيويورك ١٩٥٩ .

(١٦) د . فيليب حتي : تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٦٥ .

(١٧) د . فيليب حتي : مختصر تاريخ لبنان ، تعريب : فؤاد جرجس نصار ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ .

(١٨) د كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٨ .

(١٩) كونتنولو ( ج ) : الحضارة الفينيقية ، تعريب : د . محمد عبد الهادي شعيرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

(٢٠) د. لطفي عبد الوهاب يحيى : العرب في العصور القديمة ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨ .

(٢١) د . محمد أبو المحاسن عصفور : المدن الفينيقية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ .

(٢٢) محمد جميل بيهم : عروبة لبنان ، دار الريحاني ، بيروت ١٩٦٩ .

(٢٣) الاب مرتين اليسوعي : تاريخ لبنان . تعريب : الخوري الشرتوني ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٨٩ .

(٢٤) المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ ، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر - القاهرة ١٣٣١ - ١٩١٣ .





(٢٥) الاب هنري لامنس اليسوعي : تسريح الابصار في ما يحتوي [illegible] الاثار ، الطبعة الاولى ١٩١٣ - الطبعة الثانية عن دار [illegible] بيروت ١٩٨٢ .

(٢٦) وليد فارس : التعددية في لبنان ، الكسليك [illegible] ١٩٧٩

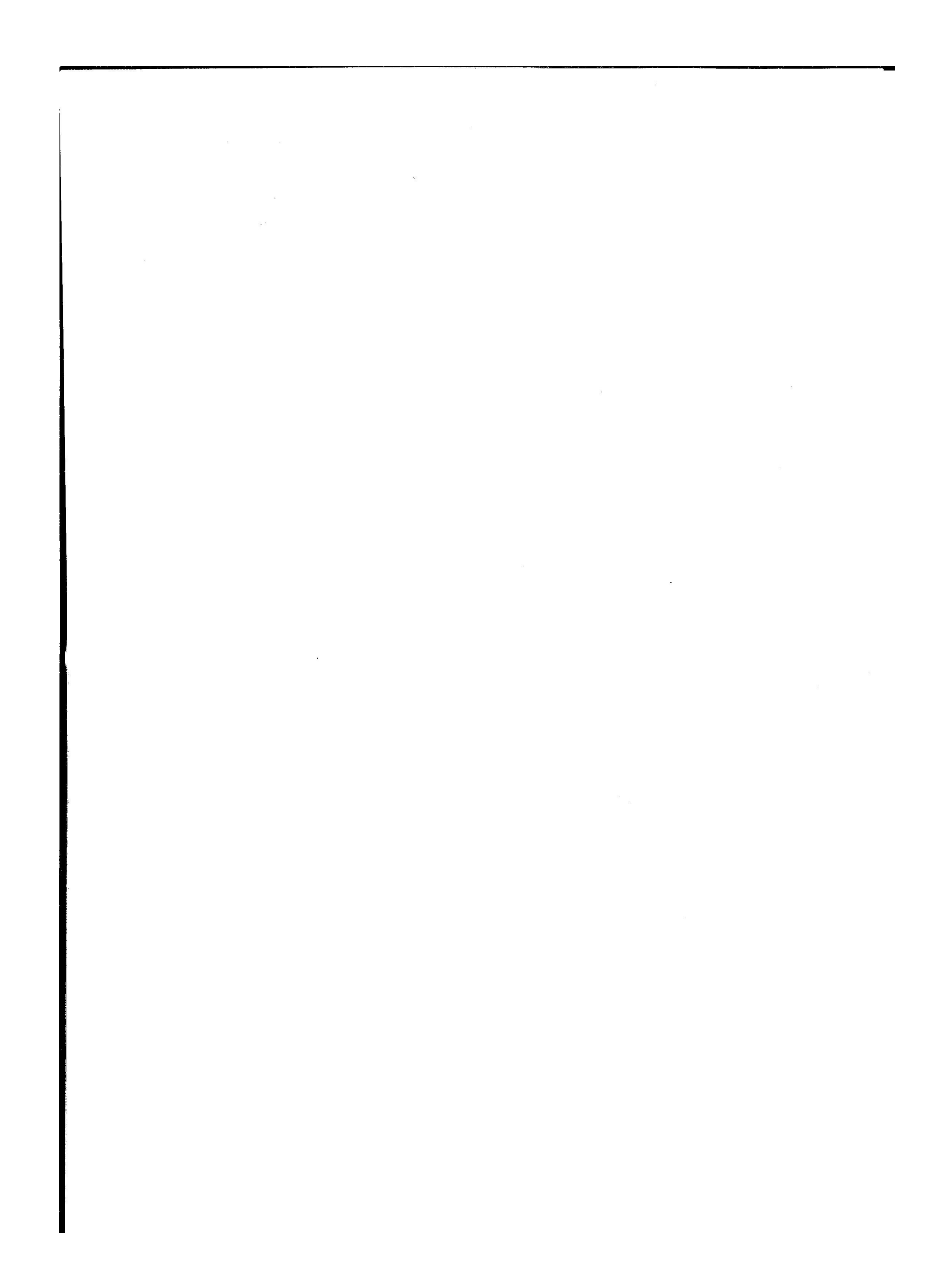
(٢٧) Ph. Berger : Article Phénicie, Grande Encyclopédie 1881 .

(٢٨) Dr. Bertholon : Documents anthropologiques sur les Phéniciens Bulletin Société Anthropol. (Lyon [illegible])

(٢٩) Dussaud , R . La Pénétration des Arabes en Syrie avant l'Islam . (Paris 1950) .

(٣٠) — Montgomery : Arabia and the Bible . (Philadelphia 1943) .

بالاضافة إلى مصادر اخرى اعتمدنا عليها بشكل غير مباشر ، ولم نذكرها .

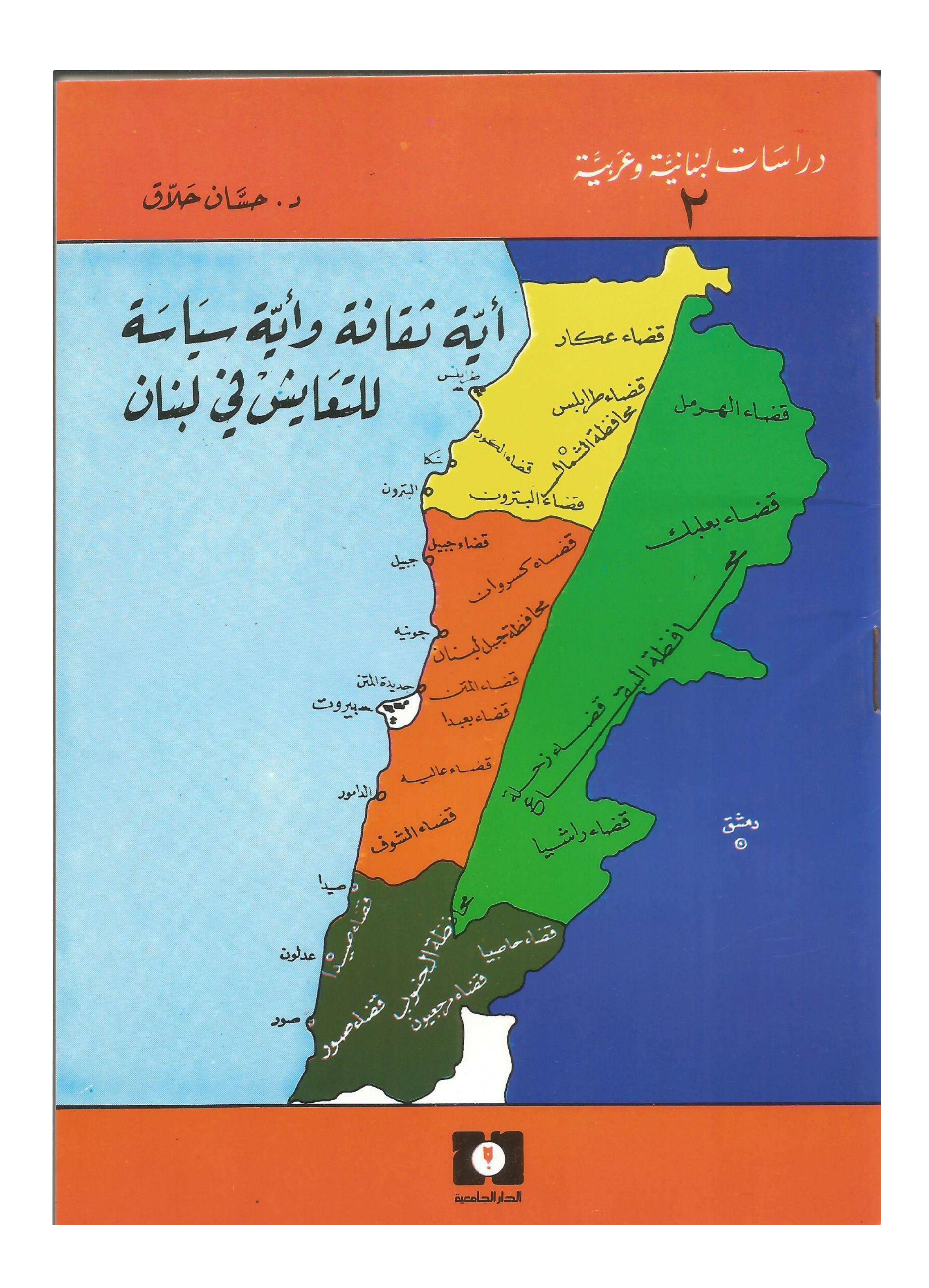


## صدر للمؤلف

١ - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩.
٢ - دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ - ١٩٠٩.
٣ - موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢.
٤ - دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣.
٥ - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢.
٦ - لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ - أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟.
٨ - الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ - الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ - اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ - مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ - أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني - سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.
١٣ - التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية - سجلات المحكمة الشرعية
١٤ - بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ - مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ - العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الأندلس، صقلية، الشام -.
١٧ - المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ - ١٩٧٨.
١٨ - مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨.
١٩ - العلاّمة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ - ١٩٨٧.
٢٠ - تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ - الادارة المحلية الاسلامية - المحتسب -.

تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:

بيروت - تلفون - ٣١٦٣٦٦ - ٣١٧١١٨ - ص. ب - ٩٣٣٣ /١١ - برقياً: ميمكاوي - تلكس:
MAKAWI 43968 LE
الكويت - تلفون - ٢٤٣٥٦٧٧ - ٢٤٢٤٨٨٤ - ص. ب - ٨٢٦٠ - برقيا: الطّلبة - FAX: 2426069
الاسكندرية - تلفون - ٥٩٦٩٥٠٢ - ٥٩٦٠١٢١ - ص. ب - ٢٨٩ - برقياً: ميكاوي - FAX: 5969502


دراسات لبنانية وعربية
٢
د. حسان حلاق
أية ثقافة وأية سياسة للتعايش في لبنان
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الكورة
شكا
البترون
قضاء البترون
قضاء الهرمل
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
محافظة جبل لبنان
جونيه
جديدة المتن
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
محافظة البقاع
قضاء زحلة
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
قضاء صيدا
عدلون
صور
قضاء صور
محافظة الجنوب
قضاء حاصبيا
قضاء مرجعيون
الدار الجامعية

# أيّة ثقافة وأيّة سياسة للتعايش في لبنان

د. حسان حلاق



# أية ثقافة وأية سياسة للتعايش في لبنان ؟

## التعـريف اللغـوي والاستخـدامي
## لاصـطلاح « الثقافة »

استخدم لفظ « الثقافة » ( culture ) بمعان عديدة وابعـاد شتى ، فـاستخدمت بمعنى التـربية والتهـذيب وتثقيف العقـل والتمــدن ، وبمعنى الفهم وامتـلاك المعلومـات المتنـوعـة الإجتماعية والاقتصـادية والسيـاسية والعلميـة . وقد استخـدم العرب الاوائل لفظ او اصطلاح «الثقافة » على انه : الحذق ، والفطنة والـذكاء ، وسـرعة التعلم والضبط ، والـظفر بـالشيء والتغلب عليـه ، ومنهـا التقـويم والتهـذيب . ويقـال للرجـل ثقف ، بتسكين القاف وبكسرها وبضمها ، ويقال ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً أي حذقه .

وفي العهد الروماني استخدمت كلمة « الثقـافـة » للدلالة على العلوم الانسانية التي تستقـل بها كـل امة عن غيـرها من الامم ، كعلوم الـدين والـلغـة والاداب والفنــون ايضـاً ،

واستخدمت الكلمة في عصر النهضة الاوروبية على انها الاداب والفنون .

ويقول « هنري لاوست » : « ان الثقافة هي مجموعة الافكار والعادات الموروثة التي يتكون فيها مبدأ خلقي لامة ما ، ويؤمن اصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الامة تمتاز عن سواها »

ويرى « ارنست باركر » : « ان الثقافة ذخيرة مشتركة لامة من الامم تجمعت لها ، وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل ، وتغلب عليها بوجه عام صفة دينية هي جزء من تلك الاخيرة المشتركة من الافكار والمشاعر واللغة » .

ويقول « ماثيو ارنولد » : « ان الثقافة هي محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الانساني ، مما يؤدي إلى رقي البشرية » واضاف قائلا : « ان الدين من العناصر التي استعان بها الإنسان في محاولته الوصول إلى الكمال » .

ويرى رفاعة رافع الطهطاوي ( ١٨٠١ - ١٨٧٣ ) : « ان توصيل الولد إلى الرتبة المطلوبة والدرّجة المرغوبة ، تتوقف على حسن التربية والتهذيب ، والتعليم والتهذيب ، ولا يخفى ان الله سبحانه وتعالى شرّف الإنسان بمضغتين صغيرتين هما : قلبه ولسانه . . » .

ويرى عبد الرحمن الكواكبي ( ١٨٥٤ - ١٩٠٢ ) في



مجال الثقافة والتربية الوطنية ضرورة الحفاظ على التقاليد والعادات الدينية والقومية كقوله : « ومن اقبح آثار هذا الخور ( الضعف ) نظرهم الكمال في الاجانب . . فيندفعون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً ، وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به . . وكاهمال التمسك بالعادات القومية . . » . وفي الفترة المعاصرة يرى الإمام الخميني « ان التربية قبل التعليم ، وان لم تكن قبل ، فلا اقل من ان تقترن به وهي افضل رتبة ومنزلة ، واذا لم تطهر النفس وتتخلص من الشبهات الفاسدة ، فسيكون للعلم تأثيره السيء فيها » . ويقول ايضاً بانه « يجب ان تكون ثقافتنا اسلامية يجب الخروج من الثقافة التابعة للاستعمار . ان الثقافة هي مصنع الإنسان ، خاصة ان الانبياء جاءوا لاجل هذا الامر . . . لو صلح المعلم والمثقف لصلح البلد ولو انحرفا لخربت البلاد » .

وفي السنوات العشر الاخيرة ( ١٩٧٥ - ١٩٧٦ ) ظهر في لبنان من ينادي بالثقافة المسيحية ومن ينادي بالثقافة الاسلامية ، ومنهم من نادى بالثقافة الوطنية والقومية . علماً ان الثقافة بمفهومها الشامل تشمل الدين والنشاط الإنساني بما فيه الاداب والعلوم والفنون والعادات ، والادب الشعبي وأدب الخاصة ، والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والحكم والادارة واساليب المأكل والمشرب والزي ووسائل العمل النفسي والإجتماعي . .

## اضـواء تاريخيـة على العـلاقات الحضـاريـة بـين المسلمـين والمسيحيين

[illegible] المؤلفات القصصية والجامعية على ابراز الصراعات العسكرية والسياسية بين المسلمين والمسيحيين عبر التاريخ ، لا سيما بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي ، ومن الثابت ان هذه الصراعات كانت موجودة ، غير انه من الثابت ايضا بان العلاقات الحضارية والانجازات الانسانية كانت موجودة ايضـاً في اثناء الصراعات سواء في الاندلس او في صقليـة او في بـلاد الشام ، وفي قبرص ورودوس وكريت وجنوى والبنـدقية وبيـزا وفي مختلـف مناطق التمازج الحضاري .

ففي العـام ٣٤٤ هـ ـ ٩٥٥ م وصلت إلى قـرطبـة سفـارة اسبانية مسيحية من قبل الملك « اردون الثالث »والتقت هناك مع الخليفـة عبـد الـرحمن الثـالث لبحث كـافـة الامــور التي تهم الشعبين . ومن الوفود الاخرى إلى قرطبة وفد « سانشو » وسفارة ملك برشلونة وملك طركونة . ومن الوفود المسيحية إلى طليطلة وفـد الملك الفونســو السادس ملك قشتـالة . وهنـاك سفـارات ومعاهدات صداقة بـين الجانبـين لا يمكن ذكرهـا جميعاً في هـذا المجال ، منها المعاهدة المبرمة بين السلطان اسماعيل وبين ملك اراغـون الدون خـايم . . كما شهـدت العلاقـات الإسلاميـة ـ المسيحية الكثير من السفارات المتبادلة بين الاندلس وبيزنـطة ، وبين الاندلس واوروبا. وفي صقلية كـانـت العلاقـات الحضاريـة والعلمية واضحة بشكل بارز بـين المسلمين والمسيحيـين ، حتى



بعد انتهاء الحكم الاسلامي من صقلية في القـرن الحادي عشر الميـلادي وبلغ الامـر بـروجـر الاول (١٠٩٢ـ ١١٠١ م)ملك صقلية ، واكراماً للمسلمين الصقليين ، ان رفض الاشتراك في الحملات الصليبية على المشرق العربي رغم الحاح البـابا . وقـد سأل اسقف مدينة كابوا مرة حاشية ملك صقلية : لماذا لم يـأمر المسلمين بالتنصر ؟ فكان جوابهم بصوت واحد لا تقل هكذا . بل منع « رجار » المسلمين اشـد المنع عن تـرك دينهم . ويذكـر العـالم الجغرافي الادريس في كتـابه « نـزهة المشتـاق في اختـراق الافاق » انه « لما صار امرها ( اي الجزيرة ) إليه واستقر بها سرير ملكه ، نشر سيرة العدل في اهلها واقرهم على اديانهم وشرائعهم وامنهم في انفسهم وامـوالهم واهليهم وذراريهم . ثم اقـام عـلى ذلـك مدة حيـاته إلى ان وافـاه الاجـل المحتـوم وتقضـاه يـومـه المعلوم » . وقد استمرت الجـاليات الاسـلامية في صقليـة تلقى المعاملة الحسنة إلى اواخر القرن الثالث عشر حيث بدأت بعض القوى المسيحية تلزم المسلمين بدفـع الجزيـة وبلبس زي خاص يميـزهم عن المسيحيين ، كـما شهدت صقليـة والمدن الايـطالية الاخرى مأساة إسلامية ، بارغام المسلمين واكراههم بالقوة على الـدخول في الكثلكـة وترك اسـلامهم على يـد شـارل الثـاني . وانتهى بذلك تماماً الوجود الإسلامي في صقلية وايطاليا .

وفيما يختص ببلاد الشام ابان الحروب الصليبية فقد شهدت العلاقات الاسلامية ـ المسيحية مؤثرات وعلاقات متبادلة وتمازج حضاري بين الشرق والغرب . ولم تكن العلاقات كلها علاقات

عسكرية ، بل قامت بينهما علاقات من الود والصداقة والأثرات المتبادلة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والطبية والسياسية . وقد اشار ابن جبير واسامة بن منقذ وابن واصل وابو شامة وابن شداد والمقدسي وابن الاثير وسواهم إلى هذه العلاقات المتبادلة . والامر الملاحظ ان التسامح الديني في بلاد الشام كان في بعض الاحيان حداً ملفتاً للنظر ، حيث ان السلاطين والامراء المسلمين كثيراً ما ارسلوا اطباءهم الخاصين لمعاينة اعدائهم من الملوك الافرنج ، بل ان المسلمين والمسيحيين كانوا في بعض الاحيان يؤدون الصلاة في مسجد واحد على حد ما جاء في رحلة ابن جبير . وكانت العلاقات السلمية والحضارية بين الافرنج والمسلمين تنعكس ايجاباً على العلاقات الاسلامية ـ المسيحية في جبل لبنان ومناطق الساحل . وقد اشار الرحالة في العصور الوسطى إلى مثل هذه العلاقات ومنهم ابن جبير حينما تحدث عن المتصوفين والمنقطعين لله والزهاد المسلمين ومعاملة النصارى لهم بالقول : « ومن العجب ان النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت ، واحسنوا إليهم ويقولون : هؤلاء ممن انقطع إلى الله عز وجل فتجب مشاركتهم . . واذا كانت معاملة النصارى لضد ملتهم هذه المعاملة ، فما ظنك بالمسلمين بعضهم من بعض ؟ » .

ومن يطلع على كتاب « الهدى » دستور الطائفة المارونية في العصور الوسطى من العام ١٠٥٩ م يدرك اهمية العلاقات الحضارية بين المسلمين والمسيحيين ، حيث يمكن تلمس المؤثرات



الدينية الاسلامية بوضوح لا سيما عند دراسة قوانين الصلاة والحيض والطهارة والصوم وحتى الزكاة . علماً إلى اننا لا نريد التطرق في هذا المجال إلى ثقافة التقسيم والتناحر التي ولدت مصطنعة خلال العشر سنوات وقدمت لنا كتباً طابعها التعصب والتقسيم لا التوحيد لانها تمس الاديان بصورة اساسية وفي مقدمتها كتابي : قسي ونبي ، والاسلام بدعة نصرانية ، وبعض كتابات الكسليك التي تتهم الرسول محمد ( ﷺ ) باتهامات باطلة تمزق شمل اللبنانيين ولا تجمعهم . وبعض الكتابات الموتورة التي تسهم في تقسيم اللبنانيين ، فازدادت الدراسات عن الدروز والشيعة والسنة والعلوية والنصيرية والمارونية ، وهي دراسات تفرق ولا تجمع ، وبالرغم من ذلك فان مطابع ومكتبات بيروت الشرقية تزخر بها .

هذا ويرى الاب ميشيل يتيم والاب اغناطيوس ديك ، بان المسيحية عاشت في ظل الدولة العربية حياة هادئة ، وتمتع بعض المسيحيين في ظل الخلفاء الأمويين والعباسيين بمراكز عالية ووظائف هامة ولم يتعكر الجو بين المسيحيين والمسلمين إلا عندما تدخل الأجانب فاشتدت النعرات الدينية وتعصب كل لدينه ، ونعم النصارى بالحرية التامة في ظل الدولة الطولونية ، وتمتعوا بنفوذ عظيم « فشغلوا المناصب العليا في عهد الفاطميين بمصر ، وشذ عنهم الحاكم بأمر الله الفاطمي . واضاف الاب يتيم والاب ديك « بان النصارى ساهموا مساهمة فعالة في بناء الدولة الاسلامية وتوطيد اركانها وإعلان شأنها من النواحي السياسية

والعلمية والدينية . ولا غرابة في ذلك فالمسيحيون هم سكان البلاد ، وانهم فيها مواطنون تتوجب عليهم خدمتها بصدق وولاء » .

وحول دور المسيحيين في اليقظة العربية فقد اشار صاحبا « تاريخ الكنيسة الشرقية » بانه كان للمسيحيين حظ كبير في بعث النهضة الفكرية والقومية ، ولم يعودوا يعتبرون اهل الذمة والجيرة ، بل اضحوا مواطنين يتمتعون بملء الحقوق كمواطنيهم المسلمين . وتحرر العرب من سيطرة العثمانيين بعد الحرب العالمية الاولى ، ثم نبذوا الحماية الغربية ، ، واخذوا يتطلعون إلى الوحدة القومية الشاملة وهم سائرون إليها ولا بد، على حد ما جاء في كتابهما . وحول الثقافة العربية ودور الموارنة في نشرها قالا : بان الموارنة لعبوا دوراً بارزاً في نقل الحضارة العربية إلى الغرب . وفي الشرق نفسه فتحوا المدارس الكثيرة ونشروا العلم والمعرفة . ولا بد من ذكر ما كان للمطران جرمانوس فرحات من فضل في رفع مستوى الثقافة العربية بين النصارى مع زميليه الملكيين عبد الله زاخر ونقولا صائغ .

## موقف المسلمين من الطروحات المارونية والثقافة التبشيرية

ان الموقف الإسلامي من دور الموارنة وبعض المسيحيين في موضوع العروبة والقومية العربية لا سيما في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين ، هو موقف المتألم والحذر لا لشيء إلا لان الذين طرحوا العروبة لواء لهم في فترة سرعان ما تخلوا عنها عندما



وجدوا ان مهمتها انتهت بالنسبة إليهم . كيف ذلك ؟ .

لقد تبين للمسلمين بان الهدف من طرح موضوع القومية العربية هو فصلهم عن الدولة العثمانية التي كانت وقتذاك دولة الخلافة الاسلامية . ولاحظ المسلمون انه منذ ان انتهت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ وتم القضاء على الدولة العثمانية حتى تنكر رواد القومية العربية من بعض مسيحيي جبل لبنان لهذه القومية ولزملائهم القوميين ، وعملوا على تأييد الانتداب الفرنسي بشكل واضح . وبذلك اهملت القومية العربية لان مهمتها انتهت بانتصار دول الغرب ، واعتبر المسلمون والقوميون بان هذا الاسفين الذي دكه الموارنة وسواهم لانصار القومية العربية بمثابة بداية من بدايات حركة « المارونيسم » السياسية والطائفية . واعتبر بعض الموارنة الذين يدينون بالثقافة المارونية البحتة(*)، بانه من المقابلة بين مختلف العهود التي اختبرها الموارنة طوال ١٣٠٠ سنة ، يتضح ان عهد الوطن القومي الماروني المستقل عن الدول الاسلامية عربية كانت ام غير عربية هو العهد الذهبي الامثل . واعتبر فريق آخر من الموارنة بان انقاذ لبنان من الدولة العثمانية هو انقاذ للمارونية ، لان هذا الفريق يعتبر ان الارض اللبنانية هي ارض مسيحية بل مارونية مستقلة عن الارض الاسلامية المحيطة بهم . وحارب الموارنة فكرة تعريب لبنان لان ارضه « ارض مسيحية » ذلك لان العرب لم يسكنوا يوماً واحداً في « لبنان المسيحي » على حد قول توما . في حين

(*) مثال الاب بطرس ضو .

رأى كمال الحاج بان عروبة لبنان هي علة كل المشكلات الاجتماعية والسياسية في لبنان ، مع الاشارة إلى انه يرى بان المسيح عربي الاصل . واخطر من ذلك فان وليد فارس المتأثر كثيراً بالازمة اللبنانية وبالصراعات التي افرزت نتائج مؤقتة ، فانه يرى بان في لبنان قوميتان : القومية العربية الاسلامية ، والقومية اللبنانية المسيحية .

لقد وضع ازاء القومية العربية القومية اللبنانية ووضع الاسلام في مواجهة المسيحية ! هذه هي « ثقافة الحرب اللبنانية » التي طغت على بعض اللبنانيين بحيث بدأ كل واحد يفكر من منظوره الطائفي والسياسي ، دون الالتفات مرة واحدة إلى نظرية « نفعية التاريخ » . ان التاريخ اللبناني أكد عبر عدد من الازمات منذ ما قبل القرن التاسع عشر ، ان جميع الازمات اللبنانية بما فيها الازمة الراهنة هي ازمة مؤقتة مهما طالت ، لان السنوات مهما كان عمرها لا تمثل سوى مرحلة من مراحل التاريخ السياسي لشعب من الشعوب . واحداث التاريخ في العالم وفي لبنان تؤكد ذلك واكثر من ان تحصى .

ان عدم توافق اللبنانيين حول بعض القضايا لا يعني بان جميع المسيحيين متفقون ، ولا يعني بان جميع المسلمين متفقون ، سواء حول الامور السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية ، بل وحول الامور الدينية ، ومن هنا كانت دعوة الاب الياس اندرواس البولسي عام ١٩٣٠ « لاجل الاتحاد » بين المسيحيين انفسهم . وبالرغم من ان اعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ احدث



انقساماً بين المسلمين والمسيحيين في لبنان ، غير ان المسلمين رأوا امكانية الانصهار في هذا « اللبنان» شرط اقامة العدل والمساواة.

والحقيقة لابد في هذا المجال من ذكر بعض الملاحظات حول هذا الموضوع :

اولاً : ان عدم تجانس اللبنانيين وعدم تمازجهم وترابطهم ليست مسؤوليتهم فحسب ، وإنما كانت مسؤولية دولية تعود إلى التدخلات الفرنسية والبريطانية والروسية والنمساوية والايطالية في شؤون الدولة العثمانية بحجة حماية الاقليات ، واتباع اسلوب الفتن الطائفية بين الفئات اللبنانية وامدادها بالاسلحة ، وقد حدث ذلك فعلا في الفترة الممتدة من ١٨٤٠ - ١٨٦٠ .

ثانياً : حقيقة ان اعلان دولة لبنان الكبير اوجد عنصراً جديداً من عناصر النزاع ، ولكن هذا النزاع ما كان ليحيا لولا الممارسات الفرنسية والطائفية على السواء التي أثارت الشكوك والريبة في نفوس بعض اللبنانيين لا سيما انه كان من اهدافها صبغ لبنان بصبغة طائفية مذهبية .

لا يستطيع احد ان ينكر ما كان لفرنسا ولبعض القوى التبشيرية من دور في ايجاد التناقضات الثقافية والسياسية بين المسلمين والمسيحيين في لبنان، بل بين المسيحيين انفسهم . وقد اكد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري من ان المبشرين الاميركيين قاموا بدور هام في النزاعات المسيحية وفي اضافة طائفة جديدة إلى الطوائف المسيحية . ومما قاله : « ان طوائفنا العديدة قد

زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الاميركية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية . وكم انفق الاميركيون ، لكي يعرفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه ، كأننا اشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الاميركيين انفسهم ؟ . . » .

لقد اسهمت الدول الاوروبية ومؤسساتها التبشيرية في زرع « ثقافة التقسيم » لا سيما في القرن التاسع عشر وفي عهد الانتداب الفرنسي في لبنان ، على غرار بعض الكتب التي صدرت في حرب السنوات العشر والتي ساهمت ـ ولا تزال ـ بتعميق وتأصيل « ثقافة التقسيم » . فمنذ العام ١٩٢٨ وفرنسا تدأب ان تعلم في مدارس لبنان كتاب المونسنيور كولي « البحث عن الدين الحقيقي » (Recherche de La Vraie Religion) الذي جعل من الرسول محمد ( ﷺ ) فاجراً وسارقاً وجشعاً على الملذات . ورأى ان الانجيل انتصر على القرآن في معركة بواتييه عام ٧٥٢ م . وهناك العديد من الكتب التي غرستها المؤسسات الثقافية الاجنبية لتعمل على تقسيم اللبنانيين ، ومن الكتب الاخرى المتطرفة ضد المسلمين والاسلام الكتاب المطبوع في بيروت : تاريخ محاضرات للشرق الادنى ، ج ايزاك ، حررها أ . ألبا .

Histoire , cours J . Issaac , Redigée Par A . Alba Pour le Proche Orient

ان مثل هذه السياسات الثقافية والسياسية هي التي اوجدت جيل القيادات الذي فجّر الحرب ،والحرب بحد ذاتها وما رافقها



من تطورات سياسية وعسكرية وطائفية وثقافية هي التي اوجدت جيل الحرب ،الجيل المنقسم بين مشرّق ومغرّب . بل ان المسيحيين انفسهم ينقسمون في بعض الاحيان من وجهة تحديد الكينونة اللبنانية والهوية اللبنانية ، لان منابع ثقافتهم تنوعت وتغيرت واجتهدت ، ومثال ذلك :

١ ـ يرى امين ناجي صاحب كتاب « فلسفة العقيدة الكتائبية » بان هناك قومية لبنانية ومفهومه حولها انه « لا نعود بالقومية اللبنانية إلى الاسباب عند سائر القوميات في المنطقة او في العالم . بل هي نتيجة لوجود الدولة اللبنانية ، أي ان وجود الدولة اللبنانية هو الذي اوجد القومية اللبنانية ( المسيحية ) وطالما ان الدولة اللبنانية المستقلة موجودة ، فان القومية اللبنانية موجودة .

٢ ـ يرى كمال الحاج بان القومية اللبنانية موجودة في لبنان بينما القومية العربية غير موجودة وقال : لا وجود لقوميتين في دولة واحدة ولا وجود لدولتين في قومية واحدة « ويعني ان كل من يعمل في سبيل قومية غير لبنانية يعمل سراً او جهاراً بوعي او بلا وعي في سبيل القضاء على لبنان فعلاً وقانوناً » .

٣ ـ يناقض وليد فارس ما طرحه كمال الحاج ، فأقر بوجود قوميتين في لبنان هما : القومية المسيحية اللبنانية ( هكذا ) والقومية العربية الاسلامية ، وبوجود حضارتين فيه هما : الحضارة المسيحية والحضارة الاسلامية . ورأى بان صانعي

الميثاق الوطني عام ١٩٤٣ لم يدركوا بان التنازلات المتبادلة لا تصلح في بيئة تعددية تقوم على حضارتين وقوميتين مثل البيئة اللبنانية ، فلم يتكلموا عن لبنان مسيحي آرامي له اكثر من ستة آلاف سنة من التاريخ ، ولم يتكلموا عن لبنان عربي له ثلاثة عشر قرناً من الوجود ، بل اخترعوا عبارة « لبنان ذو وجه عربي » ظانين انها تحل جميع المشاكل القومية .

### التعددية الحضارية والدينية ام التنوع الثقافي والديني ؟

ان الثقافة الطائفية والمذهبية ـ وهي غير الثقافة الدينية والتدين ـ هي التي ادت إلى النظريات والمفاهيم التعددية والانقسامية بمعانيها السياسية ، وهي التي ادت إلى التكتلات الطائفية . مما دعا صحيفة « النهار » منذ العام ١٩٤٦ إلى التنديد بالتكتلات الطائفية متساءلة : ايجوز ان يتم هذا التكتل الطائفي في عصر القوميات والعصبيات العنصرية ، عصر الجامعة العربية والكتلة السلافية والعائلة الانكلوسكونيةوالكتلة اللاتينية ؟ واجابت « النهار » بسخرية : انه رغم التيارات الطائفية في لبنان يصرح البعض بان لبنان هو درة الشرق العربي ودماغه المفكر « فهلا اشفق الداعون الى التكتل على اساس طائفي على سمعة لبنان ، واتخذوا لنشاطهم سياقاً آخر لئلا يشمت بنا الشامتون وتعصف باستقلالنا الرطب العود اعاصير السياسة الانتهازية التي تتربص بنا الدوائر ! .

وكانت الدوائر الفرنسية قد زرعت بذور هذه الطائفية على



مبدأ الفعل وردة الفعل وقد ورد في « تقرير اساليب السياسة الفرنسية » بان للمدارس الطائفية اثراً على ثقافة النشء الجديد ، ذلك ان الاساتذة الفرنسيين في المدارس الطائفية كانوا يقولون لتلاميذهم : بان البروتستانت والارثوذكس والمسلمون هالكون لانهم لا يخضعون لسلطة الحبر الاعظم ( البابا ) وانه ممنوع دينياً على المسيحي الكاثوليكي ان يتزوج من هذه الطوائف غير الكاثوليكية ، وجاء في التقرير بان المدرسة هي محرك دماغ الامة . لذا فان انقسام اللبنانيين هو في اختلاف ثقافتهم ونزعاتهم الفكرية واختلاف وجهات نظر مدارسهم حول لبنان ، كما ان لديانة المدرسة اثر في توجيه الطلاب شرقاً وغرباً .

وذكر كمال جنبلاط خطورة الاتجاهات الطائفية وانقسام لبنان بين الطوائف . ورأى أن الزعماء السياسيين ورجال الدين ظلوا يتسابقون النفوذ الطائفي ، هذا باسم الموارنة وهذا باسم الدروز وذاك باسم الشيعة والسنة ، كل يتعلق بأهداب سياسة طائفته يبغي الزيادة في تقوية سيطرتها السياسية والاقتصادية . اما المدارس والجامعات فرأى جنبلاط ان بعضها كان يساهم في تطور الحياة الفكرية ، ولكنها في الوقت نفسه كانت لا تزال تستخدم العلم للمحافظة على الروح الطائفية وتقويتها ونشرها .

ان الخلافات المسيحية ـ الاسلامية لم تكن بالضرورة خلافات دينية ، وان كان طابعها الخارجي يسير وفق الاسس

التي تستغل الاديان بشكل طائفي ، بل يمكن القول ان اكثر الخلافات تعود إلى الاتجاهات السياسية المتناقضة حول سياسة لبنان العربية والدولية وسياسته الداخلية ايضاً .

وفي هذا الاطار وفي ظل تربية النشء اللبناني على تيارات ثقافية متباينة طائفياً وسياسياً واجتماعياً وتربوياً ، برزت فرق وطوائف لبنانية متباعدة المفاهيم والانتماءات والتيارات . وأود القول ان انتماء الاجيال اللبنانية ـ بعكس ما يرى البعض ـ ليس انتماء لبنانياً بقدر ما هو انتماء للفكر الثقافي الذي تربت وترعرعت في ظله : انه انتماء للقرية وللضيعة وللشارع وللمدينة وللعشيرة وللزعامة ، انه انتماء للطائفة والمذهب وليس الانتماء هنا بالمعنى الديني ، بل هو بالمعنى السياسي والطائفي والتعصبي . في حين ان الولاء للدين كولاء ايماني راق طاهر مطلوب من كل مؤمن في اطار دينه .

وفيما كنا نرى عبر التاريخ بان الولاء كان :

لله ، للخليفة ، للامبراطورية ، فاذا بالامبراطورية تصبح دولاً والدول دويلات ، والدويلات مناطق واقاليم . واذا بالاديان تنقسم إلى مذاهب وفرق .

ان القول « بالتعددية الحضارية » المنبثق من تجارب غربية ، والمتأثر بتجارب الحرب اللبنانية المريرة ، انما يقصد من تطبيقها او محاولات تطبيقها ، انشاء انظمة تقسيمية ( فدرالية + كونفدرالية + اتحادية + كانتونات + مقاطعات . . ) على اسس دينية وطائفية ومذهبية وعنصرية ، ومن ثم يكون



لكل مقاطعة دينها ومذهبها وعنصريتها وبالتالي قوميتها الدينية . إن اخطر ما في هذه الثقافة السياسية هو جعل لبنان مجموعة قوميات عنصرية ومذهبية ، اعطت مبرراً ومبدأ مستمراً لاستمرار الصراعات الطائفية والعنصرية . وفي هذا الاطار لابد من ذكر الامور التالية :

١ ـ ان الحضارة الفينيقية السامية العربية ومنذ حوالي خمسة آلاف سنة طبعت اللبنانيين بطابعها وتقاليدها وعاداتها ولغتها . وكان اللبنانيون ينهلون ايضاً من حضارات شعوب ومناطق اخرى احتكوا بها عبر وسائل ومعابر عديدة ومتنوعة . فكانت الاضافات الحضارية بمثابة مكتسبات يكتسبها أي شعب من شعوب العالم نتيجة التمازج البشري والحضاري . وانه من المفيد الاتيان برأي د . انيس فريحة ( دراسات في التاريخ ) القائل : « لا ينحصر الاثر السامي ( في لبنان ) في اللغة بل يتعداها إلى العقلية كما تبدو لنا في فولكوره وعاداته ومآكله ومشاربه وملابسه ، وتتمثل الذهنية السامية ايضاً في بعض المثل الصحراوية ، في الفروسية والكرم والولاء القبلي » .

٢ ـ ان التعددية في لبنان ليست في حقيقتها سوى « تناقضات سياسية » وتعدد في المواقف السياسية ، وقد بنى البعض على هذه التناقضات فكر : التقسيم والفدرالية ، في حين ان التعددية السياسية لم تكن يوماً تعددية حضارية . وان الذين « ألّفوا » او « صاغوا » فكرة « التعددية الحضارية » انما

تأثروا بالثقافة المتعددة الطارئة ، وتأثروا بالفكر السياسي السائد في لبنان منذ العام ١٩٧٥ . وهنا لا بد من القول بأن زعماء لبنانيين من طائفة واحدة تتعدد مواقفهم وتتباين آراءوهم السياسية والحضارية ، في حين ان زعماء آخرين من طائفتين او من طوائف مختلفة ، تتوحد مواقفهم وآراءوهم السياسية والحضارية . فالتعددية الحضارية توجد بين شعبين او شعوب متعددة او قوميات متعددة . وفي لبنان لا يوجد إلاشعب لبناني واحد ، اختلفت آراءوه السياسية وتعددت ادياته .

٣ ـ ان اصحاب المنهج التعددي الحديث في لبنان ، يريدون بمنهجهم تقسيم لبنان إلى دول دينية ومذهبية ، مستندين بآرائهم بان لكل فئة لبنانية عاداتها وتقاليدها وحضارتها . وفي هذا الاطار فان من الصعب التمييز بين القرى والمدن اللبنانية في مآكلها وعاداتها وتقاليدها وألبستها وامثلتها الشعبية التي يمتد بعضها ليس من قرية لبنانية إلى اخرى ،بل إلى بلدان عربية اخرى . اما فيما يختص ببعض التباين فهو تباين ثانوي وليس اساسياً ، ذلك لان بعض التباين يظهر في اطار الطائفة الواحدة ، بل في اطار الاسرة الواحدة . ويمكن التأكيد بان الماروني في دير القمر يتباين في بعض عاداته وتقاليده ولهجته وملبسه عن الماروني في زغرتا او كسروان او جونية او جنوب لبنان او البقاع . وكل ماروني في هذه المناطق يتباين عن الماروني في المناطق الأخرى فمن الحري ان لا نتخذ من هذا التباين والتنوع حتى في اطار ابناء الطائفة الواحدة



والمذهب الواحد او القرية الواحدة ، مبرراً لآرائنا وافكارنا المبنية على خلفيات سياسية وامنية طارئة وآنية .

٤ ـ لابد لي في هذا الموضوع من الاعتماد على آراء بعض السياسيين والمفكرين المسيحيين من الجيل السابق . فهذه آراء ندره المطران (عضو المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ ) ذكرها في خطابه في حزيران ( يونيه ) ١٩١٣ ومما قاله :« ان سوريا ( يقصد البلاد السورية كلها ) بعد الفتح الاسلامي بمدة قليلة اصبحت عربية محضة بلسانها وعوائدها واخلاقها ، وذلك بفضل اقتدار العرب على استغراق الامم المغزوة وتحويلها إلى لسانها وتقاليدها ، فضلاً عن ان دولة الغساسنة وهم يمانيو الاصل ، كانوا منذ اجيال قد اسسوا في حوران وجوارها دولة زاهرة ونشروا لغتهم وعوائدهم في اقسام واسعة من البلاد السورية . . » ثم اشار إلى موقف الغساسنة ضد الروم المسيحيين وإلى جانب العرب المسلمين واضاف « لعمري في ما ابداه نصاري غسان من العصبية العربية في هذا الشأن الخطير ، لأعظم شاهد على ان العرب متحمسون بالجنس قبل الدين . . وما زال هذا الولاء مستحكماً بين المسلم والمسيحي من عهد عمر بن الخطاب وما هو صحيح في مسلمي العرب صحيح في النصارى لان الدين لا ينفي المصلحة الشخصية ولا يقوم مقام اللسان والعوائد والتقاليد الوطنية . . » وتحدث في الموضوع نفسه عن العروبة والقومية والجنس العربي كل من خليل صليبة واسكندر عمون ونعوم

مكرزل وشارل دباس ( اول رئيس للجمهورية اللبنانية ١٩٢٦ ) وشكري غانم الذي خاطب المؤتمرين بالقول : « يا ابناء وطني ، ابناء تلك السلالة العربية المجيدة ، يا من فرقت الحكومات بينكم في الامس ، ومزقت وحدتكم . ثم جمعت بينكم المصائب اليوم . . لقد احسسنا اليوم لحسن حظنا بأننا مهددون بحياتنا ، وبما هو اعز علينا منها إلا وهو شرفنا والعربي حريص على ذلك الكنز » .

٥ - ان ما يؤلم المسلم اللبناني ان هذه الاراء في العروبة والقومية التي تبنتها القيادات المسيحية وقتذاك - يوم كانت القومية اداة لانقاذ السوريين من الاتراك - سرعان ما تبدلت من الاشخاص انفسهم يوم دخول الفرنسيين إلى لبنان . ولا يزال المسلم اللبناني يتألم من بعض المواقف سواء في عهد المغول او الصليبيين او الفرنسيين واخيراً الاسرائيليين . ان تعددية الاديان يجب ان لا تكون مبرراً للفتك بعضنا بالبعض الاخر ، ولايقاع بعضنا بالبعض الاخر . ومن يطلع على سبيل المثال على خطاب البطريرك موسى العكاري ( ١٥٢٤ - ١٥١٧ ) إلى الامبراطور شارلكان المتضمن دعوته لقيام حملة عسكرية بالتعاون مع مسيحي جبل لبنان ، يدرك ، لماذا يتألم المسلمون من مثل هذه الاتجاهات .

٦ - ان العروبة ليست عيباً ولا جرثومة ولا نقيصة ، فالعروبة الاسلامية والمسيحية قامت بدور بارز على مر العصور بانارة ظلام اوروبا ، فأثر العلماء المسيحيين والمسلمين على



اوروبا واضح في شتى المجالات العلمية والفلسفية ونذكر على سبيل بعض العلماء الذين برزوا في مختلف العلوم التي استفادت منها اوروبا ومن هؤلاء : حنا الاشبيلي ، ابراهيم بن عزرا ، الفارابي، ابن سينا ، ابن رشد ، ابن ميمون ، ثابت بن قرة ، الرازي ، البيروني ، جابر بن حيان ، ثابت النصراني ، الطبيب النصراني جورجيوس بن بختشيوع عميد الاطباء في جنديسابور . ومن الاطباء العرب النصارى : يوحنا بن ماسويه ، حنين بن اسحق ، وابناء جورجيوس ، وآخرون مما لا يمكن حصرهم في هذا المجال .

٧ - ان نظام الكانتونات السويسري لا يمكن استيراده من سويسرا وتطبيقه في لبنان . وبالرغم من أن البعض يرى فيه النظام المثالي الذي يمكن ان يعتمده لبنان ، غير أن الدارس للاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والمصرفية والاجتماعية القائمة في سويسرا يدرك تماماً استحالة تطبيق هذا النظام في لبنان ، بالرغم من النظريات القائلة بلبننة النظام السويسري .

٨ - لابد من التساؤل اخيراً : لماذا استمر لبنان عربيا ، ولم يستمر يونانياً او رومانياً او بيزنطياً او افرنجياً او مملوكيا ، واخيراً لماذا لم يستمر عثمانياً او تركيا ؟

لابد من الاجابة على هذا التساؤل وفق التصور التالي :

لقد بدأ التكوين اللبناني سابقاً عرقا ولغة وحضارة ، نتيجة استقرار الفينيفيين في الساحل الفينيقي . ولما سيطر العرب

على هذه البقعة ، كان من الطبيعي ان يكون هناك نوع من الامتداد العرقي واللغوي ـ بغض النظر عن انقاذ العرب للسكان من ظلم الروم وتعسفهم ـ وكان من الطبيعي التجاوب بين الساميين القدامى والساميين الجدد . فقد تبين بان اللبناني تجاوب مع حضارته وعاداته وتقاليده ولغته . وبالرغم من ان الروم والبيزنطيين والصليبيين كانوا من اتباع المسيحية ، وبالرغم من ان المماليك والاتراك من اتباع الديانة الاسلامية . وبالرغم من بقاء هذه الاقوام مئات من السنين ، فان حضارتهم ولغاتهم لم تتجذر وتتأصل في الارض اللبنانية ، والعربية ، حتى ان الدولة العثمانية التي استمر حكمها اربعمائة عام ( ١٥١٦ ـ ١٩١٨ ) فانها لم تستطع تتريك لبنان والبلدان العربية الاخرى . ولهذا فان تلك القوميات والاقوام غير العربية لم تستطع الاستمرار في لبنان والمناطق العربية الاخرى ، لانهم لم يكونوا عرباً ولم يتعربوا عبر العصور ، ومن تعرّب منهم امتزج في هذه المناطق وانصهر بين ابنائها . ولقد كانت الاصول العربية اقوى من القوى المسيطرة الاخرى ، ولذلك فان لبنان عاد عربياً كما بدأ كينونته الاولى فينيقياً سامياً عربياً ، فذابت الفينيقية بمفهومها القديم لتحل محلها العروبة بمفهومها الحديث . وسادت اللغة العربية والعامية العربية مكان مختلف اللغات واللهجات التي عاشت آلاف السنين .

ويرى د . فريدريك معتوق انّ التعددية لا تنطبق على الواقع اللبناني ، حيث ان ما هو موجود على الارض هو تنوع



ثقافي . فالتنوع يعني الاختلاف في التوجه الثقافي ولا يعني التناقض ، ويعني الاختلاف في التوجه التعليمي بين طرفي المعادلة الاجتماعية . فاللبناني المسيحي من ابناء جبل لبنان عندما يذهب إلى اوروبا يشعر بالغربة وبالتميز الاجتماعي والثقافي عن الاوروبيين . وهذا ما يفسر تنافر اللبنانيين على اساس طائفي في لبنان ، والتقاءهم الحار والمميز في بلدان الهجرة .

واستناداً إلى بحث ميداني حول الانتشار التلفزيوني في شمالي لبنان ( طرابلس ، الكورة ، البترون ، بشري وزغرتا ) تبين بان مشاهدي البرنامج الثالث ( الناطق بالفرنسية ) هم اقل من ٣٫٨ ٪ في حين ان الغالبية الساحقة تفضل البرامج الناطقة باللغة العربية . وتبين بان غالبية المشاهدين في جميع الاقضية ، تفضل المسلسلات العربية والمسرحيات المصرية ، ثم المسلسلات الاجنبية . فالاذواق الثقافية لا تعترف بحدود الاعتبارات الطائفية .

**اقتراحات وتطلعات حول ثقافة العيش المشترك في لبنان**

ان المطلوب في المرحلة المقبلة لترتيب اوضاع لبنان هو ايجاد ثقافة وطنية للعيش المشترك وليس للتعايش . فالتعايش هي مرحلة مؤقتة تقوم بين شعبين او عدة شعوب ، في حين ان العيش المشترك هو الذي يقوم بين شعب واحد . وبادىء ذي بدء فان اية اقتراحات أو تطلعات يمكن تطبيقها وفق الاطر التالية الى ان يوفق اللبناني بالدولة العادلة والقوية ، بالدولة غير

الطائفية ، بالدولة العصرية وليس الدولة العنصرية ، لعل هذه الاقتراحات تسهم في بناء لبنان الحديث :

١ ـ تكوين مجلس اعلى للثقافة اللبنانية يتكون من ( ٣٠٠ ) ثلاثمائة اختصاصي في شؤون التاريخ والجغرافيا والاجتماع والتربية وعلم النفس ، تختار عناصره من التعليم الابتدائي والتكميلي والثانوي والجامعي ، ومن مختلف المناطق اللبنانية ، ويكون متفرغاً لوضع الصيغ الثقافية التوحيدية نظراً لاهمية هذه الوحدة ، ويكون مخولا في اجراء الثورة الثقافية بمفهومها الديمقراطي الاصيل .

٢ ـ توحيد الرؤى حول تاريخ لبنان وزعماته وامرائه ومشايخه . ذلك انه لا يمكن توحيد لبنان طالما ان كل طائفة تنظر إلى أي موضوع من منظار يتناقض تماماً مع الطوائف الاخرى . فالموقف من الامير فخر الدين الثاني ليس موقفاً موحداً إلى الآن ، والموقف من الحملات الصليبية على بلاد الشام ، والموقف من دخول العرب إلىٰ لبنان وبلاد الشام ، لا تزال إلى الان مواقف متباينة . وفي التاريخ المعاصر ، فان اخطر مشكلة تواجهها الامة العربية وهي المشكلة الفلسطينية وموضوع قيام اسرائيل ووجودها لا تزال مشكلة بين اخذ ورد بين اللبنانيين . فلا بد من ايجاد ثقافة سياسية وتاريخية توحد الأراء والاتجاهات . لان الثقافة الموحدة هي التي يمكن ان توحد الشعب في آرائه وتطلعاته واتجاهاته من القضايا السياسية والاجتماعية وسواهما .



٣ ـ ان توحيد الكتاب المدرسي او الجامعي لا يعني بالضرورة الانغلاق والانكماش ، ولكن الهدف من ايجاده توحيد الشعب ، مع فتح المجال امامه للاطلاع على مختلف اللغات والثقافات المحلية والاقليمية والدولية . كما ان المطلوب عدم وضع حجر على الشعب ، بل ترقيته وترقية ثقافته ونقلها والاخذ بها من المفهوم الطائفي التقسيمي إلى المفهوم التوحيدي .

٤ ـ تحصين المجتمع اللبناني من الثقافات التقسيمية المحلية والاقليمية والدولية بتعميق وتدريس ونشر الثقافة التوحيدية .

٥ ـ التأكيد على فشل المشاريع التقسيمية وفشل مشروعات القائمقامية عام ١٨٤٢ وفشل مشروع متصرفية جبل لبنان ١٨٦١ ، وفشل مختلف المشروعات اللبنانية القائمة على التجزئة والتقسيم . والتأكيد على ضرورة الاخذ بنظرية « نفعية التاريخ » المتضمنة التجارب السلبية والايجابية في تاريخ لبنان ، فنأخذ ونطبق الايجابيات ونبتعد عن السلبيات . وهنا محك العمل الثقافي والتثقيفي بين الفئات الاجتماعية المختلفة .

٦ ـ ان المسلم اللبناني يرى ان الترويج للكتابة بالحرف اللاتيني هي مؤامرة على المسلمين وعلى القرآن الكريم الذي انزل عربياً . فبالاضافة إلى المحاولات الحثيثة لتعميم اللهجة اللبنانية العربية للكتابة فيها ، هناك محاولات لكتابة هذه اللهجة بالحرف اللاتيني . ان الاستاذ سعيد عقل والسيدة مي

المر وسواهما ينشطون من اجل تحقيق هذا الهدف . وقد عرض على احد طلاب جامعة بيروت العربية - قسم اللغة العربية - القيام بكتابة سور القرآن الكريم بالحرف اللاتيني ، على ان يتولى الاستاذ عقل نشر هذه الطبعة والترويج لها ، وذلك بعد ان نجح في نشر مقتطفات من نهج البلاغة . فالمطلوب من القوى الفكرية التي تبنت نشر الحرف اللاتيني الاقلاع عن هذه المشروعات ، لان المسلم يرى ان مثل هذه المشروعات لا تساهم في توحيد الثقافة اللبنانية ولا في توحيد اللبنانيين .

٧ - العمل على عدم نشر الثقافة المؤذية للفئات اللبنانية ولمشاعرها الدينية خاصة ، فمن المعلوم عند المسلمين ايماناً وكتابة ان دين المسلم لا يكتمل إلا بالاعتقاد بجميع الانبياء والرسل ، فبالاضافة إلى رسولهم محمد ( ﷺ ) يعتقدون بالرسول عيسى عليه السلام وبسواه . وفي حين نرى ان القرآن الكريم والكتابات الاسلامية تعظم السيد المسيح ، نرى بان كتابات المنطقة الشرقية من بيروت ودراسات الكسليك وبعض الاسماء المستعارة تهتك نبوة النبي محمد وتشهر بطهارته وقدسية رسالته . فقد جاء في احدى نشرات « القضية اللبنانية » ان معظم زوجات النبي وفرها له اصحابه ايام الغزو ، وان عزاء الشهيد المسلم في الجنة هو في متعته الكبرى وما ترغب شهوته من نساء حور العيون جميلات وعذارى ( هكذا ) . واضافت النشرة : ان تفصيل انواع الزواج الشائع



عند المسلمين في تراثهم الحضاري الاجتماعي لا يخفى على احد « كل فنون التهتك والمجون سبق بها الاسلام دول اسكندنافيا بأكثر من ١٣٠٠ سنة سواء على صعيد الخلفاء ، او على صعيد العامة من كتاب وشعراء ومجتهدين ومؤمنين » . واخيراً انتهت دراسة الكسليك الى أن لبنان امانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة وليس في عنق المسلمين الذين يفتقرون إلى لمعة ضمير . ولا اريد الاستطراد كثيراً بما كانت تتضمنه صحيفة « الماروني » وبما تضمنه كتاب « موران » الموجه إلى اطفال الموارنة والمسيحيين عامة .

٨ - القضاء على الثقافة الصهيونية او المتصهينة التي تسربت إلى المجتمع اللبناني واثرت فيه بشكل واضح . فنحن نعلم بان المسيحيين ليسوا اقل كرها لليهودية من المسلمين ، ونحن نعلم بان اليهود يساوون بين المسيحيين والمسلمين في الكراهية ، فالارتماء في احضان الثقافة اللبنانية والعربية هي الضمانة الوحيدة لاستقرار لبنان في محيطه وبين اشقائه ، اما القول بان اسرائيل هي المنقذ الحقيقي للمسيحيين ، فهو طرح لا تكمن خطورته في المضمون السياسي فحسب ،ولكن خطورته تتفاحل لكونه يتضمن مفاهيم ثقافية تَعبُر إلى العقل المسيحي لا سيما النشء الجديد . ومن هنا لا بد من القضاء على الثقافة المتصهينة حتى نؤمن توحيد الشعب اللبناني .

٩ - ضرورة تعميق الثقافة النضالية ضد عدو واحد هو العدو الاسرائيلي . لان تعميد الوحدة اللبنانية يجب ان تكون

بالدم المسلم والدم المسيحي معاً . فالواقع يشير إلى ان المسلمين فقط هم المناضلون ضد اسرائيل ، في حين ان بقية الفئات والطوائف اما تشاهد النضال او تتحالف مع العدو . ومن يطّلع على خفايا السياسة اللبنانية يدرك تماماً الهدف الذي سعى إليه رياض الصلح منذ العام ١٩٤٣ ولغاية العام ١٩٤٨ ، فقد كانت استراتيجيته قائمة على ضرورة تضحية المسيحي واستشهاده إلى جانب المسلم من اجل القضايا العربية . وقد قال رياض الصلح مرة لرئيس الجمهورية بشارة الخوري : ان رئاسة الجمهورية ليست هي الضمانة الحقيقية للموارنة ، انما ضمانتهم الثابتة والاكيدة هي في مشاركتهم المسلمين والعرب تضحياتهم وحروبهم ، فلا يجدون اذ ذاك من يتميز عليهم ومن يفوقهم مشاركة وتضحية .

١٠ ـ عدم الالتفات إلى ثقافة الحرب اللبنانية لا سيما منها الثقافة التقسيمية والتدميرية . فالواجب يقضي عدم بناء لبنان المستقل على ثقافة الحرب . ويجب ان لا نأخذ من الازمة اللبنانية قاعدة ، ذلك لاننا عشنا مآسيها ومرارتها وفعلها وردود فعلها ، وبالرغم من ذلك علينا ان لا نعطي الاجيال المقبلة معاناة الاجيال الحاضرة ، ذلك لان الانسان ابن الفطرة فتبعاً لما تعطيه وتربيه ينشأ وينمو . ولقد شهدت المجتمعات الاسلامية فيما بينها عبر التاريخ تذابحاً اشد وادهى مما شهدته الساحة اللبنانية ، وشهدت المجتمعات المسيحية ومنها الاوروبية والمشرقية تذابحاً اشد وادهى ايضاً من التذابح



اللبناني . فالمطلوب عدم بناء لبنان المستقبل على ثقافة الحرب اللبنانية . علماً انه لا بد ان يؤخذ من هذه الثقافة كل ايجابية توحيدية متفق عليها ، والابتعاد عن كل سلبياتها .

١١ ـ تطبيق المواد الدستورية الخاصة بالثقافة والتعليم والاعتقاد الديني والنظام العام ، والتي تنظم هذه العملية . فالمادة (٩) من الدستور اللبناني تنص على ما يلي « حرية الاعتقاد مطلقة والدولة بتأديتها فروض الاجلال لله تعالى تحترم جميع الاديان والمذاهب وتكفل حرية اقامة الشعائر الدينية تحت حمايتها على ان لا يكون في ذلك اخلال في النظام العام ، وهي تضمن ايضاً للاهلين على اختلاف مللهم احترام نظام الاحوال الشخصية والمصالح الدينية » . وتنص المادة (١٠) من الدستور على ما يلي « التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام او ينافي الآداب او يتعرض لكرامة احد الاديان او المذاهب ، ولا يمكن ان تمس حقوق الطوائف من جهة انشاء مدارسها الخاصة ، على ان تسير في ذلك وفاقاً للانظمة العامة التي تصدرها الدوله في شأن المعارف العمومية » .

١٢ ـ باعتبار لبنان مؤسساً وعضواً عاملاً في جامعة الدول العربية ، لا بد من ان يتقيد بالقرارات السياسية والعسكرية والثقافية التي تصدر عن الجامعة ، اذ ان من اولى الملاحظات على لبنان واللبنانيين انهم يريدون الاستفادة من خيرات العالم العربي دون الالتزام بقضاياه . وطالما اننا نتحدث عن الواقع الثقافي ، فان لبنان لم يتقيد حتى بقرارات جامعة الدول العربية

التي لها طابع ثقافي . ففي ٢٣ / ٩/ ١٩٥٢ صدر قرار عن الجامعة رقم ( ٤٥٧ ) في الدورة ( ١٦ ) في الجلسة (٥) تضمن ما يلي :

« يوصي المجلس الحكومات بالاتقرر جهات الاختصاص للتدريس إلا الكتب التي عني مؤلفوها باستيعاب القدر المشترك من عناصر الثقافة العربية الذي حدده المؤتمر الثقافي المنعقد في لبنان في سنة ١٩٤٧ لمناهج اللغة العربية والتاريخ والتربية الوطنية والجغرافيا » .

ان هذا القرار بما يتضمن من مفاهيم هامة لتوحيد الرؤى اللبنانية والعربية حول عناصر الثقافة العربية ، انما تبناه لبنان منذ العام ١٩٤٧ ،وصدر قرار خاص به عن مجلس الجامعة عام ١٩٥٢ لتأكيد مشروعيته ، فكان لبنان اول دولة عربية ناقضته وخالفته ، نظراً للفكر السياسي والطائفي السائد في الدولة والمؤسسات ، ونظراً للفوضى القائمة ، واستناداً إلى عدم التزام الحكومات بتنفيذ القرارات بما فيها قراراتها الصادرة عنها ، واستناداً إلى التمييع والميوعة في اتخاذ المواقف ، حتى باتت الدولة هي الجهة المستضعفة منذ العام ١٩٤٣ ، مع الاشارة إلى ان المؤسسات الطائفية هي التي كانت توجهها، ولم تكن الدولة هي الموجه، وهنا لا بد ان نطرح التساؤل التالي على الذين يدعون الاخلاص للبنان : هل ما يطرحه اسبوعياً الاستاذ فؤاد افرام البستاني من خلال الاجهزة الاعلامية المرئية الخاصة يساهم في توحيد اللبنانيين وفي توحيد لبنان ؟



١٣ ـ ضرورة تعميق المفهوم الثقافي الديني الايماني البعيد عن الطائفية والتعصب الذميم ، وانطلاقاً من مفاهيم المحبة والمودة والعدالة والحق والمساواة التي اتى بها الاسلام واتت بها المسيحية . فالمسلم لمؤمن والمسيحي المؤمن ممكن ان يتفقا أكثر مما لو لم يكونا مؤمنين . فمادة الثقافة الدينية التي من الواجب ان تدرسها الاجيال اللبنانية ضرورة مهمة لا سيما في هذه السنوات التي اضحى فيها اللبناني بعيداً عن اللبناني والمسلم بعيداً عن المسيحي . فالانسان عدو ما يجهل . وبالمناسبة فان العلمانية ( بفتح العين وليس بكسرها نسبة إلى العالم الدنيوي ) ( Laisme ) بالفرنسية او Secular-ism ) بالانجليزية ، ليست هي الحل في لبنان ، وبالرغم من ان الكثير من المسيحيين يطرحونها لتخويف المسلمين منها ، غير ان الواقع يثبت بان العلمانية مناقضة ومخيفة للمسيحية لا سيما في لبنان أكثر مما هي مناقضة ومخيفة للمسلمين .

ان السيد المسيح ( عليه السلام ) الذي قال : « احبوا اعداءكم » والذي قال « احبوا بعضكم بعضاً كما انا احببتكم » والذي دعا إلى المحبة ، فإن الرسول محمد ( ﷺ ) دعا بدوره إلى المحبة ، كما ان القرآن الكريم دعا إلى المحبة والتحاور مع اهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي احسن . بل اكثر من ذلك فان المرجع الاول للموارنة والكاثوليك في العالم لم ير مانعاً في القرن التاسع عشر من تطبيق الشريعة الاسلامية على اتباعه . فقد اصدر مجمع الايمان في روما فتوى ارسلها

إلى البطريرك الماروني يوسف التيان في ٧ ايار ١٨٠٣ ، وقد تضمنت ما يلي : « ان هذا المجمع المقدس قد ارتأى انه من الواجب على المسيحيين ان يراعوا الشريعة الوطنية بشرط ان لا يكون فيها ما يخالف العادات الحميدة ، وذلك ، اولا لانهم مرؤوسون ، وثانياً لوجوب المساواة ما بين ذوي التابعية الواحدة ، ولهذا يتعين عليهم اتباع هذه القاعدة في فصل الدعاوي المدنية » .

والامر اللافت للنظر في هذه الفتوى استخدام مجمع الايمان في روما عبارات « من الواجب » ، و« يتعين عليهم » و« وجوب المساواة بين ذوي التابعية الواحدة » . لهذا لم يجد قضاة الموارنة من الكهنة أي حرج في تطبيق الفقه الحنفي لا على مسائل الارث فحسب ، بل على مسائل عديدة تدخل اليوم في نطاق الاحوال الشخصية متشعبة الاحكام .

ولما كان لبنان اليوم لا يطبق تشريعات دينية واحدة موحدة ، بسبب تعدد طوائفه ، فعلى الاقل يجب العمل على تثقيف الاجيال اللبنانية والطلاب بواسطة مادة « الثقافة الدينية » .

١٤ ـ انطلاقاً من المفاهيم الدينية السالفة الذكر ، فقد حث القرآن الكريم على اللقاء مع اهل الكتاب ، وقال في النصارى المؤمنين ، ما لم يقله النصارى في انفسهم . ومما جاء في القرآن الكريم :

« قل يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا



نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاًارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهد بانا مسلمون » سورة آل عمران ـ الآية ( ٦٤ ) . وحول موقف الاسلام من اليهود والنصارى جاء في القرآن الكريم « لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون » سورة المائدة ـ الآية ( ٨٢ ) . وحول ايمان المسلم بجميع الانبياء ورد في القرآن الكريم « قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » سورة آل عمران ـ الآية (٨٤) . وفي قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب « سورة الشورى ـ الآية ( ١٣ ) .

وحول موقف الاسلام من عيسى المسيح ( عليه السلام ) واتباعه جاء في القرآن الكريم : « ثم قفينا على اثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله » . سورة الحديد ـ الآية ( ٢٧ ) .

واخيراً وحول الجذور والاصول الواحدة للانسان ، وحول ضرورة التعارف والتلاقي جاء في القرآن الكريم :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » .
سورة الحجرات ـ الآية (١٣) .

* * *

وبعد ، فانني لا ادعي تمثيل المسلمين او الوطنيين فيما طرحته من آراء حول : « أية ثقافة مستقبلية للتعايش في لبنان » ولكن يمكن القول ان ما طرحته يمثل الكثير مما يجول في خاطر المسلمين الذين يمثلون فريقاً كبيراً في لبنان ، والذي يبدو ان بعض المسيحيين لا يعرفون كل ما يجول في اذهان المسلمين ولا يعرفون بعض اتجاهاتهم وتياراتهم ، وبالتالي فالمطلوب من المسيحيين ان يحددوا : « اية ثقافة مستقبلية للتعايش في لبنان « لكي يطلع المسلم على هذه الرؤى ، ومن ثم العمل على التدقيق في هذه الاراء والتطلعات للحكم لها ام عليها .

اما المصيبة الكبرى فتكمن فيما اذا كان فريق يعلم تماماً آراء وتطلعات الفريق الآخر ، ولا يريد البحث فيها او الالتفات إليها او التجاوب معها . ومعنى ذلك استمرار الانقسام والتفتيت والضياع ، ومعنى ذلك استمرار اللبنانيين شعوباً وليس شعباً وقبائل ولكن دون ان تتهيأ الفرص للتعارف والتعايش والعيش المشترك .



## مصادر البحث


١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ احمد ابو سعد : الاصالة العربية في اللهجة اللبنانية ، المقاصد ، العدد السابع ، تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٨٢ .

٣ ـ احمد التهامي بوطبة : الصلاة في الاديان الثلاثة ( الاسلام ، المسيحية ، اليهودية ) الدار التونسية للنشر ١٩٨١ .

٤ ـ البرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩ ، تعريب : كريم عز قول ، دار النهار ، بيروت ١٩٦٨ .

٥ ـ انطون بطرس عريضة البطريرك الماروني الانطاكي وسائر المشرق : لبنان وطن قومي للنصارى في الشرق الادنى . مذكرة مقدمة من البطريرك الماروني إلى هيئة الامم المتحدة ١٩٤٦ .

٦ ـ الاب الياس اندراوس البولسي : لاجل الاتحاد ـ محاضرات القيت في كاتدرائيتي بيروت ودمشق للروم الكاثوليك١٩٣٠ـ مطبعة القديس بولس في حريصا .

٧ ـ اميل حبوش : اساليب السياسة الفرنسية ـ بيروت ١٩٤١ ( تقرير مرسل إلى الحكومة البريطانية ) .

٨ ـ د . انيس فريحة : دراسات في التاريخ ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٨٠ .

٩ ـ الاب بطرس ضو : موازنة الغد على ضوء تاريخهم ، محاضرة مقفلة القيت

في كنيسة مار عبدا الفوقا ـ بعبدا ( لبنان ) ـ في عيد مار مارون في ٨ شباط ( فبراير ) ١٩٧٧ .

١٠ ـ الاباتي بطرس فهد ( تحقيق ) : كتاب « الهدى » دستور الطائفة المارونية في الاجيال الوسطى ، دار لحد خاطر ـ بيروت ١٩٨٥ .

١١ ـ بيار الجميل : لبنان واقع ومرتجى ، العمل ـ بيروت ١٩٧٠ .

١٢ ـ د . جمال الدين الشيال : رفاعة رافع الطهطاوي ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .

١٣ ـ حسان حلاق : التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٤ . معهد الانماء العربي ، بيروت ١٩٨٤

١٤ ـ حسان حلاق : ملامح من تاريخ الحضارات ، الدار الجامعية ، بيروت ١٩٨٤ .

١٥ ـ حسان حلاق : من الفينيقية إلى العروبة ( مقال ) في الموقف ، العددان (١٠) و(١١) آذار ( مارس ) نيسان ( ابريل ) ١٩٨٤ .

١٦ ـ حسان حلاق : العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ( الاندلس ـ صقلية ـ الشام ) مكتب كريدية ، بيروت ١٩٨٥ .

١٧ ـ حزب الله : قبسات من الفكر التربوي للامام الخميني ، التعبئة الطلابية ـ بيروت ( بدون تاريخ ) .

١٨ ـ الدستور اللبناني مع تعديلاته ، مطبعة صادر ـ بيروت ١٩٦٢ .

١٩ ـ الاب رفائيل نخله اليسوعي : غرائب اللهجة اللبنانية ـ السورية ، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٢ .

٢٠ ـ د . زكي النقاش : اضواء توضيحية على تاريخ المارونية ، دار لبنان ـ بيروت ١٩٧٠ .

٢١ ـ زين زين : نشوء القومية العربية ، دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٧٩ .

٢٢ ـ د . سامي الدهان : عبد الرحمن الكواكبي ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .

٢٣ ـ طوني مفرج : حرب الردة ، بيروت ١٩٧٩ .

٢٤ ـ د . فردريك معتوق ؛ تنوع ثقافي لا تعددية ثقافية ، جروس برس ـ طرابلس الشام ١٩٠٤ .



٢٥ ـ د . فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، دار الكشاف ـ بيروت ١٩٦٥

٢٦ ـ قرارات جامعة الدولة العربية ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٢٧ ـ الكسليك : لبنان امانة تاريخية وحضارية في عنق الموارنة ، سلسلة « القضية اللبنانية » رقم (١٨) كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٦ .

٢٨ ـ الكسليك : الذكرى المئوية الرابعة للمدرسة المارونية في روما ١٥٨٤ ـ ١٩٨٤ ، الكسليك ـ لبنان ١٩٨٥ .

٢٩ ـ كمال جنبلاط : حقيقة الثورة اللبنانية ، بيروت ١٩٥٩ .

٣٠ ـ كمال الحاج : الطائفية البناءة اوفلسفة الميثاق الوطني ، بيروت ١٩٦١ .

٣١ ـ كمال الحاج : فلسفة كلفتني دمي ، رابطة الفلسفة اللبنانية ١٩٧٨ .

٣٢ ـ كميل شمعون : مراحل الاستقلال ـ لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية ـ بيروت ١٩٤٩ .

٣٣ ـ كونتنو (ج) : الحضارة الفينيقية ، تعريب : د . محمد عبد الهادي شعيرة ، مركز كتب الشرق الاوسط ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٣٤ ـ د . محمد المجذوب : مصير لبنان في مشاريع منشورات عويدات بيروت ـ باريس ١٩٧٨ .

٣٥ ـ محمود ابو ريه : جمال الدين الافغاني ، دار المعارف ـ مصر ١٩٨٠ .

٣٦ ـ د . مصطفى خالدي ، د . عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، المكتبة العربية ـ بيروت ـ صيدا ١٩٧٣ .

٣٧ ـ الاب مرتين اليسوعي : تاريخ لبنان ، تعريب : الخوري الشرتوني ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٨٨٩ .

٣٨ ـ المركز الثقافي للبحوث والتدقيق ( صيدا ) : مساهمة في الحوار الاسلامي ـ المسيحي في الجنوب اللبناني ـ ١٩٨٤ .

٣٩ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي ـ القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ .

٤٠ ـ المؤتمر العربي الاول في باريس ١٩١٣ ، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر ـ القاهرة ١٣٣١ ـ ١٩١٣ .

٤١ ـ ميثاق جامعة الدول العربية وبروتوكول الاسكندرية ، صادر عن الامانة =

= العامة للجامعة ـ القاهرة ( بدون تاريخ ) .
٤٢ ـ الاب ميشيل يتيم ، الاب اغناطيوس ديك : تاريخ الكنيسة الشرقية واهم احداث الكنيسة الغربية ، مطبعة الاحسان ـ حلب ١٩٦٣ .
٤٣ ـ الاب هنري لامنس اليسوعي : تسريح الابصار في ما يحتوي في لبنان من الاثار ، الطبعة الاولى ١٩١٣ ـ الطبعة الثانية عن دار الرائد اللبناني ـ ١٩٨٢ .
٤٤ ـ د . ناديا شريف العمري : اضواء على الثقافة الاسلامية ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٥ .
٤٥ ـ وليد فارس : التعددية في لبنان ، الكسليك ـ لبنان ١٩٧٩ .

دوريات

٤٦ ـ آفاق ( مجلة ) : دراسة عن العامنة ( مجموعة من المفكرين اللبنانيين ) ، رئيس التحرير : جيروم شاهين ، عدد خاص ـ بيروت حزيران ( يونيه ) ١٩٧٨ .
٤٧ ـ التقرير الاسلامي رقم (١٤) ، ٢٤ تموز ( يوليه ) ١٩٨١ ، صادر عن المركز الاسلامي للتربية ـ بيروت .
٤٨ ـ الموقف ـ العددان ( ١٠ ) و(١١) آذار ( مارس ) ونيسان ( ابريل ) ١٩٨٤ ،
(٤٩) ـ النهار ( بيروت ) ١٩٤٦ .

٥٠ ـ Azoury , n ; Le Reveil de La Nation Arabe dans L 'asie Turque , Paris 1905 .
٥١ ـ Binder ,L ; ( ed . ) Politics in Lebanon , New — york , London , Sydney 1966 .
٥٢ ـ Dussaud , R ; La Pénétration des Arabes en syrie avant L'islam ,Paris 1950 .
٥٣ ـ Rabbat , E ; La Formation Historique du Liban Politique et Constituionnel , Beyrouth 1973 .
٥٤ ـ Spears , E ; Fulfilment of a Mission Syria and Lebanon , Great Britain 1977 .

## صدر للمؤلف

١ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩.
٢ ـ دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.
٣ ـ موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٥٢.
٤ ـ دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣.
٥ ـ التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢.
٦ ـ لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ ـ أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟.
٨ ـ الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ ـ الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ ـ اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ ـ مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ ـ أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ـ سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.
١٣ ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية ـ سجلات المحكمة الشرعية
١٤ ـ بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ ـ مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ ـ العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ الأندلس، صقلية، الشام ـ.
١٧ ـ المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ ـ ١٩٧٨.
١٨ ـ مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨.
١٩ ـ العلاّمة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٧.
٢٠ ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ ـ الادارة المحلية الاسلامية ـ المحتسب ـ.


تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:

بيروت ـ تلفون ـ ٣١٦٣٦٦ ـ ٣١٧١١٨ ـ ص. ب ـ ٩٣٣٣ /١١ ـ برقياً: ميمكاوي ـ تلكس:
MAKAWI 43968 LE

الكويت ـ تلفون ـ ٢٤٣٥٦٧٧ ـ ٢٤٢٤٨٨٤ ـ ص. ب ـ ٨٢٦٠ ـ برقيا: الطلبة ـ FAX: 2426069

الاسكندرية ـ تلفون ـ ٥٩٦٩٥٠٢ ـ ٥٩٦٠١٢١ ـ ص. ب ـ ٢٨٩ ـ برقياً: ميكاوي ـ FAX: 5969502


دراسات لبنانية وعربية
٣
د. حسان حلاق
الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني
مع دراسة للاتجاهات الوحدوية والانفصالية
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الهرمل
البترون
قضاء البترون
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
جونيه
محافظة جبل لبنان
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
قضاء زحلة
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
قضاء صيدا
عدلون
صور
قضاء صور
محافظة الجنوب
قضاء مرجعيون
قضاء حاصبيا
الدار الجامعية

# الجذور التاريخيّة للميثاق الوطني اللبناني

## مع دراسة للاتجاهات الوحدويّة والانفصاليّة

د. حسّان حلاّق



# الجذور التاريخية للميثاق الوطني
# وللاتجاهات الوحدوية والإنفصالية في لبنان

### الاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان

يعتقد البعض بان ميثاق عام ١٩٤٣ الذي عقد بين زعماء الطوائف اللبنانية، كان نتيجة مباحثات جرت عامي ١٩٤٢ و١٩٤٣ أو قبل ذلك بسنوات قليلة. غير ان الأهمية بمكان القول بان الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني لا يمكن تحديدها بسنوات معينة، لأن ميثاق عام ١٩٤٣ كان نتيجة لأفكار سياسية وطائفية خُزنت وتوارثت في عقول ونفوس الأجيال والزعامات اللبنانية التي تناقلت فلسفة تلك الافكار من جيل إلى جيل ومن عهد إلى عهد.

فمنذ ان دخلت الجيوش العربية إلى بلاد الشام في القرن السابع الميلادي، تماسكت شعوب المنطقة في وحدة سياسية وجغرافية واقتصادية لم تشهدها من قبل في أي عصر من العصور نظراً للتجانس السائد وللأصول التي تعيدهم إلى جنس وأصل واحد. ولقد استمر هذا الواقع الوحدوي في العهود الأموية والعباسية والفاطمية والمملوكية. ولما احتل العثمانيون المناطق العربية بين عامي ١٥١٦ ـ ١٥١٧ م، تبين

بان هذه السيطرة كانت امتداداً وحدوياً سياسياً واقتصادياً وجغرافياً لشعوب المنطقة. وقد استمر هذا الواقع الوحدوي - رغم الاستثناءات المصطنعة كنظام جبل لبنان عام ١٨٦١ - إلى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ [١].

وكانت بيروت والمناطق الساحلية أكثر المناطق استياء وتألماً من سيطرة فرنسا والحلفاء على المنطقة، ذلك لأن هزيمة العثمانيين كان يعني تقسيم المنطقة الشامية وبالتالي إنهاء الوحدة السياسية والاقتصادية والجغرافية القائمة بين بلاد الشام. كما كان يعني ذلك ان يتجه اللبناني بين مشرّق ومغرّب وان تتجه فئات نحو فرنسا والغرب، بينما تتجه فئات أخرى نحو سوريا والعرب.

ومن هنا أهمية الاشارة إلى الاتجاهات الوحدوية والى الاتجاهات الانفصالية، وذلك كجذر من الجذور التاريخية التي مهدت للتسوية الطائفية لما عرف عام ١٩٤٣ بالميثاق الوطني اللبناني.

ولا بد من الاشارة وبشيء من الأهمية إلى أن أكثر المصادر والدراسات التاريخية عندما تتحدث عن مراسلات الحسين - مكماهون بين عامي ١٩١٥ - ١٩١٦ تركز على مسألة فلسطين والوعود البريطانية المعطاة للشريف حسين حول بعض المناطق العربية وإقامة الدولة العربية المقترحة، علماً انه وردت في المراسلات اشارات وتفصيلات تبحث في مستقبل ولاية بيروت



والمناطق الساحلية، واذا حاولنا ان نستخلص مواقف الحسين ومكماهون من خلال مراسلاتهما لا سيما حول ولاية بيروت ومناطقها يمكن ان نتلمسها فيما يلي: [٢]

١ - في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١٥ أرسل الشريف حسين رسالة إلى السير هنري مكماهون المفوض البريطاني في القاهرة أكد فيها على ضرورة استقلال الأراضي العربية الخاضعة للدولة العثمانية بما فيها ولاية بيروت والمناطق الساحلية ورفض السيطرة الفرنسية عليها، وقال الحسين: «. . . لذلك نرى من واجبنا ان نؤكد لكم اننا سنطلب اليكم في أول فرصة بعد انتهاء الحرب ما ندعه الآن لفرنسا في بيروت وسواحلها. . . ونعتقد ان وجود هؤلاء الجيران في المستقبل سيقلق افكارنا كما يقلق افكارها. وفوق هذا فان الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء، وقد يضطرنا لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة. وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة. . .».

٢ - في ٢٤ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩١٥ أجاب السير هنري مكماهون على رسالة الشريف حسين، وقد ضمنها استعداد بريطانيا للاعتراف باستقلال الولايات العربية التي يطلبها الشريف حسين ومما قاله مكماهون: «فبريطانيا العظمى مستعدة بان تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال

في جميع الاقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة».

٣ ـ في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٥ أوضح السير هنري مكماهون ما يلي: «. . . اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما، ودونت ذلك عندي بعناية تامة، ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما، فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب».

٤ ـ في أول كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ أكد الشريف حسين ما سبق ان أكده لمكماهون في ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٥ حينما قال له: «أما ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة ولا فرق بين العربي المسيحي والمسلم فانهما ابناء جد واحد». وفي رسالته الجديدة أكد الشريف حسين في أول كانون الثاني (يناير) ١٩١٦ لمكماهون ما يلي: «عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب سنطالبكم. . سيما وان جوارهم لنا [أي النرنسيين] سيكون جرثومة للمشاكل والمناقشات التي لا يمكن معها استقرار الحال، عدا ان البيروتيين بصورة قطعية لا يقبلون هذا الانفصال ويلجؤنا على حالات جديدة، تهم وتشغل بريتانيا. . . وعليه يستحيل امكان أي تساهل يكسب فرنسا أو سواها شبراً من أراضي تلك الجهات. . .».

ويلاحظ من خلال هذه الرسائل المتبادلة بين الشريف



حسين والسير هنري مكماهون، بان ولاية بيروت [٣] والمناطق الساحلية السورية، كانت تمثل نقطة هامة في المفاوضات الدائرة بين الجانبين، وكان هناك اصرار من الشريف حسين على ان تكون هذه المناطق داخلة ضمن اطار «الدولة العربية» المقترحة.

وفي عام ١٩١٨ انتهت الحرب العالميةالأولى، وانتهت إلى تقسيم الامبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا استناداً إلى اتفاقية سايكس ـ بيكو السرية عام ١٩١٦، وخلافاً لمراسلات الحسين ـ مكماهون.

والحقيقة فقد كانت مرحلة انتهاء الحرب، نقطة تحول في بداية مرحلة جديدة تمثلت باعلان الحكومة العربية في دمشق في ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩١٨، ومن ثم قيامها في بيروت في الاول من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ [٤]. غير ان الحكومة العربية الجديدة لم ترض بعض اللبنانيين وتوجسوا خيفة منها، وعملوا على دخول الفرنسيين إلى بيروت بأقصى سرعة لإفشال مخططات الأمير فيصل بن الشريف حسين الذي سعى لاقامة دولة عربية موحدة في بلاد الشام.

هذا وقد تنبه الأمير فيصل إلى الاتجاهات والتيارات الطائفية في بلاد الشام، لذا فقد اذاع في ٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨ بلاغاً أكد فيه على المساواة بين مختلف الاديان والمذاهب، ومما قاله: «وليعلم جميع الناس ان حكومتنا العربية قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة،

فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظرة واحدة لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة التي قامت باسم العرب، وتستهدف إعلاء شأنهم وتأسيس مركز سياسي لهم بين الأمم الراقية» (٥).

ولكن ما هي إلا ايام قليلة حتى قضى الجيش الفرنسي على الحكومة العربية في بيروت، واشاعت اجهزتهم بان الحكومة العربية هي حكومة دينية رجعية، وانها سترجع في كل شيء إلى الشريعة الاسلامية وانها ستقضي على حقوق المسيحيين (٦).

ونظراً للممارسات الفرنسية والطائفية في بيروت والمناطق اللبنانية استمرت الانقسامات بين اللبنانيين وانقسموا إلى فريقين اساسيين:

**الفريق الأول**: وهو الفريق الاسلامي من سكان الساحل والاقضية الاربعة، وكان مطلبه الاستقلال التام عن أي حكم اجنبي مع الارتباط مع الأمير فيصل في إطار وحدة البلاد السورية.

**الفريق الثاني**: وهو الفريق المسيحي لا سيما سكان جبل لبنان، وكان مطلبه الاستقلال مع الحماية الاجنبية لاسيما حماية فرنسا لضمان انفصال لبنان عن سوريا، والعمل على ضم ولاية بيروت ومناطقها والاقضية الاربعة في اطار لبنان الكبير.



وتتبين ملامح الانقسامات والاتجاهات المتناقضة بين اللبنانيين في ولادة لبنان الكبير في أول ايلول (سبتمبر) ١٩٢٠، حيث رفض المسلمون الصيغة الجديدة، بينما ايدها المسيحيون. كما تتبين ملامح الانقسامات في ان المسيحيين من سكان جبل لبنان ارسلوا إلى باريس وفداً يمثل مجلس ادارة الجبل برئاسة داوود عمون، لتقديم مذكرة إلى مؤتمر فرساي تتضمن مطالب تناقض الاماني التاريخية للمسلمين. ففي أوائل كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ قدم وفد ادارة جبل لبنان مطالبه إلى مؤتمر فرساي تضمنت المطالب التالية (٧):

١ ـ توسيع نطاق جبل لبنان إلى ما كان معروفاً به من التخوم تاريخياً وجغرافياً.

٢ ـ تأييد استقلال لبنان بادارة شؤونه الادارية والقضائية بواسطة رجال من اهله.

٣ ـ انشاء مجلس نيابي مؤلف على مبدأ التمثيل النسبي حفظاً لحقوق الاقلية وينتخب من الشعب.

٤ ـ طلب مساعدة فرنسا لتحقيق ذلك ومعاونتها الادارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف.

اما الامير فيصل فقد قدم مذكرة باسمه وباسم المسلمين والوحدويين في الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ إلى مؤتمر الصلح اشار فيها إلى مطالب السوريين وكافة العرب، ورفضهم السيطرة الاجنبية، وان اللغة العربية تجمع بين العرب

في البلاد الواقعة ضمن خط يمتد من الاسكندرونة إلى إيران وجنوباً إلى المحيط الهندي «وان هدف الحركة القومية العربية. . . هو توحيد العرب في امة واحدة. . . ونحن نؤمن ان سوريا تستطيع ان تدير شؤونها الداخلية بنفسها، كما اننا نشعر ان اية مشورة تقنية اجنبية تقدم الينا تشكل عنصراً ذا قيمة عظيمة للتنمية الوطنية، ونحن على استعداد ان ندفع ثمن هذه المشورة نقداً، اذ انه لا يمكننا ان نضحي في سبيلها شيئاً من الحرية التي ظفرنا بها نحن انفسنا بقوة السلاح. . .» (٨).

وبعد عودة الأمير فيصل إلى دمشق، عقد اجتماع مع القادة السوريين في ١٥ أيار (مايو) ١٩١٩، وقد أكد الجميع على ضرورة وحدة البلاد السورية. ومما قاله رضا بك الصلح ـ موفد بيروت ـ «ان الامة العربية تعتمد سموك» بينما نجله رياض الصلح ـ احد اركان الميثاق الوطني فيما بعد ـ فقد قال ممثلاً صيدا «ان آمال الأمة معلقة على سموك وهي تفديك بارواحها ودمائها، وانني اتطوع منذ الآن بصفة جندي بسيط» وقد اشار بقية الموفدين إلى الاتجاه نفسه ومنهم ابراهيم الخطيب ـ موفد اقليم الخروب ـ ومصطفى بك العماد عن دروز لبنان والأمير سعيد الايوبي عن مسلمي لبنان بشكل عام. وقد طالب بالوحدة السورية يومذاك امام الأمير فيصل كل من بطريرك الروم الكاثوليك، وبطريرك الروم الأرثوذكس، ومطران السريان الكاثوليك.

وفي ١٠ حزيران (يونيه) ١٩١٩ وصلت إلى المنطقة لجنة



كنج ـ كراين التي اتفق في مؤتمر فرساي على إرسالها لبلاد الشام لتقصي الحقائق ومعرفة موقف الفئات والطوائف من مستقبل البلاد. وقد تبين للجنة عدة حقائق وعدة مواقف يمكن تلخيصها فيما يلي:

**الموقف الأول**: وهو يمثل أكثرية سكان البلاد السورية من المسلمين والمسيحيين، وتمثل الموقف بالمطالبة بالوحدة السورية ورفض توطين اليهود في فلسطين، والارتباط بالحكم الفيصلي في دمشق.

**الموقف الثاني**: وهو يمثل الأكثرية المسيحية في جبل لبنان، التي طالبت بالحماية الفرنسية، بينما قلة مسيحية طالبت بالحماية الأميركية (٩).

ومما جاء في مذكرة هاشم الاتاسي رئيس المؤتمر السوري العام إلى لجنة التحقيق مورداً عدة مطالب منها: «الاستقلال التام لسورية الطبيعية على ان تكون سورية دولة ملكية دستورية على قاعدة اللامركزية مليكها الأمير فيصل، ورفض انتداب فرنسا على البلاد ورفض انشاء وطن قومي صهيوني في فلسطين. . .» (١٠).

وفي صيف ١٩١٩ سافر البطريرك الماروني الياس الحويك إلى باريس على رأس وفد من الأحبار والكهنة، وفي

٢٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٩ قدم مذكرة إلى مؤتمر الصلح، طالب فيها باستقلال لبنان تحت الانتداب الفرنسي ملتمساً العطف من الجمهورية الفرنسية تحقيق مطالبه وايلاء لبنان معونتها وارشادها [١١].

وبالمقابل فقد أصدر المؤتمر السوري العام الأول في ٥ آب (اغسطس) ١٩١٩ مذكرة احتجاج إلى مؤتمر فرساي بسبب سفر البطريرك الماروني إلى باريس، ومما جاء في المذكرة «إن الطائفة المارونية التي يزعم غبطة البطريرك انه يتكلم باسمها ليست الا الاقلية في لبنان الكبير المزعوم، وان قسماً كبيراً منها لا يوافق غبطته في رأيه، كما ان سائر الطوائف الممثلة في مؤتمرنا هذا ترفض بتاتاً فصل لبنان عن سوريا. . . لا حياة للبلاد السورية الا بوحدتها السياسية، فحياتها الاقتصادية تستلزم اتصال البلاد الداخلية بمرافىء الساحل وتسهيل تجارة الساحل في الداخل. . .» [١٢].

وهكذا يلاحظ استمرار الخلافات بين اللبنانيين حول مستقبل لبنان والبلاد السورية، علماً ان بعض المسيحيين شاركوا في المؤتمر السوري العام، وكانوا من مؤيدي وحدة البلاد السورية. وكانت فرنسا تدعي بانها حامية المسيحيين وانه لا بد من متابعة رسالتها في هذا المجال، وقد أشار الجنرال غورو في احد تقاريره إلى رئيس الوزراء ووزير الخارجية الفرنسي الواقع الطائفي وضرورة حماية المسيحيين بقوله: «عندما قبلت فرنسا الانتداب على بلد شبه عن حق بفسيفساء



اديان وبفسيفساء سلالات، وحيث لا يمثل المسيحيون سوى ثلث السكان، كان عليها ان تكمل دورها التقليدي كمحامية عن المسيحيين، وان تلعب ايضاً دوراً آخر هو قيادة مجمل البلاد مهما اختلف الدين» [١٣].

ومن الأهمية بمكان القول، انه بعد ادراك الأمير فيصل التوجهات الحقيقية لكل من فرنسا وبريطانيا في بلاد الشام، فقد عقد اجتماع عام آخر للمؤتمر السوري العام الثاني حضره (٨٥) مندوباً منتخباً من كافة البلاد السورية (سوريا، لبنان، فلسطين) ومن مختلف الطوائف، وفي ٧ آذار (مارس) ١٩٢٠ اتخذ المؤتمر القرار التالي: «. . . فأعلنا باجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالاً تاماً لا شائبة فيه على الاساس المدني النيابي، وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم» كما قرر المؤتمر اختيار الأمير فيصل ملكاً دستورياً على سوريا، واعلان انتهاء الحكومات الاحتلالية العسكرية. اما فيما يختص بلبنان فقد حرص المؤتمر على اتخاذ قرار خاص به ينص على «ان تراعى اماني اللبنانيين الوطنية [يقصد سكان جبل لبنان] في كيفية ادارة مقاطعتهم لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة بشرط ان يكون بمعزل عن كل تأثير اجنبي» [١٤].

لقد اظهرت الاحداث والتطورات في لبنان وبقية البلاد السورية، ان ما من فعل جرى من اية فئة كانت، إلا وكان له رد

فعل من الفئة الأخرى. وانطلاقا من هذه «القاعدة اللبنانية» فقد احتج البطريرك الماروني الياس الحويك على قرارات المؤتمر السوري العام، وجرت في متصرفية جبل لبنان تظاهرات من قبل المسيحيين الرافضين للوحدة السورية، بينما جرت في بيروت والمناطق الساحلية الوحدوية تظاهرات تأييد لقرارات المؤتمر السوري العام.

وبعد هذه التطورات، قامت فرنسا بتخطيط سياسي وعسكري لضرب سياسة الأمير (الملك) فيصل، ففي تموز (يوليه) ١٩٢٠ انتصرت القوات الفرنسية على القوات العربية في ميسلون، واستشهد القائد يوسف العظمة، وكان ذلك مقدمة لانهاء الحكومة العربية في دمشق، وانهاء الحكم الفيصلي في بلاد الشام، ومن ثم مقدمة لفصل لبنان عن سوريا، باعلان الجنرال غورو دولة لبنان الكبير في ٣١ آب (اغسطس) ١٩٢٠، والاحتفال بهذا الاعلان في أول أيلول (سبتمبر).

لقد رفض المسلمون لبنان الكبير وتألموا من هذا الواقع الجديد، وعلى حد قول محمد جميل بيهم، فلم ينحصر المهم فيما وقع من التجزئة فحسب، وانما لشعورهم بأن وراء ذلك مخططاً يرمي إلى إضفاء صبغة ملية على هذا الكيان الجديد يساعد فرنسا على إقامة مركز استراتيجي دائم لها في الشرق الادنى (١٥).

وبالرغم من ان الجنرال غورو أمسك بقبضته على سوريا بعد معركة ميسلون، وبالرغم من فصل لبنان عن سوريا، غير



ان اللبنانيين والسوريين الوحدويين استمروا في مطالبتهم وعملهم لوحدة البلاد السورية كما كانت عبر التاريخ.

وفي عام ١٩٢٣ قدم وجهاء المسلمين من ابناء الساحل مذكرة إلى المفوض السامي الجديد الجنرال «ويغان» طالبوه فيها باعادة الوحدة مع البلاد السورية لأن «إلحاق الولاية البيروتية أو قسماً منها وهما لواء بيروت ولواء طرابلس في الساحل مع بقية البلدان المنضمة من الداخل بمتصرفية جبل لبنان ثم بدون رضاء من الاهالي وبغير استفتاء، وفي ذلك كل المخالفة للاذاعة التلغرافية المرسلة في اوائل تشرين الثاني سنة ١٩١٨ من ناظري خارجية فرنسا وانكلترا الصريحة بان البلاد والمقاطعات التي انسلخت عن الدولة العثمانية هي مستقلة وللأهالي الحرية التامة في تقرير مصيرهم...» كما تضمنت المذكرة رأي المسلمين في الوحدة السورية بالقول «ان الوحدة السورية اجذل خيراً وأعم نفعاً و أكثر عدداً، وجبل لبنان جزء من سوريا لا يصح عقلاً شذوذه عن المجموع، ومع ذلك فلما رفض الالتحاق بالوحدة السورية ما رأينا من حاول ارغامه للالتحاق...» ولذا فان الوحدويين طالبوا بالانفصال عن لبنان الكبير والالتحاق بسورية «طالبين اليوم بكمال الاخلاص من عدالة الجمهورية الفرنساوية الفخيمة - حامية حرية الشعوب - إجابة طلبنا الانفصال عن لبنان والالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية» (١٦).

والواقع فان القوى الوحدوية من ابناء الساحل والداخل

(بيروت، طرابلس، صيدا، صور، بعلبك. . .) استمرت تعبر عن رفضها الاعتراف بصيغة دولة لبنان الكبير. ففي عام ١٩٢٦ حاول المفوض السامي الفرنسي «هنري دي جوفنيل» اشراك جميع الطوائف اللبنانية في صياغة الدستور اللبناني المقترح للجمهورية اللبنانية، وقد ارسل إلى جميع الهيئات السياسية والدينية يطلب رأيها ومشورتها في دستور الجمهورية اللبنانية، غير ان القوى الاسلامية والوحدوية امتنعت عن المشاركة في صياغة الدستور، وعقد اجتماع هام في دار جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت (١٧)، انتهى إلى رفع مذكرة في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٦ تضمنت رفض المجتمعين (١٨) المشاركة في صياغة الدستور تعبيراً عن رفضهم للواقع التقسيمي للبلاد السورية مؤكدين على الوحدة السورية ورفض الحاقهم بلبنان الكبير (١٩). والأمر اللافت للنظر ان النواب المسلمين انفسهم لاسيما عمر الداعوق ـ نائب بيروت في المجلس النيابي ـ اعلنوا صراحة احتجاجهم على استمرار فصل لبنان عن سوريا. هذا وقد أكد مؤتمر بيروت الساحلي عام ١٩٢٧ مطالبته مجدداً بالوحدة السورية.

هذا وقد استمرت القوى الاسلامية والوحدوية في تشبثها بالوحدة السورية، وكانت الممارسات الفرنسية والاتجاهات الطائفية تزيد في هذا التشبث والتمسك بالوحدة. ففي حزيران (يونيه) ١٩٢٨ عقد في دمشق «مؤتمر ابناء الساحل» برئاسة «الشيخ» عبد الحميد كرامي وشاركت فيه وفود من طرابلس



وعكار وبيروت وصيدا وصور وجبل عامل والبقاع وبعلبك واللاذقية وحصن الأكراد. وقد انتهى المؤتمر إلى قرارات أكدت على ضرورة تحقيق الوحدة السورية بين مختلف المناطق السورية ومما جاء فيها «. . . لما كانت القضية السورية قضية واحدة لا تقبل التجزئة والانقسام، ولما كان السوريون امة واحدة تربطهم جامعة القومية ولا تفرق بينهم الاديان والمذاهب. . . يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد القومي ويطلب إلى الجمعيات التأسيسية تحقيق وحدة البلاد السورية بضم جبل الدروز والبلاد المسماة ببلاد العلويين والبلاد التي ضمت إلى لبنان القديم من سورية، وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على ان سوريا المؤلفة من البلاد المذكورة هي دولة واحدة مستقلة ذات وحدة سياسية لا تتجزأ وذات سيادة» (٢٠).

لقد تبين بان مقررات «مؤتمر ابناء الساحل» عام ١٩٢٨ احدثت ردود فعل عنيفة في الاوساط اللبنانية والفرنسية لسببين هامين:

**أولاً**: اشتراك اعضاء من مجلس النواب اللبناني في هذا المؤتمر، وفي مقدمتهم النائب عمر الداعوق (الذي شارك شقيقه أحمد بالنيابة عنه) والنائب عمر بيهم وهما من نواب بيروت، كما شارك فيه صبحي حيدر نائب بعلبك وعبد القادر شريح نائب اللاذقية، مما يشير إلى ان بعض ممثلي المسلمين

في السلطة لم يكونوا راضين عن صيغة لبنان الكبير.

**ثانياً**: مشاركة بعض الشخصيات اللبنانية والسورية من مختلف الطوائف والمناطق ومنهم: رياض الصلح، عبد الله اليافي، سعدي المنلا، تيودور حكيم، مراد غلمية، ملحم فرزلي، ميخائيل فلفلي، الأمير فؤاد الشهابي، محمد نور الدين خدام، سعيد عسيران، الشيخ أحمد رضا، الشيخ أحمد عارف الزين، سمعان خزعلي وسواهم الكثير. وقد أكد هذا التنوع المناطقي والطائفي، بان الوحدة السورية لم تعد مطلباً اسلامياً بقدر ما أصبحت مطلباًقومياًووطنياً كما أصبح موضوع التخلص من فرنسا ليس مقتصراً على المسلمين، بل أصبح هناك مطالبون بتحقيق هذا المطلب، وهم من القوى المسيحية الوحدوية.

لقد كانت الاتجاهات والتيارات الوحدوية، يقابلها تيارات واتجاهات انفصالية، والعكس صحيح. وقد استمر الفعل اللبناني يقابله ردود الفعل اللبنانية سواء في اتجاه الوحدة أو الانفصال، وكانت تلك بمثابة مخزون سياسي تتجمع فيه الاتجاهات والتيارات المتناقضة للفريقين الاساسيين في لبنان.



**ظلت الاتجاهات الوحدوية والاتجاهات الانفصالية تفعل فعلها في الحياة السياسية والطائفية في لبنان. ولم تستطع القوى اللبنانية التوصل إلى تسوية ـ ولو مؤقتة ـ في الثلاثينات. بل على العكس فان عام ١٩٣١ شهد توترات سياسية وطائفية مرتبطة مباشرة بانتخابات رئاسة الجمهورية انعكست احداثها على الواقعين الوحدوي والانفصالي، ففي الوقت الذي كانت فيه المنافسة شديدة بين مرشحين مارونيين هما بشارة الخوري واميل ادة، تبين بان شخصية اسلامية طرابلسية برزت بشكل واضح كمنافس لتلك الشخصيتين المارونيتين، تمثلت بالشيخ محمد الجسر رئيس المجلس النيابي اللبناني.**

**وكان وصول الشيخ محمد الجسر إلى سدة الرئاسة الأولى يرضي تطلعات المسلمين في العدالة والمساواة، لاسيما وان الطوائف المسيحية تسلمت منصب رئاسة الجمهورية منذ عام**

١٩٢٦ . وكانت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية قد طالبت بأن تكون رئاسة الجمهورية هذه المرة لشخص مسلم بعد ان «تولاها اخواننا المسيحيون مدة تزيد على ست سنوات»[١] ، ولكن تبين بان المندوب السامي الفرنسي «بونسو» ( Ponsot ) والقوى الطائفية رفضت مبدأ ترشيح مسلم أو توليه رئاسة الجمهورية، وقد نجحت هذه القوى فعلاً في إفشال مشروع القوى الاسلامية والوحدوية [٢٢].

وفي هذه الفترة كان المسلمون يناضلون من اجل الوحدة العربية وذلك لسببين اساسيين :

**الأول:** ايمانهم العميق والاستراتيجي بأهمية تحقيق الوحدة السورية والعربية، وعودة الوضع السياسي والوحدوي إلى ما كانت عليه البلاد قبل عام ١٩١٨ .

**الثاني:** شعورهم بالعزل السياسي المستمر، وابعادهم عن مواقع الحكم والسلطة، وتكريس مبدأ التمايز بينهم وبين الطوائف المتحالفة مع الانتداب الفرنسي .

ولهذا فقد شاركت بعض القوى الاسلامية الوحدوية في ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ باصدار الميثاق العربي القومي الذي صدر عن المؤتمر العربي في القدس، ومن بين تلك القوى الوحدوية اللبنانية : رياض الصلح، محمد رشيد



رضا، ابراهيم الخطيب، علي ناصر الدين، صلاح عثمان بيهم، محمد علي بيهم، مصطفى الغلاييني، عجاج نويهض، اسعد داغر، عوني الكعكي . ومما جاء في ذلك الميثاق العربي القومي تأكيد المجتمعين للعمل من اجل الوحدة العربية ووافقوا على القرارات التالية : [٢٣].

**المادة الأولى** : ان البلاد العربية واحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به .

**المادة الثانية** : توجيه الجهود في كل قطر من الاقطار العربية إلى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة، ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية .

**المادة الثالثة** : لما كان الاستعمار بجميع اشكاله وصيغة يتنافى كل التنافي مع كرامة الأمة العربية وغايتها العظمى، فان الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها .

وبعد انعقاد هذا المؤتمر العربي الوحدوي في القدس، عقد مؤتمر عربي آخر في جنيف في تموز (يوليه) ١٩٣٢ ، لدعم الاتجاهات الوحدوية والاستقلالية للبلاد السورية والعربية كافة . كما عقدت مؤتمرات وطنية ووحدوية في لبنان تزعمتها «عصبة العمل القومي» التي ضمت اعضاء من مختلف الطوائف والمناطق، وعقدت مؤتمرها في بلدة قرنايل اللبنانية

في ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٣٣، واتخذ المؤتمر قراراً بالتأكيد على ضرورة تحقيق الوحدة العربية وليس الوحدة السورية فحسب، واعتبر ان الوصول إلى السيادة والاستقلال والازدهار الاقتصادي والاجتماعي موقوف على تحقيق هذه الوحدة، كما رفض المؤتمر الحركة الصهيونية ومبادئها، ورفض مفهوم وصيغة الاقليات الطائفية والعرقية [٢٤].

**بداية التحولات:**

وفي هذه الفترة من عام ١٩٣٤ أصدر المفوض السامي الفرنسي «دي مارتل» قراراً بتعيين حبيب باشا السعد الماروني رئيساً للجمهورية اللبنانية. وقد رأى رئيس الجمهورية الجديد ـ بالاتفاق مع السلطات الفرنسية ـ ضرورة اشراك المسلمين في السلطة، فعين عبد الله بيهم (وهو مسلم سني من بيروت) في منصب امين سر الدولة. وكانت هذه المشاركة المارونية ـ السنية في الحكم وبرعاية فرنسية، هي إحدى البدايات الحقيقية المعاصرة للميثاق الوطني الذي اتفق عليه عام ١٩٤٣، وقد برزت هذه المشاركة بصورة أوضح في عهد الرئيس الماروني اميل اده ومن خلفه.

والواقع فان محاولات التفاهم الاسلامي ـ المسيحي بدأت تظهر في هذه الفترة، ولكنها لم تكن على اساس قومي، وإنما على أسس طائفية، فالكتلة الدستورية مثلاً التي كان يرأسها الشيخ بشارة الخوري (وهو ماروني) ضمت بين اعضائها بعض



المسلمين. وفي ٢٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٥ فاز مرشحها السني الأمير خالد شهاب برئاسة المجلس النيابي، ضد مرشح اميل اده المسلم السني الآخر خير الدين الأحدب، بالاضافة إلى ان الصراع الماروني ـ الماروني بدا واضحاً وعنيفاً في هذه الفترة لاسيما بين بشارة الخوري واميل اده.

وبالرغم من تقارب القيادات الاسلامية ـ المسيحية في بعض جوانب الحياة السياسية في لبنان، غير ان القوى الوحدوية استمرت في مطالبتها بتحقيق الوحدة السورية، وقد تجلى ذلك واضحاً في بيان «مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة» الذي عقد في ١٠ آذار (مارس) ١٩٣٦ في منزل سليم علي سلام في بيروت في منطقة المصيطبة. والأمر الملاحظ ان قوى مارونية ومسيحية واسلامية شاركت في هذا المؤتمر وأيدت قراراته، في حين ان بعض رجالات المسلمين أمثال كاظم الصلح رفض مبدأ تحقيق الوحدة القائمة على أساس طائفي أو ديني، وايد الوحدة القائمة على أساس قومي. ورأى ان الوحدة يجب ان لا تتم بقرار من المفوض الفرنسي ولا بالتظاهرات ولا بارغام المسيحيين وقال: «نحن لا نريد ان نبني وطناً نصف سكانه اعداء له، وبكلمة اخرى نحن لا نريد ان يرغم إرغاماً فريق كبير من سكان الجبل على الانضمام إلى سوريا وطن الوحدة، فمن الخرق ان تجدد التجربة التي حصلت في لبنان الكبير فجعلت نصف سكانه اعداء له...» [٢٥].

ويذكر بان رياض الصلح اعتمد في عام ١٩٤٣ على

الكثير مما جاء به كاظم الصلح من افكار وآراء سياسية حول مستقبل لبنان السياسي، وكانت تلك الافكار والآراء من ضمن مجموعة ومداميك الميثاق الوطني اللبناني.

وبمرور الوقت بدأت ملامح الميثاق الوطني أو بعض مداميكه تظهر تباعاً. فعندما انتخب اميل اده (ماروني) رئيساً للجمهورية عام ١٩٣٦ اسند منصب رئاسة الوزراء إلى حليفه النائب خير الدين الأحدب (سني من طرابلس). وبدأ الرئيس اميل اده يتقرب من المسلمين في بداية عهده - على عادة رؤساء الجمهورية اللبنانية - فوعد بتحقيق المساواة ورفع الغبن عنهم، وقد ارسل رسالتين إلى المفوض السامي الفرنسي تضمنتا المبادىء والوعود لتطبيق المساواة بين جميع اللبنانيين وتوزيع المناصب في الدولة مناصفة بين المسيحيين والمسلمين، وعرفت الرسالتان باسم (٦) و(٦) مكرر [٢٦].

والحقيقة فقد اعتقد اميل اده ان إنصاف المسلمين واعطاءهم بعض المناصب ربما يؤدي تدريجياً إلى قبولهم الاقتراح بالكيان اللبناني وتخفيف معارضتهم للحكم وتخفيف مطالبتهم بالوحدة السورية. والأمر الملاحظ في هذه الفترة ان المسلمين بدأوا يطالبون أكثر بحقوقهم الداخلية، وبدأوا تدريجياً يعلقون مطالبتهم بالوحدة السورية، وبادروا إلى معالجة القضايا المطروحة التي تؤثر على وجودهم ومستقبلهم في إطار الجمهورية اللبنانية، بعد ان ارتضى اخوانهم في سوريا بالمعاهدة السورية - الفرنسية وبكيان الجمهورية



السورية وذلك منذ عام ١٩٣٦. ففي ٨ شباط (فبراير) ١٩٣٧ قدم سليم علي سلام رئيس «المجلس القومي الاسلامي» مذكرة إلى المفوض السامي الكونت دى مارتل رفض فيها مبدأ تجنيس المغتربين لأن وراء ذلك خطة طائفية قديمة لتغليب طائفة على طائفة. وعن الوحدة تضمنت المذكرة ما يشير إلى تريث المسلمين في تحقيقها في هذه الفترة بالقول: «... ان المسلمين رغم تعلقهم بمبدأ الوحدة قد قنعوا بالتريث في تحقيقها ريثما تتهيأ اسبابها وظروفها باعتبار ان قضية الوحدة قضية زمن فحسب...».

هذا وقد استمر رئيس الجمهورية بالاتفاق مع المفوض السامي على اسناد رئاسة الوزراء إلى شخصيات اسلامية فاسندت بعد خير الدين الأحدب إلى الامير خالد شهاب (سني من امراء حاصبيا) في ٢١ آذار (مارس) ١٩٣٨، ثم بعد عدة شهور اسندت رئاسة الوزراء في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ إلى عبد الله اليافي (سني من بيروت). وفي فترة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥، عين عبد الله بيهم مجدداً امين سر للدولة، ثم عين ألفرد نقاش (ماروني) رئيساً للجمهورية، وتم تعيين أحمد الداعوق (سني من بيروت) رئيساً للوزراء، ثم عين سامي الصلح (سني من بيروت - اصله من صيدا) - رئيساً للوزراء.

وفي عام ١٩٤٣ وبمناسبة اقتراب موعد الانتخابات النيابية توترت الاوضاع السياسية بسبب القرارات الطائفية التي

اصدرتها الدولة لاسيما المرسوم (٤٩) و(٥٠) وهدفها صبغ لبنان بصبغة مسيحية مذهبية بزيادة عدد النواب المسيحيين عن عدد النواب المسلمين بنسبة (٣٢) مقعداً للمسيحيين و(٢٢) مقعداً للمسلمين. وقد علق رئيس «الكتلة الاسلامية» محمد جميل بيهم على هذين المرسومين بقوله: «كان لهذين المرسومين اثر شديد الخطورة في نفوس الطوائف المحمدية، وهذا الأثر لم ينتج عن زيادة صحيحة أو غير صحيحة في عدد النواب، تكون في جانب طائفة دون أخرى، وانما كان لما أحس المسلمون من محاولة بعضهم التوسل بهذه الطريقة لضمان الكثرة المطلقة في المجلس النيابي المقبل لحماة فكرة عزلة لبنان عن كل ما يحمل اسماً عربياً» واضاف بيهم بان المرسوم (٤٩) والمرسوم (٥٠) «كأنهما مجموعة من التدابير التي اتخذت لمجابهة خطر الاتحاد العربي الذي اصبح تحت الدرس والتحقيق» [٢٧].

ونظراً لخطورة الموقف الداخلي نشطت القيادات الاسلامية داخلياً وعربياً وارسلت عدة مذكرات إلى المسؤولين في الدول العربية، بينها مذكرة إلى رئيس الحكومة المصرية مصطفى النحاس باشا، كما تباحث زعماء المسلمين مع المفوض السامي «جان هللو» واوضح سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد رفضه للمرسومين لأن تنفيذهما يهدد مصير الوطن ويقسم البلاد.

ومن الأهمية بمكان القول بان الارهاصات السياسية



والطائفية التي جرت في هذه الفترة وفي فترات سابقة، كانت كلها مقدمة عملية لتحقيق فكرة التوازن والتعايش بين مختلف الطوائف اللبنانية والتي تجسدت بفكرة الميثاق الوطني.

## الجوانب المحلية والعربية والدولية للميثاق الوطني ١٩٤٣

حاول المسلمون قبيل الحرب العالمية الثانية الاعتراف بالكيان اللبناني، على أمل تحقيق المساواة والعدل بين مختلف الطوائف، غير ان المرسوم (٤٩) والمرسوم (٥٠) اثارا تحفظات وشكوك المسلمين، مما دعا مفتي الجمهورية للقول في «مؤتمر الطوائف الاسلامية» في ٢١ حزيران (يونيه) ١٩٤٣ «ان اختلال المساواة يثير المشاحنات بين الطوائف المختلفة التي يتألف منها لبنان... فاذا نحن طالبنا اليوم بشدة، كما كنا نطالب في الماضي بالعدل والمساواة فلمصلحة الجميع...». أما الشيخ عبد الحميد كرامي فقد هدد مجدداً بالانفصال عن لبنان بقوله: «ما من قوة تحت السماء تستطيع ان تحملنا على البقاء في الكيان اللبناني الا اذا كان عربياً ومن صميم بلاد العرب». ثم تحدث بهيج تقي الدين بالنيابة عن الأمير مجيد ارسلان، ورياض الصلح ومحمد جميل بيهم والشيخ سليمان الضاهر وعبد الله اليافي، وقد أكدوا كلهم على وحدة الموقف الاسلامي من المرسومين.

والواقع فان هذه المشكلة انتهت إلى تسوية داخلية بواسطة القوى البريطانية والفرنسية والعربية. واتفق بين مختلف

الأطراف على ايجاد تسوية تضمن التوازن الداخلي، وذلك بتحديد عدد النواب المسيحيين بـ ٣٠ نائباً وعدد النواب المسلمين بـ ٢٥ نائباً. وقد قبل المسلمون بهذه التضحية حرصاً على صيغة التعايش أو العيش المشترك التي عملوا ما بوسعهم لتكريسها وبمختلف السبل.

ومن الأهمية بمكان القول بان الميثاق الوطني الذي برز للوجود في عام ١٩٤٣ بواسطة بشارة الخوري ورياض الصلح وبعض القيادات الاسلامية والمسيحية، لم يكن قط مجرد تسوية لبنانية محلية، ولكن كان للعوامل العربية والدولية الأثر البارز في التوصل إليه. فقد كانت قضية الوحدة العربية لا تزال الشغل الشاغل للدول العربية، ونتيجة للتركيبة اللبنانية فان لبنان يتأثر مباشرة بما يدور في العالم العربي من قضايا. ففي ايار (مايو) ١٩٤٢ وجه احمد رمزي - قنصل مصر العام في لبنان - دعوة للشيخ بشارة الخوري لزيارة مصر للتباحث في التعاون العربي وموقف لبنان من هذا التعاون في حال انتخب بشارة الخوري عام ١٩٤٣ رئيساً للجمهورية اللبنانية. وبالفعل ففي حزيران (يونيه) ١٩٤٢ عقد اجتماع في القاهرة ضم: النحاس باشا، بشارة الخوري، جميل مردم بك، محمد شرارة باشا، ومحمد صلاح الدين الأمين العام للخارجية المصرية. وتبين من خلال المناقشات ان بشارة الخوري ابدى استعداده للتعاون مع العرب في حال انتخابه رئيساً للجمهورية شرط استقلال لبنان ضمن حدوده المعترف بها، ورأى ان ذلك قد



يكون عقبة في سبيل انشاء جامعة للدول العربية، ومما قاله بشارة الخوري للحضور: «اننا نريد التعاون مع الدول العربية إلى أقصى حد على هذا الاساس. ثم استدركت ان عدداً من المسيحيين لا يعتنق هذا المذهب، وقد يعاكسه لاعتقاده بضرورة حماية اجنبية لبلاده» (٢٨).

وكان يهم النحاس باشا رئيس وزراء مصر سماع رأي سوريا بالسياسة اللبنانية المستقبلية لأن سوريا هي الشقيق القريب من لبنان، ولأن لبنان كان على مر العصور جزءاً من سوريا الكبرى وجزءاً من بلاد الشام، فقال جميل مردم بك وزير الخارجية السورية: «نحن نثق بكلام الشيخ بشارة، وعندما تطمئن سوريا لهذا الاتجاه في السياسة اللبنانية، فنحن مستعدون لأن نتنازل عن كل مطلب لنا في لبنان، بل ان نوسع أراضي لبنان اذا لزم» (٢٩).

وفي الوقت الذي كانت فيه الدول العربية تسعى لانشاء جامعة لها وفي الوقت الذي كانت تبحث فيه عن سبل للوحدة، قدم نوري السعيد عام ١٩٤٣ مشروعاً وحدوياً له مميزات خاصة، فاقترح قيام وحدة بين سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين، على ان يمنح اليهود في فلسطين شبه حكم ذاتي، وان يمنح الموارنة في لبنان - اذا طالبوا بذلك - نظاماً خاصاً مثل الذي كان لهم خلال العهد العثماني، على ان يرتكز الحكم الذاتي للموارنة ولليهود إلى ضمان دولي (٣٠).

والحقيقة فان بريطانيا كانت وراء هذه الدعوة، كما كانت

راء اجتماعات بشارة الخوري ببعض الزعامات العربية الموالية للسياسة البريطانية في المنطقة.

والواقع فقد كان للمملكة العربية السعودية دور بارز في صيغة الميثاق الوطني والتسوية اللبنانية عام ١٩٤٣، فقد كانت السعودية في البدء تريد إدخال لبنان في مشروع الوحدة العربية، ولكن بعد درس لاوضاع لبنان وظروفه الداخلية الصعبة استطاعت إقناع المسلمين بالتكيف مع الاوضاع اللبنانية، ففي منتصف ايار (مايو) ١٩٤٣ ارسل الملك عبد العزيز آل سعود رسالة جوابية إلى الكتلة الاسلامية في بيروت التي سبق لها ان طالبته بالعمل لادخال لبنان في إطار وحدة عربية، غير ان الرد السعودي كان معتدلاً ومما جاء في الرد «... فالوحدة المذكورة هي قائمة ومكونة لله الحمد... ولكن هنا مسألة هي التي يجب ان تتضافر الجهود بشأنها وهي اتفاق العرب على مصالحهم الخاصة، وان يجتهدوا ليتمتع كل قطر من الاقطار العربية باستقلاله وحريته... فتكون سوريا مثلاً للسوريين وفلسطين للفلسطينيين يتمتع كل منها باستقلاله وحريته كما تتمتع البلاد الأخرى...».

وهكذا يلاحظ بان الموقف السعودي في هذه الفترة كان من المواقف المساعدة على إيجاد الميثاق الوطني الذي قام اساساً على قاعدتين اساسيتين:

أ الأولى: لا وحدة ولا اتحاد بين لبنان والدول العربية.

الثانية: لا حماية اجنبية في لبنان ولا طلب للاستعمار.



كما يلاحظ بان السعودية استطاعت ان تخفف من التيارات السياسية التي لا تسمح الظروف الطائفية واللبنانية والعربية باندفاعها. بل طالبت بالعمل من اجل استقلال لبنان وحريته وان يسعى الجميع للوصول إلى هذه الغاية.

وعندما احتدم الصراع الطائفي في حزيران (يونيه) ١٩٤٣ بسبب المرسومين (٤٩) و(٥٠) اتصلت «الكتلة الاسلامية» بالنحاس باشا شاكية أمر المسلمين مع السلطة اللبنانية، فما كان من النحاس باشا إلا ان ارسل رسالة سرية إلى الجنرال كاترو في ٤ تموز (يوليه) ١٩٤٣ اوضح فيها موقف مصر من الأزمة الراهنة ومن مسلمي لبنان، ومما قاله النحاس باشا في رسالته: «... ان القرار الذي اتخذ اثناء غيابكم قد أثار كثيراً من الشكوك... في اعتقادي ان القضية اللبنانية يجب ان لا تؤخذ بحد ذاتها فحسب، بل يجب ان تعتبر بالنسبة إلى القضية الشرقية بمجموعها، ولكنت أود وتودون كذلك ان يتحقق الاتفاق التام بين العنصرين المسيحي والمسلم في لبنان، اتفاقاً يكون من شأنه ان يقوم فيما وراء حدود هذه الدولة الصغيرة اتفاق عام ونزيه بين جميع المسلمين وجميع المسيحيين في الشرق ويقيني انكم تفهمون انني لا استطيع الوقوف مكتوف اليدين إزاء نداء الزعماء المسلمين في لبنان، كما انكم تقدرون ما تركه ذلك النداء من تأثير في مصر والبلاد العربية كافة» [٣١].

وهذا الموقف المصري يؤكد من جديد مدى أهمية

الجوانب العربية في الميثاق الوطني الذي تعرض لعدة مؤثرات اقليمية ودولية. ومهما يكن من أمر، ففي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ جرت الانتخابات النيابية، ثم تلتها انتخابات رئاسة الجمهورية، ففاز الشيخ بشارة الخوري ضد منافسه اميل اده المدعوم من فرنسا، واعتبر ذلك انتصار بريطاني على السياسة الفرنسية في البلاد السورية.

وبعد ان تولى الرئيس بشارة الخوري الرئاسة الأولى، اختار الزعيم رياض الصلح لتأليف الوزارة الأولى، وقد عقدت جلسة هامة بين الرجلين تم فيها الاتفاق على ما عرف باسم «الميثاق الوطني» الذي اعتبره المسلمون بمثابة استقلال عن فرنسا، بينما اعتبره المسيحيون انفصال عن سوريا والعرب واعتراف من المسلمين بالكيان اللبناني المستقل. ورأى البعض بان الميثاق الوطني انبثق على يد سياسيين تقليديين من المسيحيين والمسلمين وفي مقدمتهم بشارة الخوري الماروني ورياض الصلح السني، وكان الهدف منه عدم وقوع لبنان تحت التبعية الاجنبية ولا الوقوع في احضان الوحدة العربية [٣٢].

وأشار المؤرخ يوسف ابراهيم يزبك (١٩٠١ - ١٩٨٢) الذي كان مقرباً من الشيخ بشاره الخوري، نقاطاً هامة حول الميثاق الوطني، وقال بأن حواراً تم بين بشارة الخوري ورياض الصلح في مصيف عاليه في صيف ١٩٤٣ طلب الخوري خلاله من الصلح التخلي عن فكرة إقامة دولة عربية كبرى موحدة يكون لبنان من ضمنها، على ان يقبل المسلمون ايضاً



واقع لبنان الجديد. فأوضح الصلح انه بالرغم من نضاله الطويل من اجل الوحدة العربية، غير انه يفضل ان يعيش مستقلاً في قرية لبنانية من ان يعيش في دولة عربية واسعة مرتبطة بالأجنبي. ثم وعد الصلح بشارة الخوري بالحصول على موافقة المسلمين بلبنان مستقل، واقناع الزعماء السوريين والعرب بالاعتراف باستقلال لبنان وبحدوده الحالية.

هذا، وقد طرح الشيخ بشاره الخوري السؤال التالي على الزعيم رياض الصلح: «هل تعتقد يا رياض ان اتفاقنا يمكن ان يحظى بتأييد اخواننا المسلمين، وانهم سيقبلون لبنان كوطن نهائي لهم لا كمرحلة انتقالية أو بعبارة اخرى: انهم لن يتوجهوا بأنظارهم من جديد نحو دمشق كمحط لآمالهم وأحلامهم»؟.

فما كان من رياض الصلح الا ان قاطعه مؤكداً ان المسلمين يقبلون بلبنان وطناً نهائياً شرط رفع الغبن عنهم وإقامة العدالة مع سواهم، ومما قاله: «اذا كان اتفاقنا صريحاً وشريفاً بدون غبن لأحد وحافظاً لكرامة المسلمين والمسيحيين معاً، مراعياً شعور الفريقين، متضمناً توزيع الحقوق لمصلحة الجميع على قدم المساواة، أي اذا كان النظام المفروض بنا ان نقيمه، هو نظام عادل ومرن بالنسبة للمسلمين، فأنا لا اكتفي فيما يتعلق بي، بأن اضمن موافقة اخواني مسلمي لبنان فحسب، بل اتعهد باقناع الحكام العرب وخصوصاً السوريين، بأن من واجبهم الاعتراف باستقلال لبنان...» [٣٣].

ويلاحظ من خلال اجابة رياض الصلح بأن شرط

المسلمين منذ البداية في استمرار التزامهم بالميثاق الوطني، انما يكمن في رفع الغبن وإقامة العدالة والمساواة بين مختلف اللبنانيين وحفظ كرامة الجميع. وهذا الشرط متوافق مع الالتزام، وان لا التزام بانتفاء تحقيق الشرط.

## الميثاق الوطني عام ١٩٤٣ لا يعني تكريس طائفية الرئاسات الثلاث

ان موضوع طائفية الرئاسات الثلاث يعتبر من الموضوعات الهامة التي اثير حولها الكثير من الجدل لاسيما بعد اغتيال الزعيم رياض الصلح. والسؤال المطروح هو: هل تم فعلاً الاتفاق بين بشارة الخوري ورياض الصلح والزعامات السياسية اللبنانية على توزيع وتكريس الرئاسات الثلاث: رئاسة الجمهورية للموارنة ورئاسة الوزراء للسنة، ورئاسة المجلس النيابي للشيعة؟.

يجيب الرئيس صائب سلام بالقول: ان الميثاق الوطني يتضمن نقطتين فقط، الأولى: وهي ان يتخلى المسيحيون عن حماية فرنسا وجيشها المحتل، والثانية: ان يتخلى المسلمون عن المطالبة بالوحدة السورية، «هذا هو الميثاق دون زيادة أو نقصان» فهو ميثاق غير مكتوب، ولم يتضمن اية اشارة إلى صيغ طائفية دستورية أو غيرها، ولم يبت في طائفية الرئاسات الثلاث ولا في تكريسها (٣٤).

من جهة فانه لا يوجد دليل يؤكد الاتفاق بين الزعماء اللبنانيين والقوى الاقليمية والدولية على توزيع الرئاسات



الثلاث طائفياً بشكل دائم، فبشارة الخوري نفسه أكد مضمون الميثاق الوطني بقوله: «وما الميثاق الوطني سوى اتفاق العنصرين اللذين يتألف منهما الوطن اللبناني على انصهار نزعاتهما في عقيدة واحدة: استقلال لبنان التام الناجز بدون الالتجاء إلى حماية الغرب ولا إلى وحدة او اتحاد مع الشرق» (٣٥).

وهذا تأكيد من رئيس الجمهورية وأحد ركني الميثاق الوطني، بأن هدف الميثاق لم يكن توزيع الرئاسات الثلاث طائفياً. ويلاحظ أيضاً من خلال جميع خطب بشارة الخوري عدم اشارته مطلقاً إلى التوزيع الطائفي للرئاسات الثلاث. علماً ان الدستور اللبناني لم يكرس هذا التوزيع ولم يشر إليه، ولهذا فان الشيخ محمد الجسر لم ير مانعاً دستورياً عام ١٩٣٢ من الترشيح لرئاسة الجمهورية، كما ان سامي الصلح اعلن عام ١٩٤٣ ترشيحه للرئاسة، كما ان رئاسة الوزراء منذ عام ١٩٢٦ تولاها زعماء من غير الطائفة السنية، كما ان حبيب أبو شهلا النائب الارثوذكسي تولى رئاسة المجلس النيابي عام ١٩٤٦ وانتزعها من الرئيس صبري حمادة (الشيعي). كما ان النائب السنّي عدنان الحكيم (رئيس حزب النجادة) رشح نفسه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٧٠.

ومن الأهمية بمكان القول، انه لو كان هناك اتفاق نهائي حول تكريس طائفية الرئاسات الثلاث ما تردد الرئيس بشارة الخوري لحظة واحدة في ذكر ذلك سواء في مذكراته أو في مجموعة خطبه واحاديثه. فقد حكم تسعة اعوام (١٩٤٣ -

١٩٥٢) ونشرت مجموعة خطبه بين (١٩٤٣-١٩٥١) في عام ١٩٥١، ثم نشر مذكراته «حقائق لبنانية» ثلاثة اجزاء عامي ١٩٦٠ - ١٩٦١، يوم كان رياض الصلح غائباً عن المسرح السياسي اثر اغتياله عام ١٩٥١، ومع ذلك فان بشارة الخوري لم يشر مطلقاً في أية خطبة ولا في مذكراته إلى انه تم الاتفاق على توزيع طائفية الرئاسات الثلاث طائفياً.

ويذكر باسم الجسر ومنح الصلح وانطوان مسرة وسواهم [٣٦] بان الميثاق الوطني لم يكن سوى للتوفيق بين الاتجاهات الاسلامية الوحدوية وبين الاتجاهات المسيحية الانفصالية، وان اغتيال رياض الصلح هو الذي أضفى ضبابية على جوهر الميثاق.

وقد أشار العلامة محمد جميل بيهم (١٨٨٧ - ١٩٧٨) رئيس الكتلة الاسلامية، انه بعد ان تولى رياض الصلح رئاسة الوزراء دعي لحضور اجتماع للكتلة الاسلامية في منزل رئيسها، وناقشه المجتمعون فيما تم الاتفاق عليه بينه وبين رئيس الجمهورية فأوضح رياض الصلح بأنه تم الاتفاق على الغاء الطائفية بعد ان تسمح الظروف السياسية، وان موضوع توزيع الرئاسات الثلاث ليس امراً نهائياً، بل ستكون الرئاسة الأولى مداورة بين المسيحيين والمسلمين، ومعنى ذلك ان أي لبناني ممكن ان يتولى رئاسة الجمهورية أو رئاسة الوزراء أو رئاسة المجلس النيابي. واضاف رياض الصلح بأنه قبل التعاون مع بشارة الخوري على اساس مارونية رئاسة



الجمهورية، لأنه يريد اعطاء الاطمئنان للمسيحيين على ان تكون الرئاسة الأولى لهم لفترة ست سنوات وقد تمتد لـ (١٢) سنة أي لعهدين متتاليين، وهي حقبة كافية لالغاء الطائفية، وللتأكد بان لبنان سيبقى مستقلاً ولن يلتحق بأي اتحاد عربي [٣٧].

والحقيقة التي تجاهلها ويتجاهلها أكثر اللبنانيين وأكثر المؤرخين والمفكرين هي مسألة الوحدة العربية، فهذه المسألة بحد ذاتها أهم بكثير من المناصب والرئاسات فان اخطر ما في الميثاق الوطني هو تخلي أو محاولة تخلي زعماء المسلمين عن الوحدة العربية. وبالرغم من ذلك فان المسلمين لم يخسروا تطلعاتهم الوحدوية فحسب، وانما خسروا معها القيادة السياسية الفعلية في البلاد والقيادات الهامة في ادارة الدولة والجيش والأمن العام والدرك والمواقع الاقتصادية والمالية. وبذلك حصل الموارنة على اهم التنازلات الاسلامية التي شهدها لبنان الكبير منذ ولادته. كما لا بد من الاشارة بان الميثاق الوطني لم يخضع لارادة شعبية ولم يتمثل فيه الاستفتاء أو الاقتراع الشعبي، انما كان اتفاقاً بين القيادات. وبالرغم من ان المسلمين كظموا شعورهم بالوحدة، ولم يضربوا مرة واحدة بالميثاق الوطني، غير ان الوحدة العربية ظلت مطلباً شعبياً اسلامياً ووطنياً، وهذا ما ظهر واضحاً في فترة اعلان الجمهورية العربية المتحدة (الوحدة بين مصر وسوريا) عام ١٩٥٨. وكان هذا الشعور الوحدوي يتنامى كلما شعر

المسلمون بالظلم الداخلي وبالغبن، وبانهم مواطنون من الدرجة الثانية.

والواقع فان الدارس للواقع السياسي في لبنان في الفترة الاستقلالية الأولى، يتبين له بان الميثاق الوطني لم ينفذ ولم يعمل به على كافة الأصعدة. فالرئيس بشارة الخوري لم يتقيد بوعوده لرياض الصلح وللزعامات الاسلامية برفع الغبن عن المسلمين وإقامة العدالة والمساواة بين جميع اللبنانيين. كما ان الرئيس بشارة الخوري لم يستطع لا هو ولا من جاء بعده بعدم جعل لبنان للأستعمار مقراً أو ممراً خطراً على سوريا والاشقاء العرب. ولهذا فان كل فعل كان يقابله رد فعل. وهكذا فقد ولد الميثاق ميتاً سيما وان القيادات السياسية لم تحسن توظيف التوازن الداخلي والعربي والدولي الذي حاول الميثاق تكريسه.



## مصادر البحث

١ ـ حسان حلاق: مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦، ص ١١ ـ ١٢ الدار الجامعية ـ بيروت ١٩٨٢.

٢ ـ انظر: جورج انطونيوس، يقظة العرب، ص ٥٥٠ ـ ٥٦٨، زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ص ٢٨٥ ـ ٢٩٤.

٣ ـ يقصد بولاية بيروت: ولاية بيروت الجنوبية وتمتد من بيروت إلى نابلس باستثناء المناطق الساحلية التابعة لمتصرفية جبل لبنان (أي من خلدة إلى قبيل صيدا) ويقصد بها أيضاً ولاية بيروت الشمالية وتمتد من بيروت إلى اللاذقية باستثناء المناطق الساحلية التابعة لمتصرفية جبل لبنان (أي من فرن الشباك إلى قبيل طرابلس). كما تتضمن ولاية بيروت الاقضية الاربعة: راشيا، حاصبيا، بعلبك، المعلقة. وكان نائب ولاية بيروت مسؤولاً عن كل ابناء الولاية، وليس فقط عن ابناء بيروت أو صيدا أو صور أو طرابلس وسواها.

٤ ـ E. Rabbath; la Formation Historique du Liban, pp. 268 269.

٥ ـ ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

٦ ـ ساطع الحصري، المصدر نفسه، ص ٧٦ ـ ٧٧. انظر كتابنا: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣، ص ٥٤. دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٥.

٧ ـ يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، جـ ٢ ص ٨٧٣ ـ ٨٧٨.

٨ ـ انظر: زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٦، عبد العزيز نوار: وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ ـ ١٩٢٠، ص ٥٢٢ ـ ٥٢٧، جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

٩ ـ انظر: تقرير لجنة كنج ـ كراين في: حسن الحكيم: مذكراتي صفحات من تاريخ سورية الحديث ١٩٢٠ ـ ١٩٥٨، ص ١٧٧ ـ ١٧٨، جورج انطونيوس، المصدر السابق، ص ٦٠٠ ـ ٦٢١.

انظر أيضاً: E. Rabbath; La Formation Historique pp. 287 — 288.

١٠ ـ انظر كتابنا: مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦، ص ١٠٠، يوسف الحكيم: سورية والعهد الفيصلي، ص ١٠٣، زين زين، المرجع السابق، ص ٣١٨.

١١ ـ يوسف مزهر: المرجع السابق، جـ ٢، ص ٨٨٨.

١٢ ـ صحيفة المقتبس (دمشق) ٦ آب (اغسطس) ١٩١٩

١٣ ـ وجيه كوثراني: بلاد الشام، ص ٣٥٠، ٣٥١.

١٤ ـ ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص ٢٦٤، عبد العزيز نوار: وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث، ص ٥٣٨ ـ ٥٤١.

١٥ ـ محمد جميل بيهم: لبنان بين مشرّق ومغرّب، ص ٢٣.

١٦ ـ مذكرة ابناء الساحل إلى المندوب السامي «ويغان» عام ١٩٢٣. من مجموعة محمد جميل بيهم أحد الموقعين على المذكرة. انظر نص المذكرة كاملة في كتابنا: مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة، ص ١٢٦ ـ ١٣١.

١٧ ـ محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، جـ ٢، ص ١٠٠.



١٨ ـ حضر هذا الاجتماع حشد كبير من الشخصيات الاسلامية ومنهم على سبيل المثال: الشيخ احمد عباس الازهري، بدر دمشقية، د. حسن الأسير، د. حليم قدورة، حسن القاضي، سليم الطيارة، عمر الداعوق، الشيخ عبد القادر قباني، الشيخ عبد الباسط الانسي، الشيخ عبد الكريم أبو النصر، محمد الفاخوري، خير الدين الأحدب. . .

١٩ ـ أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، م ٣، ص ٤١١.

٢٠ ـ امين سعيد، المصدر نفسه، م ٣، ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦. انظر أيضاً: محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، جـ ٢، ص ١٠١.

٢١ ـ انظر كتابنا: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣، ص ١٢٩.

٢٢ ـ للمزيد من التفصيلات انظر: بشارة الخوري: حقائق لبنانية، جـ ١، ص ١٧٥ ـ ١٧٨، وليد عوض: اصحاب الفخامة رؤساء لبنان، ص ٥٠، باسم الجسر: الميثاق الوطني، لماذا كان؟ وهل سقط؟ ص ٥٨ ـ ٥٩، يوسف مزهر: تاريخ لبنان العام، جـ ٢، ص ٩٧٧، عادل الصلح: حزب الاستقلال الجمهوري، ص ٤٥ ـ ٤٦، محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، جـ ٢، ص ١٠١ ـ ١٠٣.

انظر أيضاً حول هذا الموضوع:

— P. Rondot; The political institutions of Lebanon Democracy (Politics in Lebanon) p. 137.

— E. Rabbath; La Formation Historique du Liban politique et constitionnel p. 393.

٢٣ ـ عبد الرحمن الكيالي: المراحل في الانتداب وفي نضالنا الوطني ١٩٢٦ ـ ١٩٣٩، جـ ١، ص ١٤٥ ـ ١٤٨. انظر أيضاً كتابنا: مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦، ص ١٦٩ ـ ١٧٢.

٢٤ ـ من بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي، ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٣٣، ص ١٢ ـ ١٣ (كراس خاص صدر بمناسبة انعقاد المؤتمر وهو مؤلف من ٢٧ صفحة).

٢٥ ـ انظر كتابنا: مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦، ص ١٦٤ .

٢٦ ـ انظر: سامي الصلح: احتكم إلى التاريخ، ص ٤٧. انظر أيضاً:
— E. Rabbath; op. cit; pp. 415 — 416.

٢٧ ـ محمد جميل بيهم: النزعات السياسية بلبنان ١٩١٨ ـ ١٩٤٥، ص ٢١، ٥٥ أنظر أيضاً كتابنا: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

٢٨ ـ بشارة الخوري: حقائق لبنانية، جـ ١، ص ٢٤٥ .

٢٩ ـ بشارة الخوري، المصدر نفسه، جـ ١، ص ٢٤٥ .

٣٠ ـ كراس «الكتاب الأزرق» استقلال العرب ووحدتهم، مؤلف من (١٦) صفحة، مطبعة الحكومة ـ بغداد ١٩٤٣، وقد وضعت عليه الملاحظة التالية: سري ليس للنشر.

٣١ ـ محمد جميل بيهم: النزعات السياسية بلبنان، ص ٧٠ ـ ٧٣ .

٣٢ ـ انظر: Middel East Journal Vol. 12 No. 2 spring 1958 p. 168 M.E.J. Vol. 21 No. 4 Aut. 1967 p. 490.

٣٣ ـ انظر: الأسبوع العربي، ١٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠، العدد ٦٦، جوزف مغيزل: لبنان والقضية العربية، ص ٨٤ ـ ٨٥، كمال الحاج: الطائفية البناءة، ص ١٤٣، باسم الجسر: الميثاق الوطني، ص ٤٧٩ـ٤٨٢ .
— Magazine 14 Aout 1958 E. Rabbath; op. cit; pp 518 — 524.

٣٤ ـ الرئيس صائب سلام: وهل فشل الاستقلال؟ مجلة المقاصد، العدد الأول، كانون الثاني (يناير) ١٩٨١، ص ١٦٥ .

٣٥ ـ بشارة الخوري: حقائق لبنانية، جـ ٢، ص ٢١ .

٣٦ ـ انظر: باسم الجسر، المرجع السابق، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

٣٧ ـ مقابلة شخصية مع العلامة محمد جميل بيهم في ٢٨ تموز (يوليه) ١٩٧٧ .

## صدر للمؤلف

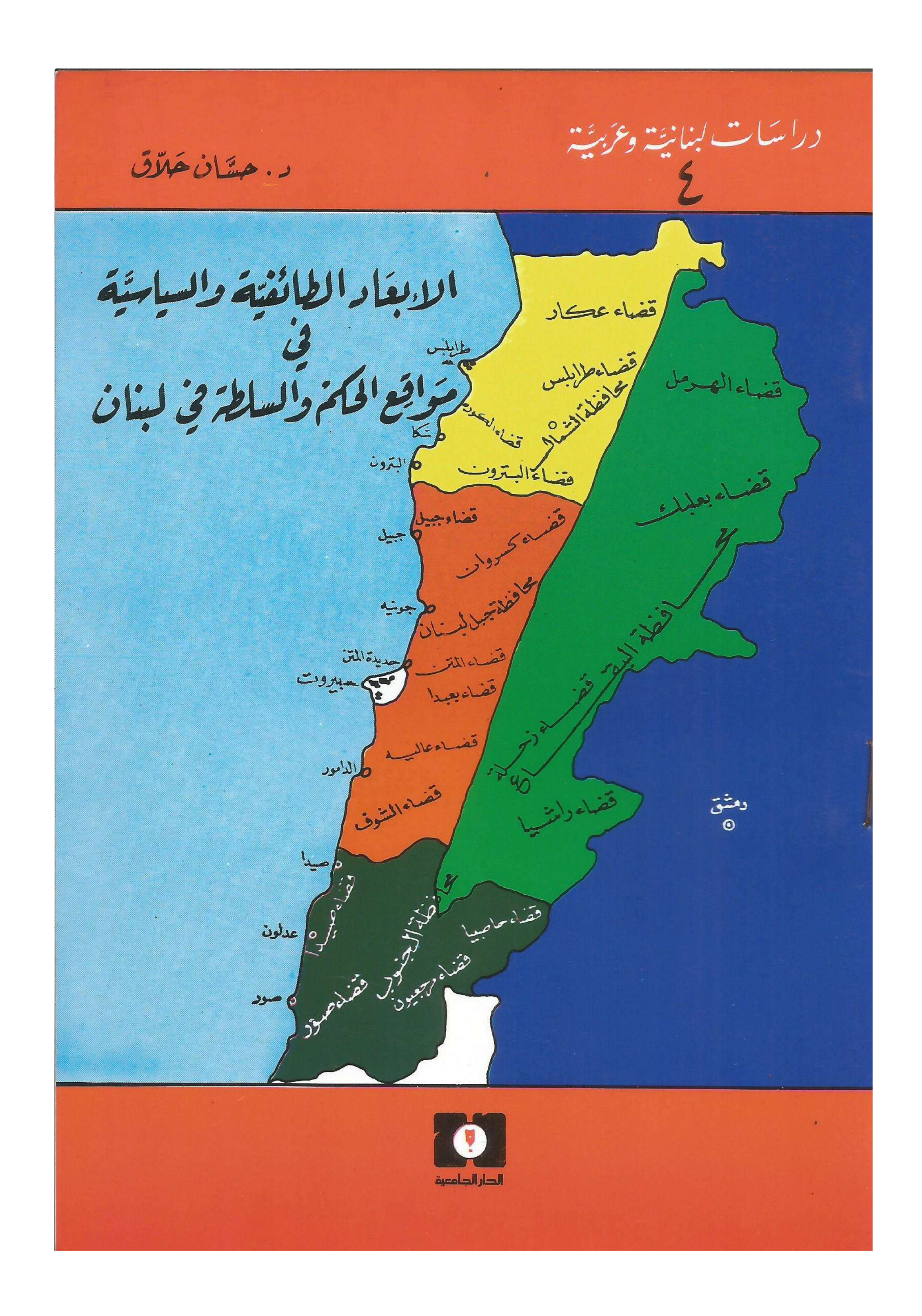
١ - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩.
٢ - دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ - ١٩٠٩.
٣ - موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢.
٤ - دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣.
٥ - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢.
٦ - لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ - أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟.
٨ - الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ - الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ - اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ - مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ - أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني - سجلات المحكمة الشرعية في بيروت
١٣ - التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية - سجلات المحكمة الشرعية
١٤ - بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ - مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ - العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الأندلس، صقلية، الشام -
١٧ - المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ - ١٩٧٨.
١٨ - مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨.
١٩ - العلّامة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ - ١٩٨٧.
٢٠ - تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ - الادارة المحلية الاسلامية - المحتسب -.


تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:

بيروت - تلفون - ٣١٦٣٦٦ - ٣١٧١١٨ - ص. ب - ٩٣٣٣ /١١ - برقياً: ميمكاوي - تلكس:
MAKAWI 43968 LE

الكويت - تلفون - ٢٤٣٥٦٧٧ - ٢٤٢٤٨٨٤ - ص. ب - ٨٢٦٠ - برقيا: الطلبة - FAX: 2426069

الاسكندرية - تلفون - ٥٩٦٩٥٠٢ - ٥٩٦٠١٢١ - ص. ب - ٢٨٩ - برقياً: ميكاوي - FAX: 5969502



دراسات لبنانية وعربية
٤
د. حسّان حلاّق
الأبعاد الطائفية والسياسية
في
مواقع الحكم والسلطة في لبنان
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الكورة
شكا
البترون
قضاء البترون
قضاء الهرمل
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
جونيه
محافظة جبل لبنان
جديدة المتن
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
قضاء زحلة
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
قضاء صيدا
عدلون
صور
قضاء صور
محافظة الجنوب
قضاء مرجعيون
قضاء حاصبيا
الدار الجامعية

# الأبعاد الطائفية والسياسية
# في
# مواقع الحكم والسلطة في لبنان

د. حسّان حلّاق



# الأبعاد الطائفية والسياسية

# في

# مواقع الحكم والسلطة في لبنان

## تمهيد

تُقدم هذه الدراسة نماذج اساسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان* . ان ايجاد دولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ ، وايجاد الجمهورية اللبنانية عام ١٩٢٦ ، كان بمثابة حجر الاساس والأعمدة الاولى للنظام السياسي والطائفي الذي قام عليه الكيان الجديد في مختلف عهوده ومراحله .

ان ولادة النظام الطائفي في العشرينات من هذا القرن ، يمثل المبنى اللبناني باسسه الاولى ؛ وماتلاه من عهود انما كانت بمثابة طوابق جديدة أضيفت إلى ذلك المبنى ، في حين ان الاساس استمر دون تعديل على ما كان عليه بين ١٩٢٠ - ١٩٤٣ ومن ثم ١٩٤٣ - ١٩٥٢ .

---

(*) للمزيد من التفصيلات وللاجابة على الكثير من التساؤلات حول مواقع الحكم والسلطة في لبنان ، راجع مؤلفاتي التالية : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣ ، التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢ ، مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦ . مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨ ، موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢ .

وانطلاقاً من هذا الواقع والمفهوم فاني سأعالج واقع لبنان الطائفي والسياسي منذ بداياته إلى فترة نهاية عهد الاستقلال الأول ، لأن تلك الفترات هي التي وضعت فيها اللبنة الاولى للبنان الطائفي والسياسي ، ولهذا فلن أتطرق إلى عهود الرؤساء : كميل شمعون ( ١٩٥٢ ـ ١٩٥٨ ) ، فؤاد شهاب ( ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤ ) ، شارل حلو ( ١٩٦٤ ـ ١٩٧٠ ) سليمان فرنجية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٦) الياس سركيس ( ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ ) وامين الجميل ( ١٩٨٢ ـ ١٩٨٨ ) ذلك لأن هذه العهود لم تكن سوى اضافات جديدة على حجر الاساس للبنان الطائفي .

* * *

واستناداً الى ما اشرنا اليه في هذه الدراسة من نماذج سياسية وطائفية وعشائرية ممثلة في النظام اللبناني ، فان النتائج والدلائل تشير إلى ان سمات ذلك النظام لم تؤدِ يوماً ولن تؤدي في المستقبل المنظور إلى الأمن الاجتماعي والاقتصادي والتربوي ، ولا إلى السلام السياسي والعسكري .

ان الممارسات والقرارات والسياسات التي اتسم بها النظام الطائفي في لبنان ، ادت إلى الواقع العسكري الذي عاشه لبنان في فترات من تاريخه ، ولا يزال إلى اليوم يعاني من ذلك الواقع ، الذي قسّم لبنان كدولة إلى دويلات وإلى طوائف ومذاهب وعشائر وقبائل ، وانتقل لبنان من كيان الدولة إلى منطق المناطق والزواريب والشوارع .



إن مسألة إحلال السلام في لبنان ، لا يمكن ان تتم إلا بانهاء اسباب الحرب ، الأسباب التي تفشت وانتشرت في مختلف ميادين الحياة اللبنانية وفي مقدمتها الطائفية السياسية .

حسان حلاق
٧/ ٤/ ١٩٨٨

تعتبر المسألة اللبنانية من اهم واعقد القضايا في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ، وقد تداخلت مع قضايا المنطقة وارتبطت بها منذ سنين بعيدة ، كما تدخلت القوى الاستعمارية الاجنبية في سبيل تأجيج الاتجاهات الطائفية والمذهبية ، وتجلي ذلك واضحاً بعد انتهاء الحكم المصري من بلاد الشام ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ ، وتقسيم جبل لبنان إلى قائمقاميتين : درزية ومارونية عام ١٨٤٢ ، ثم في المجازر الطائفية في الجبل ، ومحاولات توحيد ابناء الجبل في انشاء نظام المتصرفية عام ١٨٦١ . وقد استمرت التيارات الطائفية والسياسية ردحاً من الزمن ، إلى ان قام نفر بمحاولات فاشلة لتقريب وجهات النظر بين اللبنانيين [١] .

**وفي عام ١٩١٢ بدأت بعض القوى اللبنانية تطالب بالاستقلال عن الدولة العثمانية وانضمام البلاد السورية إلى مصر تحت الراية البريطانية بينما طالبت قوى طائفية اخرى بالاستقلال تحت الحماية الفرنسية [٢] . غير ان الاتجاهات**

الاسلامية كانت تطالب بشكل عام باللامركزية ، وقد اسفرت الاتجاهات السياسية والطائفية عن ولادة اول جمعية بيروتية غير طائفية في التاريخ المعاصر ، وهي « جمعية بيروت الاصلاحية » وذلك في اوائل عام ١٩١٣ . واعتبرت هذه الجمعية بمثابة حزب او تكتل سياسي يجمع مختلف الطوائف الدينية في لبنان وطالبت هذه الجمعية بالحكم اللامركزي في اطار الدولة العثمانية .

وفي الوقت الذي بدأت تتنامى فيه حركة اليقظة القومية والاصلاحية ، كانت بعض القوى الطائفية تستغل فكرة « العروبة » والخلافات مع الدولة العثمانية ، واستغلت تلك القوى بعض الاخطاء المرتكبة في ولاية بيروت وبقية الولايات الشامية . وبدأت المنشورات السرية توزع في بيروت سراً منها منشور « إلى الامة العربية الوطن في خطر » [٣]. وكانت قوى السلطة المستقبلية في لبنان وراء اكثر هذه المنشورات المعادية للدولة العثمانية ، كي تمهد لعوامل الانفصال عن الحكم العثماني .

هذا وقد تداعت الجمعيات والقوى الطلابية العربية لعقد اول مؤتمر عربي في باريس عام ١٩١٣ ، وكان لبيروت الدور البارز في هذا المؤتمر نظراً لدور جمعية بيروت الاصلاحية والطلبة اللبنانيين الدارسين في باريس وقد رأى القنصل الفرنسي في بيروت « قوجه » في تقرير ارسله إلى وزير الخارجية الفرنسية في ١٦ ايار ( مايو ) ١٩١٣ بان اعضاء الوفد



الاصلاحي وسواه من الوفود السورية لن تبحث في المؤتمر موضوع الوحدة العربية وتكوين امبراطورية عربية مستقلة، لان مثل هذه الفكرة ستحاربها الدول الكبرى، ولكن هذه الوفود ستكون اكثر تواضعاً في مطالبها بحيث انها لن تطالب باكثر من نظام لا مركزي للبلاد السورية ومستشارين اجانب للمساعدة في اعادة ازدهارها [٤] .

في حين ان بعض القوى الاسلامية في دمشق عارضت هذا المؤتمر ، وارسلت برقية في ٢٥ ايار ( مايو ) ١٩١٣ إلى الآستانة، ومما جاء فيها « . . . ان بعض الشباب الجهلة المثقفين مع بعض الطلاب يريدون اقامة مؤتمر في باريس ، ان هؤلاء يدعون انهم يدافعون عن حقوق الوطن العربي ، وفي الواقع ليس لدى هؤلاء هدف اخر غير تدعيم التأثير الاجنبي على سوريا والبلاد العربية الاخرى ، إنهم خونة يخونون دينهم ووطنهم . . » [٥] .

وفي الوقت الذي كانت بعض القوى الاسلامية والوطنية تعمل في باريس من اجل تحسين مستوى البلاد السورية في اطار اللامركزية وتحت رعاية الدولة العثمانية ، كانت بعض القوى الطائفية والمرتبطة بفرنسا تعمل للاستقلال عن الدولة العثمانية للارتباط بفرنسا وللتمهيد لاحلالها وسيطرتها للبلاد السورية . وكانت هذه القوى ممثلة بممثلي السلطة والحكم في المستقبل القريب للبنان ومنهم : شارل دباس الذي سيكون اول رئيس للجمهورية اللبنانية ، شكري غانم ، ندرة

المطران ، جميل معلوف ، خليل زينيه ، وايوب ثابت الذي سيصبح رئيساً مؤقتاً للجمهورية اللبنانية عام ١٩٤٣ ، الببر سرسق ، اسكندر عمون .

اما القوى الاخرى فهي التي اصبحت في المستقبل قوى المعارضة والقوى المطالبة بالوحدة السورية ومنهم : سليم علي سلام رئيس المؤتمرات الوحدوية ، احمد مختار بيهم،الشيخ احمد طبارة ( اعدم على يد جمال باشا ) . الشيخ احمد عباس الازهري وسواهم من اعضاء جمعية بيروت الاصلاحية .

هذا وقد انتهى المؤتمر العربي الاول في باريس إلى مقررات يطالب باللامركزية وليس بالانفصال او الاستقلال ، كما اسفر المؤتمر عن انقسام بين اعضاء جمعية بيروت الاصلاحية نظراً للتباين بين الاراء .

ومن الاهمية بمكان القول انه لما انتهت الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، تألفت الحكومة العربية الاولى في دمشق بقيادة الأمير فيصل بن الشريف حسين ، كما اعلن رئيس بلدية بيروت عمر الداعوق قيام الحكومة العربية في بيروت ، واعلنها رياض الصلح في صيدا ، بينما اعلنها الشيخ عبد الحميد كرامي في طرابلس وحبيب باشا السعد ( وهو ماروني ) في بعبدا .

ان نوع السلطة والحكم في بيروت ولبنان له مدلول تاريخي خاص فيرى زين زين ان السياسة التي اتبعها الامير



فيصل بن الشريف حسين ولورنس كانت سياسة قصيرة النظر والى انه كان خطأ نفسياً وسياسياً ان يوفدا شكري الايوبي لتشكيل « حكومة عربية هاشمية » في جبل لبنان باسم ملك الحجاز متجاهلين تركيب لبنان وتاريخه الانساني ، فان هذه الخطوة لم تثر شكوك فرنسا في نوايا فيصل فحسب ، بل انها أثارت قلقاً شديداً في نفوس الفرنسيين فيما يتعلق بنوايا بريطانيا في لبنان [٦] . فيما يذكر ساطع الحصري بان السوريين رحبوا بمجيء القوات العربية إلى دمشق ، كما ان المدن اللبنانية اشتركت في هذا الترحيب والتأييد ، ورفعت الرايات العربية على الدوائر الحكومية والدور الخصوصية ، علماً انه لم يتواجد في لبنان من القوات العربية سوى ضابطين مع عدد قليل من الجنود ارسلوا لتنظيم الوضع فيه [٧] . ثم ان الامير فيصل اذاع بلاغاً رسمياً في ٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩١٨ اكد فيه على المساواة بين مختلف الاديان والمذاهب ، ومما قاله : « وليعلم جميع الناس ان حكومتنا العربية قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة ، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظرة واحدة لا تفرق بين المسلم والمسيحي والموسوي ، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتحكيم دعائم هذه الدولة التي قامت باسم العرب ، وتستهدف اعلاء شأنهم وتأسيس مركز سياسي لهم بين الامم الراقية » [٨] .

وقد تبين بأن فرنسا وبريطانيا اتفقتا على ضرب الحكومة العربية في بيروت وبالفعل فبعد ايام قليلة من ولادتها انزل

الفرنسيون العلم العربي من مناطق بيروت ، وبدأوا يدسون بين اللبنانيين وينشرون الاشاعات الطائفية لاستمالة المسيحيين ، ومنها قولهم ان جيش الثورة العربية هو جيش حجازي بدوي ، وان الحكومة العربية هي حكومة دينية رجعية ، وانها سترجع في كل شيء إلى الشريعة الاسلامية وستقضي على حقوق المسيحيين ، مع العلم ان الحكومة العربية في بيروت ودمشق ضمت الكثير من المسيحيين من وزراء ومسؤولين . وقد وجدت دعاية الفرنسيين ـ رغم عدم صحتها ـ بعض الآذان الصاغية بين الجهلة والمتعصبين (٩) .

ان موقع السلطة والحكم عندما يكون بيد القوى الاسلامية والعربية يختلف كثيراً عما يكون عليه بيد القوى المسيحية . ولا نذكر ذلك من واقع طائفي ذميم ، وإنما لاسباب تاريخية وموضوعية . وبسبب حساسية الموقع ، وحساسية المواطن المسيحي من الحكم الإسلامي او الحكم العربي . ففي الوقت الذي تألفت فيه الحكومة العربية في بيروت حرص المسلمون ـ وهم في موقع سلطة جديدة ـ على اشراك المسيحيين معهم في الحكم ، وقد اشرك عمر الداعوق معه في ادارة الحكومة في بيروت كل من : الفرد سرسق ، جان فريج ، ورامز سركيس ، يوسف عودة ، نسيم مطر ، مخايل طراد بالاضافة إلى العناصر الإسلامية : سليم علي سلام ، أحمد مختار بيهم ، صلاح عثمان بيهم ، سليم الطيارة ، محمد فاخوري وسواهم .



وكانت هذه التشكيلة الحكومية ـ الادارية مؤشراً واقعياً لتوجهات المسلمين القائمة على ضرورة التعاون والمساواة بين المسلمين والمسيحيين ، رغم ان المسلمين في تلك الفترة كانوا اصحاب السلطة وكان باستطاعتهم استغلال ظروف ما بعد الحرب العالمية الاولى ولكنهم رفضوا اتباع هذا الاسلوب .

ويذكر الرئيس صائب سلام انه بالرغم من قصر عمر الحكومة العربية في بيروت ( من ١ تشرين الاول إلى ١١ تشرين الاول ١٩١٨ ) غير انه تبين من خلال هذه الفترة القصيرة مدى التعاون الوطني الاسلامي ـ المسيحي دون تمييز او استغلال او استقواء ، وقد عاش جبل لبنان في خلال هذه الحقبة مع ساحله « في ظل حكم عربي متحرر برخاء من غالبية اهله وبنيه » (١٠) .

ولما قضي على الحكومة العربية في بيروت . وسيطرت فرنسا على بيروت ولبنان وما ان دخل الجيش الفرنسي إلى بيروت والمناطق حتى بدأ الم ودهشة المسلمين تظهر ليس بسبب دخول الفرنسيين إلى لبنان والقضاء على الحكومة العربية فيه فحسب ، ولكن بسبب التبدل السريع في مواقف المسيحيين من المسلمين ومن ثم الاستقواء عليهم بالاعتماد على الجنود الفرنسيين « الغرباء » ولعل اكثر ما حزّ في نفوس المسلمين تلك التظاهرات المسيحية الترحيبية الزاحفة من الاشرفية وجبل لبنان إلى مرفأ بيروت ترحيباً واستقبالاً للجنود

الفرنسيين « الذين خلصونا من الاستعمار التركي والإسلامي » على حد قولهم . مع العلم انهم قبل ايام قليلة كانوا يحتفلون مع اخوانهم المسلمين باقامة الحكومة العربية في بيروت وفي بعبدا [١١] .

واشار الرئيس صائب سلام إلى تبدل مواقف المسيحيين بعد دخول الفرنسيين إلى لبنان فقال « لهذا نرى انه عندما سنحت الفرصة بدخول سلطة الانتداب الفرنسي . . رحب هؤلاء بالحكم الانتدابي . ورأوا فيه فرصة تاريخية ذهبية لتحقيق شخصيتهم وتثبيت امتيازاتهم » [١٢] .

ويصف الشيخ السيد محمد رشيد رضا ( صاحب مجلة المنار ) الاوضاع السياسية والإجتماعية لمدينة بيروت بعد ان قام بزيارتها اثر خضوعها للسيطرة الفرنسية ومما قاله : « ان السلطة الفرنسية اعتمدت في ادارة المنطقة الغربية ( لبنان ) على النصارى لا سيما الموارنة منهم ، فأكثرت من توظيفهم ، ورأى النصارى ان الدولة قد دالت لهم فرضوا بذلك وسروا به ، ولم يكن للمسلمين يد عندهم في تلك الايام القليلة التي صار امر الحكومة إليهم فيها ، فاعرضوا عن المسلمين ، بل صاروا يؤذونهم بالقول والفعل ، واعتزوا عليهم وعتوا عتوا كبيراً ، لم يفعل المسلمون شيئاً منه في دولتهم التي تعد بالايام لا بالشهور ولا بالسنين» واضاف السيد محمد رشيد رضا بأن المسيحيين « نسوا كل ما كان قبل ذلك من حرص المسلمين على الاتفاق معهم قبل الحرب العامة حتى رضوا ان يكون لهم



نصف الاعضاء في مصالح الحكومة المنتخبة وغير المنتخبة ، وذلك فوق ما تقتضيه النسبة العددية العادلة » . واضاف السيد محمد رشيد رضا متألماً من موقف المسيحيين ازاء المسلمين قائلاً : « وقد اشتهر المسيحيون ما وضعوه من الاناشيد في ذم المسلمين واهانتهم وانشادها في الشوارع والاسواق في بيروت يوم عيد الفصح ، ولولا ان اعتصم المسلمون بالصبر والحلم لوقعت يومئذ مقتلة فاضحة تعد سبة لسوريا ما بقي الدهر » [١٣] .

وبعد جملة من التطورات السياسية والطائفية والاقليمية والدولية اعلن الجنرال غورو في الاول من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٢٠ ولادة دولة لبنان الكبير المنفصلة عن سوريا الأم وقد احدث ذلك انقسامات حادة بين اللبنانيين: سكان الساحل المسلمون رفضوا رفضاً قاطعاً اعلان غورو . اما سكان الجبل لا سيما الموارنة فقد اعلنوا تأييدهم لدولة لبنان الكبير ، بالرغم من تخوف البطريرك الماروني من هذه الصيغة الجديدة التي جعلت من المسلمين اكثرية سكانية ، مما ادى برأيه إلى الاخلال بالتوازن الطائفي .

وما هي إلا سنوات قليلة في ظل التيارات الطائفية والسياسية المستمرة ، حتى بادرت سلطات الانتداب الفرنسي إلى اقرار الدستور اللبناني في ٢٣ ايار ( مايو ) ١٩٢٦ ، وفي ٢٦ منه اختارت فرنسا شارل دباس ليكون اول رئيس للجمهورية اللبنانية ، ولم يكن مارونياً بل كان أرثوذكسياً .

وكان اول المعارضين على اختياره : البطريرك الماروني الياس الحويك الذي اعتبر ان الرئاسة الاولى هي حق للطائفة المارونية ، مقترحاً نجيب باشا ملحمه ليكون اول رئيس للجمهورية ، غير ان فرنسا اقنعته بان خير من يتولاها في هذه الظروف هو مرشحهم الارثوذكسي (١٤) .

من المحطات الاساسية في تاريخ لبنان : اعلان دولة لبنان الكبير ، واعلان الجمهورية اللبنانية ، وقد تم ذلك بارادة وموافقة وتدبير فرنسا . فما معنى ذلك في الاطار السياسي وفي اطار السلطة والحكم ؟

في ظل هذه الظروف ، فان أي قرار من موقع السلطة اللبنانية لن يكون قراراً لبنانياً ولا قراراً مستقلاً . فالمندوب السامي الذي اوجد لبنان الكبير ، ثم الجمهورية اللبنانية هو صاحب القرار اولاً واخيراً ، واستطراداً فان الكيان اللبناني الجديد هو قرار دولي بالاضافة إلى انه قرار فرنسي ، ولذلك ان القرارات اللبنانية كانت تمر بمرحلة « الفرنسة » قبل ان تخرج إلى حيز الوجود .

ولكن كيف ترجمت السلطة اللبنانية قراراتها وقوانينها او بالاحرى كيف نفذت السلطة الفرنسية هذه القرارات وهذه القوانين ؟

ان السلطة الطائفية المتفرنسة مارست ضغوطها واذلالها للقوى الاسلامية والوحدوية المسيحية . وعلى سبيل المثال



فقد قامت حكومة حبيب باشا السعد في اواخر كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٢٨ بمحاولة للقضاء على اللغة العربية بجعل اللهجة العامية لغة رسمية يمكن لطالب البكالوريا ان يتقدم فيها في امتحاناته . وكان وراء هذا القرار اتجاهات طائفية وتعصبية ، وقد صارح رئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية محمد جميل بيهم بذلك وزير المعارف اسبيردون ابو الروس وقال له : « . . ارى ان القصد من ذلك هو ايجاد لغة مستقلة عن اللغة العربية تتخذها الجمهورية اللبنانية اللغة الاساسية زيادة في تفكيك عرى الاتحاد ما بينها وبين سائر سوريا ، ويعز علي ان يتناسى اهل لبنان ان اللغة العربية ليست هي لغة الاسلام فحسب ، وإنما هي لغة للعرب كافة استعملها المسيحيون والمسلمون سواء . . . » (١٥) .

هذه هي احدى بدايات السلطة والحكم للجمهورية اللبنانية ، وكانت البدايات والممارسات ولسنين طويلة مقدمة لتقسيم اللبنانيين ولاشعال حروب نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية وطائفية بين مختلف فئات الشعب .

وفي ٩ تموز ( يوليه ) ١٩٢٩ كتب جبران تويني في صحيفة « الاحرار » يدافع عن العروبة والقومية العربية ويهاجم فكرة التعصب والطائفية ومما قاله : « إلى المتفرنجين نحن عرب قبل ان نكون مسيحيين ومسلمين » وهاجم صحيفة ( Lo-rient ) لأنها زعمت «ان لبنان بلد غير عربي وان حضارته نصرانية . من الخطأ ان يقال انه بلد ذو حضارة نصرانية فهو

بلد عربي ، وسواء اكان اهله فينيقيين ام ارامیین ام سریاناً ، فقد استعربوا وامتزجوا في هذه البوتقة العربية واصبحوا يؤلفون مع عرب لبنان قوماً عربياً . . » (١٦) .

ان موقع الماروني في الحكم والسلطة يثير شكوك المسلمين نتيجة تجارب عديدة منذ بداية عهد الانتداب الفرنسي ، وقد حدث ان تولى رئاسة الوزراء اميل اده فكانت اولى قراراته إلغاء المدارس الحكومية التي كان يستفيد منها ابناء المسلمين والمسيحيين الفقراء . لذلك واجه المسلمون موقع الحكم والسلطة ، ففي ٩ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٢٩ عقد المسلمون اجتماعاً ضخماً في دار مفتي بيروت بحضور النواب المسلمين . وقد اصدر المجتمعون مذكرة نددوا فيها بالقرار لان اهدافه تشريد ابناء المسلمين واحلال الحروف اللاتينية مكان اللغة العربية وقتل الثقافة العربية (١٧) .

وقد أكد القنصل البريطاني في بيروت بان مسلمي الساحل عقدوا مؤتمراً إسلامياً كبيراً للنظر في وضع الطائفة الاسلامية ، ولاتخاذ الوسائل التي تؤدي إلى حفظ حقوقها المهددة . واضاف انه يظهر بوضوح ان السنة والشيعة ليسوا وحدهم يعانون من هذه الامور ، بل ان الدروز أيضاً يعانون منها وانهم مهيأون لاخذ دور في المؤتمر الإسلامي . ورأى القنصل البريطاني في شباط ( فبراير ) ١٩٣٠ بان مشكلة المدارس الحكومية والتربية الخاصة باطفال المسلمين هي المشكلة التي طرحها المؤتمر الاسلامي ، وان المسلمين اعتبروا ان اقفال



المدارس الرسمية هو قرار موجه ضد المسلمين (١٨) .

ومنذ العام ١٩٣١ بدأ الصراع واضحاً في لبنان على الحكم والسلطة فبدأت الاستعدادات لانتخابات رئاسة الجمهورية . وكان الصراع واضحاً بين الموارنة انفسهم امثال : الشيخ بشارة الخوري ، واميل اده ، ومن المرشحين الآخرين حبيب باشا السعد ، وجورج ثابت ، اما المفاجأة في هذا الاطار فهو ترشيح شيخ ومسلم وسني لرئاسة الجمهورية الا وهو الشيخ محمد الجسر ، الذي كان له حظ وافر في النجاح ، وكان معنى ذلك إلغاء طائفية رئاسة الجمهورية عملياً ، هذه الطائفية التي اصبحت في لبنان حزباً مذهبياً ، وكاد محمد الجسر « السني » يصبح رئيساً للجمهورية بعد شارل دباس « الارثوذكسي » (١٩) .

وفي هذه الفترة تعاون المندوب السامي الفرنسي مع البطريركية المارونية والاوساط السياسية المارونية على ابعاد الشيخ محمد الجسر عن مواقع السلطة والحكم وبالمقابل قامت القوى الاسلامية تطالب بالمداورة في تولي منصب رئاسة الجمهورية مما حدا صحيفة « لسان الحال » في ٢٥ آذار ( مارس ) ١٩٣٢ للقول : « نحن ننكر على الطوائف ايا كانت ان تطالب بالرئاسة لاحد منها ، ونجيز لاي كان من اللبنانيين مهما كانت طائفته ان يسعى إلى الرئاسة وان يتولاها بشرط ان تتوفر له الصفات اللازمة لمن يولى هذا المنصب السامي ، فالمسألة مسألة كفاية وجدارة لا مسألة دين ومذهب » (٢٠) .

غير ان القوى الطائفية والاوساط الفرنسية لم تكن تؤيد الاتجاه الوطني والوحدوي ، فالسياسة الفرنسية حرصت على ابعاد المسلمين عن منصب رئاسة الجمهورية ، والتمديد للرئيس شارل دباس وحل المجلس النيابي وتعليق الدستور ، وقد ادعى المفوض السامي « بونسو » ( Ponsot ) ان حل المجلس النيابي وتعليق الدستور تم لاسباب مالية وتوفيراً للنفقات على الخزينة .

وقد اشارت التقارير السرية الفرنسية إلى قضية ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية ، ومما جاء في برقية المفوض السامي إلى وزارة خارجيته في ٢٢ آذار ( مارس ) ١٩٣٢ « ان الدستور يسمح له بالترشيح ، ولكن نجاحه في الوصول إلى هذا المنصب سيضع الانتداب في موقف حرج جداً ، ولن يكون بامكان المفوضية العليا التزام الصمت في هذا الموضوع » .

ونظراً لاهمية منصب رئاسة الجمهورية في موقع السلطة والحكم ، فقد أبدى د . جورج سمنة صاحب مجلة « مراسلات الشرق » ( Correspondances Dorient ) في ٧ نيسان ( ابريل ) ١٩٣٢ رأيه في هذا الموضوع ، وارسل رسالة إلى رئاسة الوزارة الفرنسية اكد فيها على ضرورة بقاء لبنان بطابعه المسيحي لاقامة التوازن مع بقية الدول الاسلامية وقال : « ان معركة انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية قد دخلت في طور الحدة ، فالمرشحون المسيحيون يتنافسون فيما



بينهم ، وهذا ما يثير الخشية الحقيقية من امكانية وصول شخصية اسلامية إلى هذا المنصب» واثار جورج سمنة إلى انه «لا بد من التذكير ان دولة لبنان الكبير كانت بهدف اقامة التوازن في المنطقة مع الوزن الإسلامي لسوريا وذلك بجعل لبنان القاعدة الاساسية للنفوذ الفرنسي في شرقي المتوسط » .

اما برقية القوى الإسلامية المرسلة الى رئاسة الوزراء الفرنسية فقد جاء فيها : « ان المسلمين في لبنان يشكلون نصف السكان ويمتلكون ثلاثة ارباع الثروة الوطنية فيه لذا يعتبر المسلمون في لبنان ان الترشيح لرئاسة الجمهورية هو من ابسط حقوقهم الطبيعية والمشروعة . . . فالمسلمون يحتجون بشدة على المداخلات الرامية إلى قطع الطريق امام المرشح المسلم تمهيداً لفرض مرشح مسيحي ، فمثل هذه المداخلات تعتبر انتهاكاً صارخاً للدستور ولحقوق المسلمين المقدسة » .

وفي ٢١ نيسان ( ابريل ) ١٩٣٢ اكد « بونور » ( Bounoure ) ـ مستشار التربية في المفوضية الفرنسية في بيروت ـ بعد مقابلته للشيخ محمد الجسر ، بان الجسر انتقد سياسة فرنسا الطائفية وان هدف هذه السياسة الاعتماد على نظام برلماني مشوه « ويسمح دوماً ان تبقى هذه الاكثرية الإسلامية مغلوبة على امرها » .

بينما اكد المفوض السامي « بونسو » « ان امكانية وصول الشيخ محمد الجسر إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية كبير جداً بسبب تماسك الكتلة الاسلامية ، لذا فنجاح الشيخ الجسر

سيضع فرنسا في واجهة سياسية صعبة جداً ، لأن نفوذنا في المشرق يرتكز اساساً على المسيحيين البنانيين اعواننا التقليديين » .

اما البطريرك الماروني فقد انتقد الانقسامات المارونية وانقسامات المطارنة الموارنة والسياسيين على حد سواء . ثم ما لبث ان اكد « بونسو » بان مسألة السلطة في لبنان وانتخاب رئاسة الجمهورية متعلقة بالعلاقات السورية ـ اللبنانية ، لأن وصول مسلم إلى الرئاسة سيؤدي إلى تشدد السوريين في مباحثاتهم مع الفرنسيين . وقد اجاب وزير الخارجية الفرنسية في ٢٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٣٢ مؤكداً على هذه الحقائق ومما قاله : « يجب ان تضع كامل ثقل المفوضية العليا من اجل انتخاب رئيس مسيحي للبنان ، فنجاح الشيخ محمد الجسر لن يلبث ان يلهب شعور الوطنيين السوريين ويزيد من حماسهم ضدنا ايضاً ، بالرغم من انهم وحدهم يتحملون تبعات الهزيمة الناتجة عن انقسامهم » (٢١) .

والحقيقة فان فرنسا والقوى الطائفية وبعض القوى الدولية استطاعت تحقيق مبتغاها ورسم صورة مستقبلية طائفية للكيان اللبناني الذي تمذهب سلطة وحكماً . ولما شعرت فرنسا بان الامور هدأت نسبياً سلمت الرئيس اميل اده مهام رئاسة الجمهورية في ٣٠ كانون الثاني ( يناير ) ١٩٣٦ وفي عهده تزايدت « القبضة المارونية » على السلطة وبدأت الدولة وبمساعدة فرنسية واضحة » « تتمورن » تباعاً ، كما تزايدت في



عهده حدة التيارات الطائفية .

ولما رأت القوى الإسلامية والوحدوية المسيحية هذا الواقع ، وبمناسبة بدء المباحثات الفرنسية ـ اللبنانية لعقد معاهدة مشتركة في عام ١٩٣٦ ، تداعت القوى المعارضة للسلطة وللانتداب لعقد « مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة » (٢٢) في ١٠ آذار ( مارس ) ١٩٣٦ في منزل سليم علي سلام في بيروت . وبعد ان اشار سلام في مقدمة كلمته عن سبب عقد المؤتمر قال . « . . . دعوناكم لعقد مؤتمر نقرر فيه موقفنا نحن ابناء الاقضية والمدن المنسلخة عن امنا سوريا . . . » .

ولما تحدث الشيخ احمد عارف الزين اشار إلى ان الوحدة السورية هي حيوية وهي الخطوة الاولى للوحدة العربية . ثم تحدث صلاح لبكي باسم الحزب القومي السوري الاجتماعي ( وهو مسيحي من بعبدات من جبل لبنان ) فقال : « ارجو ان يسجل ان خمسة عشر الف فتى من فتيان لبنان يطلبون الوحدة السورية . . . وشباب لبنان اليوم لا يرضون ان ينفصلوا عن امهم » . وتحدث المحامي فوزي بردويل ( مسيحي من زحلة ) وقال « كان بعض الغلاة يطلبون في الماضي ان يكون لبنان منفصلاً عن سوريا أي ان يعيش وحده ، واما الشباب اللبناني المثقف فهو يرى اليوم ان مصلحة لبنان هي الوحدة السورية ، ثم في الوحدة العربية » واوضح يوسف يزبك ( وهو مسيحي ماروني من بلدة الحدث في الضاحية الشرقية الجنوبية لبيروت ) باسم الموارنة الوحدويين : « لي الشرف أيها

الاخوان أن اكون في طليعة الشباب المنتسب إلى المارونية ومن جبل لبنان الذي نادي بالفكرة العربية وطلب الوحدة السورية الشاملة لسوريا الجغرافية شرط ان تكون سوريا جزءاً من الاتحاد العربي » غير ان يزبك تمنى التريث في المطالبة بالوحدة بسبب عدم اقتناع المسيحيين بها .

وكان صلاح لبكي من الواعين لحقيقة ما يحدث في لبنان وفلسطين والمنطقة وقال موضحاً « نحن نطلب الوحدة السورية الشاملة خوفا من ان نقع في صهيونية اخرى » .

ولوحظ ان المؤتمرين انقسموا ما بين مؤيد للوحدة وما بين متحفظ وما بين معارض ، ولم يكن هذا الانقسام على اساس طائفي ، ففي حين نرى بان المسيحيين المؤتمرين يؤيدون طلب الوحدة السورية والعربية ، نرى بان ثلاثة من المسلمين يرفضونها وهم : كاظم الصلح ، عادل عسيران ، شفيق لطفي .

وقد اصدر كاظم الصلح في حينه كراس « مشكلة الاتصال والانفصال في لبنان » اوضح فيه سبب رفضه التوقيع على مذكرة « مؤتمر الساحل » وان طلب الوحدة يجب ان يجرى فيه التفاوض بين طالبيه وبين الفريق المسيحي دون الاجنبي . وتبين بان كاظم الصلح ليس ضد الوحدة التائمة على اساس قومي ، إنما ضدها طالما هي قائمة على مبدأ ديني او طائفي . ورأى ان الوحدة يجب ان لا تتم بقرار من المفوض السامي الفرنسي ولا بالتظاهرات ولا بارغام المسيحيين « نحن



لا نريد ان نبني وطناً نصف سكانه اعداء له ، وبكلمة اخرى نحن لا نريد ان يرغم ارغاماً فريق كبير من سكان الجبل على الانضمام إلى سوريا وطن الوحدة ، فمن الخرق ان تجدد التجربة التي حصلت في لبنان الكبير ، فجعلت نصف سكانه اعداء له . . . » .

هذا ومن الواضح ان المعاهدة الفرنسية - اللبنانية لم تتحقق كما ان الوحدة السورية لم تتحقق . ولكن خلافاً للطروحات القائلة بان المسلمين كانوا يشعرون بالغبن ، بينما المسيحييون كانوا يشعرون بالخوف ، فقد تبين بان المسلمين شعروا بالغبن والخوف معاً نتيجة استقواء سواهم بالفرنسيين ونتيجة ابعادهم عن السلطة . وصرح نائب البقاع الدكتور محمد امين قزعون مثيراً موضوع خوف المسلمين مندداً بتصريح مصدر رسمي « بان المناصب والوظائف ستنحصر « باللبنانيين الاقحاح » وقال : « لما كنا نحن من الملحقين بادرنا الشك في حقيقة مصيرنا وصرنا في حل وصار لنا الحق في تقرير المصير ، فالاقحاح لهم وطنهم ولنا وطن عزيز علينا يحبنا ونحبه ، يغار علينا ونغار عليه ، وبامكاننا ادارة شؤونه ولسنا بقاصرين» واضاف النائب قزعون انه بعد ان تحرر ابناء الملحقات لا يمكن « ان نسلم باستعبادنا مرة اخرى ، والله لنا ما للغير وعلينا ما عليهم ، واني اطلب من مفاوضي الملحقات ان لا يتساهلوا في امر لنا مشروع . . . »[٢٣] .

وفي احدى ردود « المؤتمر القومي الاسلامي » على

المفـوض الفرنسي دو مـارتل قـال رياض الصلح : « اننـا لم نتقدم بمطالبنا باسم الشعار الطائفي إلا لأن انفصال لبنان نفسه يستمد وجوده من الشعار الطائفي ، لولا الطائفية ما كـان لبنان منفصلاً عن سوريا ، ونحن مع ذلك مددنـا يدنـا للاتفـاق مع اخواننا ، وهذه يدنا لا تزال ممدودة . . » (٢٤) وبذلك حدد المسلمون موقفهم من لبنان الذي لولا الاتجاهات الطائفية لما سعت فرنسا إلى فصله عن سوريا وإيجاد كيان خاص به .

ومن الاهمية بمكان القول بان تحولات سياسيـة اساسيـة بدأت تطرأ على الفكر الطائفي في لبنان ، فاميل اده الذي تولى الحكم بين ١٩٣٦ ـ ١٩٤١ ، وبالتعاون مع السلطات الفرنسية بدأ يتقرب من القوى الاسلامية السنية ، ولاول مرة في تاريخ الجمهورية اللبنانية يتعاون اميل اده مع شخصية سنية طرابلسية هو خير الدين الاحدب الذي كلفه تشكيل الوزارة . وتعتبر هذه المرة الثانية (*) التي يتولى فيها مسلم رئاسة الوزراء بعد ان تـولاها من قبـل شخصيات مسيحيـة مثـال : اوغست اديب ، بشـارة الخوري ، حبيب بـاشا السعد، اميل اده نفسـه وكلهم موارنة .

وفي هــذه الفترة من شبــاط ( فبرايــر ) ١٩٣٧ وجـه « المجلس القومي الاسلامي » مـذكرة إلـى المفـوض السامي الكونت دي مارتل عارض فيها تجنيس المغتربين طالباً انصاف المسلمين معترفاً بالتريث بتحقيق الوحدة لاول مـرة ومما جـاء في المذكرة » ان المسلمين رغم تعلقهم بمبدأ الوحدة قد قنعوا



بالتريث في تحقيقها ريثما تتهيـأ اسبابهـا وظروفهـا باعتبـار ان قضية الوحدة قضية زمن فحسب ، وان احقاق الحق والمساواة بين الطوائف في الجمهورية اللبنانية امر ضمنتـه الوعـود التي قطعتها حكومة فرنسا ووعودكم الشخصية ونصـوص المعاهـدة الفـرنسية ـ اللبنـانية » واكـدت المذكـرة على ضرورة انصـاف المسلمين «لانصاف الذي يطلبون والذي وعدوا به والذي عليه يتوقف الاستقرار استقرار ينشده ابنـاء البلاد جمعيـاً » . وحذر المجلس القومي الاسلامي من صبغ لبنان بصبغة مارونية من خلال تجنيس المغتربين ، وان هـذا الامر « يتلخص بتضخيم بعض الطوائف تضخما وهميـاً على حساب طـوائف اخرى ، وهذه خطة قديمة اتبعت في الماضي وكانت عـاملاً كبيـراً من عوامل التبرم والتذمر والاضطراب » (٢٥) .

وبـالـرغم من ان اميـل اده نفسـه وعـد بتحقيق العـدالـة والمسـاواة بين جميع اللبنـانيين بواسـطة الرسـالتين (٦) و(٦) مكرر ، غير انه في الوقت نفسـه لم يعد يـأخذ بعين الاعتبـار موقع رئيس الوزراء في المشاركة في السلطة ، ولم ير مانعاً من جعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً فطـالب المسلمين بالـرحيل عن لبنان إلى الجزيرة العربية اذا ابدوا رفضهم لارائه ، وقد صرح في بـاريس في حزيـران ( يونيـة ) ١٩٣٧ : « اننا والسـوريون امتـان مختلفتان كـل الاختلاف . . . اننـا الجزيـرة المسيحية الوحيدة في هذا البحر الاسلامي » واضاف في تصريح آخر : ان اللبنـانيين يـرجعــون في الاصــل إلى ســلالات البحـر

المتوسط ، وانهم احفاد الفينيقيين (٢٦) .

وجاء في تقرير بريطاني حول زيارة اده لباريس بأنه تبين « بان سياسة فرنسا الشرق اوسطية يجب ان تمر عبر لبنان ، وكلما كانت هذه السياسة لبنانية كلما اصبحت فرنسية اكثر » وجاء في التقرير بان اده اعتبر الساحل اللبناني قاعدة فرنسية ، وليس لديه أي اعتراض على انشاء قاعدة بحرية فرنسية في لبنان (٢٧) .

وهكذا استمرت السلطة اللبنانية تسير في الاتجاه الطائفي بعيداً عن البعد الوطني والانتماء اللبناني . واستمر الحكم يكرس طائفيته ومذهبيته وفقاً لاهدافه الضيقة دون التطلع إلى آراء مختلف اللبنانيين . وازاء هذه السياسة نشأت « الكتلة الاسلامية » منذ عام ١٩٤٢ من مختلف المذاهب الاسلامية ( سنة وشيعة ودروز ) ، وبدأت تطالب بحقوق المسلمين ورفع التسلط عنهم ، وليس رفع الغبن عنهم فحسب ، فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد تدخلت القوى الاكليريكية المارونية في شؤون الدولة ، وضغط البطريرك الماروني على رئيس الجمهورية الفرد نقاش لاقالة رئيس الوزراء المسلم سامي الصلح ، فما كان من الكتلة الاسلامية إلا ان أرسلت مذكرة إلى رئيس الجمهورية اعربت فيها عن احتجاجها على تدخل البطريرك ومما جاء في المذكرة :

«شاع في الاوساط الإسلامية ان رسالة وجهت اخيراً من المقام البطريركي الماروني إلى فخامتكم يبسط فيها رغبته في



اقالة الوزارة الحاضرة لان اعمال رئيسها تتنافى على اعتقاده مع مصلحة الطائفة المارونية المحترمة ، وسمى خلفاً لدولة الرئيس سواه ممن يتمتع بثقته من المسلمين ، وقد قابلت هذه الاوساط على تعدد طوائفها النبأ بألم واستغراب لان دولة اعترفت الدول باستقلالها السياسي ، وفيها من المسلمين ما يناهز نصف سكانها جديرة بأن تكون مستقلة عن نفوذ الأفراد والجماعات الشخصي ومنزهة بسياستها العامة على ان تكون متمركزة على قاعدة تعزيز طائفة على الطوائف الاخرى . ونحن نجل غبطة البطريرك عن ان يفرض ارادته فرضاً على الحكومة التي هي للجميع على السواء ومع ذلك فانه لا يسعنا ازاء التأكيد لنا صحة الخبر ، الا ان ننقل اليكم ما كان له من الاثر المؤلم في النفوس منتهزين هذه الفرصة لنلفت انظار فخامتكم إلى المذكرة المرفوعة اليكم من كتلتنا بتاريخ ٣ تموز ١٩٤٢ على رجاء اهتمامكم لانصاف المسلمين في وطن لا سبيل للاستقرار فيه إلا بالانصاف. . . » (٢٨).

وبمناسبة قرب انتخابات المجلس النيابي اقال الجنرال كاترو الرئيس الفرد نقاش ورئيس وزرائه سامي الصلح ، وعين رئيساً للدولة النائب ايوب ثابت وهو بروتستانتي « متمورن » وكان مبدأه الثابت جعل لبنان وطناً قومياً مسيحياً تضمن سلامته فرنسا . وقد علق الدكتور جورج حنا على صفات الرئيس الجديد بالقول : « يستغرب من رجل كالدكتور ثابت معروف بعلمانية متطرفة ان يتمسك بمسيحية لبنان ، مع ما في ذلك من

خطر عليه وعلى مستقبله ، وهو محاط باقطار إسلامية من شرقه وشماله وجنوبه ، إلا اذا اسلم بصهيونية فلسطين شرارة النار في هذا الشرق » [٢٩] .

هذا ، وقد بدأ الرئيس العتيد ايوب ثابت يترجم عقيدته إلى أفعال متطرفة ضد المسلمين وضد وحدة اللبنانيين ، ففي ١٧ حزيران ( يونيه ) ١٩٤٣ اصدر مرسومين تشريعيين يحمل المرسوم الأول رقم (٤٩) وحدد فيه زيادة عدد النواب بـ (٥٤) نائباً ، (٣٢) مقعـدا للمسيحيين و( ٢٢ ) مقعـداً للمسلمين ، وقد توزعوا على النحو التالي :

| | |
|---|---|
| ١٨ للموارنة | ١٠ للسنة |
| ٦ للروم الأرثوذكس | ٩ للشيعة |
| ٣ للروم الكاثوليك | ٣ للدروز |
| ٣ للارمن الارثوذكس | |
| ٢ للاقليات المسيحية | |
| ٣٢ مقعداً | ٢٢ مقعداً |

ويبدو واضحاً من هذا المرسوم التخطيط الطائفي لصبغ لبنان بصبغة طائفية مسيحية وتحديداً بصبغة مارونية . اما المرسوم الثاني فيحمل الرقم ( ٥٠ ) وهو يتعلق بتوزيع زيادة



عدد النواب على المناطق الانتخابية ، كما تضمن ضرورة ادراج المهاجرين المسيحيين في السجلات الرسمية .

ومن الاهمية بمكان القول بان المسلمين احتجوا على هذين المرسومين احتجاجاً صارخاً نتيجة للممارسات الطائفية التي تمارس بحقهم وضدهم وبدأوا باجراء اتصالات محلية وعربية ودولية لاظهار وجهة نظرهم حيال هذه الممارسات ، فاتصلت الكتلة الاسلامية بالسكرتير العام للمفوضية الفرنسية وبالمفوض البريطاني في بيروت وارسلت مذكرات إلى المسؤولين العرب وفي مقدمتهم رئيس وزراء مصر مصطفى النحاس باشا ، وعقد اجتماع عام للقيادات الاسلامية في منزل مفتي الجمهورية الشيخ محمد توفيق خالد .

وبسبب هذه الاوضاع ارسلت المفوضية البريطانية من بيروت تقرير سري إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٩ حزيران ( يونيه ) ١٩٤٣ جاء فيه موقف المسلمين من التطورات وموقفهم وموقف المسيحيين من لبنان وقال السفير البريطاني : « كل المعلومات التي في حوزتي توحي بأن اللبنانيين انفسهم ما عدا القليل من المسيحيين المتعصبين غير الواقعيين ليس لديهم أي حماس للبنان مستقل . ويمكن القول بشكل عام ان المسيحيين ككل يريدون فقط الحماية من المسلمين ، وليس بينهم خلاف إلا على من ستكون الدولة الحامية هل هي : بريطانيا ، ام فرنسا ، او الولايات المتحدة الاميركية او تشكيلة من الدول الثلاث ؟ والمسلمون ، ومع

انهم على العمـوم يرغبون دوام الحكم الـذاتي ، فجميعهم يؤيدون اتحاداً سياسياً واقتصادياً مع سوريا كمرحلة اولى نحو اتحاد عربي واسـع .

فلبنان الحالي هو ـ في الواقع ـ مخلوق اصطناعي اوجدته السلطة المنتدبة الفرنسية بدون مبررات سياسية واقتصـادية ، ولا يسانده سوى فرنسا التي تأمل بانها باحتفاظها به ، تستطيع ان تسيطر على المناطق السورية المجـاورة » [٣٠] ويلاحظ بانه حتى العام ١٩٤٣ كان بعض الموارنة لا يـزالون يطالبون بدولة مارونية في لبنان وفي مقدمـة هؤلاء المطران اغنـاطيوس مبارك الذي اوضـح ان لا مانـع لديـه من ان ينضم المسلمين لسوريا ، شرط ان تبقى بيروت وجبـل لبنان والبقـاع خاضعة للبنان المسيحي وهذا يعطي بالمقارنة دولة مارونية متجانسة قد تصلح كملجأ لجميع الاقليات المضطهدة في الشرق .

هـذا ونتيجة لتـردي الاوضاع في البـلاد ونتيجة للتـدخل الغربي والدولي فقد اقال الجنرال « هللو » ( Helleu ) الرئيس ايوب ثابت وحكومته في ٢٠ تموز ( يوليه ) وفي ٢١ منه عين النائب الارثوذكسي بترو طراد رئيسـاً للدولة بشكـل مؤقت كما عين عبـد الله بيهم في منصب امين سر الـدولة . وقـد انتهت الازمة بتحديد عدد النـواب بـ ( ٥٥ ) نائبـا ، ٣٠ للمسيحيين و٢٥ للمسلمين ، أي كل ٦ نواب مسيحيين يقـابلهم ٥ نواب مسلمين على النحو التالي :



| | |
|---|---|
| ١٨ للموارنة | ١١ للسنة |
| ٦ للروم الارثـوذكس | ١٠ للشيعة |
| ٣ للروم الكاثـوليك | ٤ للدروز |
| ٢ للارمن | |
| ١ للاقليات | |
| ٣٠ مقعداً | ٢٥ مقعداً |

وبـالـرغم من ان التسـويـة جـاءت لمصلحـة المسيحيين والموارنة تحديداً غير ان البطريـرك الماروني انـطون عريضـة رفضها وبدأ يدافع عن المسيحية امام المفوض البريطاني سبيرز ومما قاله عن المسيحيين : « لقد قاتلوا (١١) قرناً وسيموتـون وهم يقاتلون اذا لزم الامر . لا يوجد سوى مسيحيين ومسلمين في الصـورة ، وقد صمم المسلمـون على محو المسيحيين ، وكل امتياز يمنح للمسلمين يشجعهم في اطماعهم » [٣١] .

ولوحظ بان الفـرنسيين والبريـطانيين ابدوا استياءهـم من المسيحيين بسبب التعنت وعـدم وضوح الـرؤيا إلا من وجهـة نظرهم الطائفية ، غيران الأمر انتهى إلى تلك التسوية في اعداد النواب التي لا يزال يعمل بها إلى اليوم .

وكـانت نتائـج انتخـابـات المجلس النيـابي تقلص عـدد النـواب الموالين لفـرنسا وتكـاثر عدد النـواب الوطنيين . وثمـا جرت انتخابات رئاسة الجمهورية في ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٣ فاز

المرشح المعادي لفرنسا وهو بشارة الخوري الذي اقام علاقات عربية قبل وصوله لرئاسة الجمهورية ، وهو بدوره اختار رياض الصلح ليكون اول رئيس لحكومة الاستقلال . وفي عهدهما تم الاتفاق على الميثاق الوطني الذي يتضمن ابتعاد المسلمين عن اتجاهاتهم الوحدوية وابتعاد المسيحيين عن طلب الحماية من الغرب ، وليس هناك أي نص او اتفاق على طائفية وتوزيع الرئاسات الثلاث بين الموارنة والسنة والشيعة .

لقد ظن اللبنانيون ان عهد الاستقلال الاول سيبدأ بالقضاء على الطائفية ولو تدريجياً ، وظنوا بان عهد الرئيس الشيخ بشارة الخوري لن يكون امتداداً طائفياً وسياسياً لسواه ولمن سبقه من العهود الطائفية .

لقد كان الحكم مسؤولاً بشكل مباشر عن انقسام اللبنانيين لانه لم يحاول مرة إلغاء التيارات الطائفية ، وكان مسؤولاً عن استمرار التوتر بين الفئات اللبنانية واستمر ولاء المواطن لزعيمه ولطائفته بل لمذهبه الديني قبل ان يكون موجهاً لوطنه . وقد تجلى التنافس الإسلامي ـ المسيحي في مظاهرات دينية لا تمت إلى الدين بصلة ، وكما يقول د . جورج حنا انه « كلما تهوس المسيحيون في دق النواقيس في كنائسهم ، يقابلهم المسلمون في مكبرات الصوت على المآذن ، وكلما حصلت مظاهرة في عيد مسيحي تقوم مظاهرة في عيد إسلامي . . . يحصل هذا ولبنان الحكم يتسم مدعياً حدبه على حرية الاديان وحرية المعتقد » (٣٢) . ويروي صاحب « مذكرات



بيروتي » بعض التيارات الطائفية في عهد الاستقلال ، فالمسلمون يقولون للمسيحيين : نحن هنا هذه بلادنا والمسيحيون يجيبون : لبنان وطننا القومي فابقوا فيه اقلية راضخة او اكثرية مسحوقة او فارحلوا فديار الإسلام واسعة امامكم (٣٣) .

واشار الزعيم كمال جنبلاط إلى خطورة الاتجاهات الطائفية وانقسام لبنان بين الطوائف ، فرأى ان خمس لبنان يحكم البلد بواسطة رئاسة الجمهورية والموارنة خمس اللبنانيين ، وخمس لبنان الاخر يحكم البلد بواسطة رئيس الحكومة والسنة خمس اللبنانيين ، والشيعي والدرزي والارثوذكسي والكاثوليكي والارمني والاشوري والكلداني وما إلى ذلك يحكمون لبنان هذا بخمسه وهذا بسدسه وهذا بعشره « كأننا في نظام العشائر والبطون والافخاذ » (٣٤) .

واعتبر الحكم في ابنان بصورة او بأخرى بان لبنان بلداً كاثوليكياً ، وهذا ما كان يثير نقمة المسلمين والوطنيين ، فمنذ عهد الاستقلال وسعي الحكم يتجه للحصول على اعتراف البابوية بلبنان . وقد اوضح السفير حليم ابو عز الدين بان الهدف من الاعتراف البابوي بلبنان صبغ الكيان اللبناني بالصبغة الكاثوليكية على الصعيد الدولي والمحلي . بل اكثر من ذلك فقد حرص الرئيس بشارة الخوري ووزير خارجيته حميد فرنجية على عقد اتفاقية بابوية ( Concordat ) يتم بموجبها ان يكون السفير البابوي عميداً للسلك الدبلوماسي في

لبنان، على غرار ما كان الوضع عليه في البلدان الكاثوليكية، بينما كان العرف والتقليد الدبلوماسي في غير البلدان الكاثوليكية يقضي بأن يكون عميد السلك الدبلوماسي السفير الذي يقدم اوراق اعتماده لرئيس الجمهورية ولو قبل ساعة واحدة من تقديم اوراق اعتماده أي سفير آخر ولو كان سفيراً لاكبر دولة في العالم . وعلى هذا فقد اعتبر لبنان الحكم والسلطة بان لبنان بلداً كاثوليكياً دون الاخذ بعين الاعتبار الطابع العربي له [٣٢] .

وتظهر الاتجاهات الطائفية في مواقع الحكم وممارستها ليس ضد المواطنين فحسب وانما ضد رؤساء الوزراء ، ففي اوائل عام ١٩٤٧ كشف الرئيس عبد الحميد كرامي معاناته كرئيس سابق للوزراء في عهد الرئيس بشارة الخوري وقال امام وفد ماروني : « افركبتمونا خمسة وعشرين عاماً وتريدون ان تركبونا مثلها ، ثم تحجرون علينا حق القول . فاين انصاف الاخ لاخيه ، السنا واياكم شركاء في هذا الوطن ، فلماذا لم تنصفونا، واذا لم تنصفوا فلماذا تنكرون علينا الجهر بالحق» [٣٦] وقد استدل من هذا القول برئيس وزراء سابق مدى معاناة المسلمين من السياسة الطائفية المارونية الممثلة برئيس الجمهورية وبشقيقه «السلطان سليم» وبالقوى السياسية الفاعلة المسيطرة على اجهزة الحكم والسلطة .

وكان رئيس الجمهورية حريصاً على تكريس الخلافات بين الزعامات الاسلامية لا سيما بين الزعامات



السنية المرشحة لرئاسة الوزراء . وبالرغم من اعتراف الشيخ بشارة الخوري من ان رياض الصلح هو الشخصية السنية المؤهلة للتأثير على الشارع الاسلامي غير انه اعتبر ان الاستمرار في تغيير رؤساء الوزراء انما هدفه ارضاء الزعماء السنة المتنافسين ، في الوقت الذي كان الهدف من وراء هذه السياسة تقوية السلطة الرئاسية ، وكذلك للحصول على وضع من القوة بشكل دائم ، وللحصول ايضاً على الدعم السياسي [٣٧] .

ان الممارسات في مواقع الحكم والسلطة لم تؤد يوماً إلى عملية السلام السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وعلى سبيل المثال فان تلك الممارسات اسفرت عن ازمات عديدة ، فقد شهد عام ١٩٤٦ العديد من الاضرابات العمالية ، في مقدمتها اضراب عمال الترامواي وسكة الحديد والريجي مطالبين بتحسين مستواهم الاقتصادي والاجتماعي ، بعد ان تبين لهم استغلال هذه الشركات لجميع العمال . وقد اثار النائب محمد العبود في المجلس النيابي هذه القضية وقال : « ها هو الشعب اليوم يديننا نحن النواب ، ولم يعد يقبل لنا عذراً » ورأى ان النواب لم يقدموا للشعب سوى ارهاقه بالضرائب بينما الدولة تتبع سياسة التبذير وهدد النائب محمد العبود بثورة الشعب وقال : « ان الشعب صابر على مضض ، ولكن هل نستطيع ان نضمن انه سيظل صابراً على مضض وان هذا التذمر المحصور لن ينفجر يوماً » [٣٨] .

وفي ٨ ايـار ( مايـو ) ١٩٤٦ رفض الرئيس سـامي الصلح الخروج من رئاسة الوزارة قبل الادلاء برأيه حول تدخل الرئاسة في الكثير من الامور فقد ألقى كلمة اشار فيها إلى المنـاورات التي تحاك من وراء الستار  وقد غمز من قناة رئيس الجمهورية وفسرت اقواله بانها انتقاد للرئاسة الاولى . وذكر سامي الصلح بـانه اكتشف سـراً من اسرار القصـر الجمهـوري وصف بـانـه « ميكروب فاسـد » اصاب جميـع مدراء الـدولة ، اذ اصبـح هؤلاء يذهبون إلى القصر الجمهوري ليقدموا فروض التبريـك والعبودية لسيد القصر ، واصبح همهم ارضاء رئيس الجمهورية وليس العمل للمصلحة العامة (٣٩) .

امـا النائب كمـال جنبلاط فقـد اتهم عام ١٩٤٧ الـدولـة والنواب والموظفين بـالفساد ، وفي احـدى الجلسات النيـابية وجه الاتهام إلى النائب ميشال مفرج قائلاً : انك اخذت مليوناً من الـدولارات فـارجـو منـك ان تـرجعهـا إلى صنـدوق الدولة (٤٠) .

وفي الـوقت الـذي كـانت تئن فيـه البـلاد من التـردي الاقتصـادي والاجتمـاعي والسيـاسي ، ومن انتشـار الفسـاد والـرشوة كـان رئيس الجمهوريـة يسعى لتجديـد ولايته ولايـة اخرى مبرراً ذلك بالتجديد للرئيس شكري القوتلي في سوريا وقيام حرب فلسطين .

وفي الوقت الذي كان فيه لبنان الرسمي يحاول التجاوب مـع مطالب القـوى العربيـة في لبنـان ، كـانت بعض القـوى



المـارونية السيـاسية والـدينية تعمـل ضد القضيـة الفلسطينيـة وتطالب بانشـاء وطن قومي يهـودي في فلسطين ووطن قـومي مسيحي في لبنـان ، وذلك في عـام ١٩٤٧ . وكان البـطريرك الماروني انطون عريضة والمطران الماروني اغناطيوس مبـارك والنائب الماروني اميل اده والنائب الماروني يوسف كرم وبعض السياسيين الموارنة المتطرفين قد اتفقوا فيما بينهم على مطالبة لجنة التحقيق الدولية على تبني رأيهم القائل بانشاء : الدولـة اليهودية والدولة المارونية ، واعتبرت تلك القوى المارونية بل حذرت لجنة التحقيق من الاخذ برأي الحكومة اللبنانية لانها ـ على حد زعمهم ـ حكومة غير شرعية (٤١) .

وبالفعل ففي ٥ آب ( اغسطس ) ١٩٤٧ ارسل المطران اغناطيوس مبارك مذكـرة إلى رئيس لجنة التحقيق الـدولية في جنيف ومما جاء فيهـا : ان لبنان عبـر العصـور حتى في العهـد العثماني إنما كان يتهرب دائمـاً من ضغوط الشعـوب العربيـة المحيـطة به . امـا فلسـطين فمـا ان دخلهـا المسلمـون حتى تعرضت للاهانة الشائنة وللاضطهاد وللنهب وللخراب والتنكيل لان « الكنيس والكنائس حولت إلى جوامع وقضي ـ لغـرض مقصود ـ على الدور الذي كان يمثله هـذا الجزء الشـرقي من البحـر الابيض المتوسـط» وزاد المـطران في اظهـار كـرهـه للمسلمين والعـرب بقولـه انه « ممـا لا ريب فيه ان فلسـطين كانت وطن اليهود والمسيحيين الاولين وان احداً منهم لم يكن من اصل عربي » . ثم اشاد باليهودي وبالمسيحي اللبناني وقال

عن اليهود : « فوجود مثل هذا الشعب المتطور العامل إلى جانب لبنان لا يمكن إلا ان يساهم في رفاهية الجميع . ان اليهودي يحقق المشاريع واللبناني سريع التكيف . . . ويستطيع هذان الشعبان ان يفتخرا بأن لديهما في الميدان الثقافي من المثقفين والمفكرين عدداً يعادل ما تحويه بلدان الشرق الادنى مجتمعة » . واعتبر المطران مبارك بان المسلمين والعرب جهلة قائلاً في مذكرته « فليس من العدل ان تشرع لهما القوانين اكثرية جاهلة تريد ان تفرض ارادتها » ثم راح المطران مبارك يطالب بضرورة انشاء وطنين مسيحي ويهودي « وان هناك اسباباً رئيسية اجتماعية وانسانية ودينية تقضي بأن يخلق وطنان للاقليات ، وطن مسيحي في لبنان ـ كما كان دائماً ـ ووطن يهودي في فلسطين . وسيكون هذان الوطنان مرتبطين ببعض جغرافيا ويتساندان ويتعاونان اقتصادياً ويكونان جسراً لابد منه بين الشرق والغرب سواء من الناحية الثقافية او الحضارية » . ثم اعتبر ان ذلك سيؤدي إلى صيانة السلام في المنطقة وإلى حماية الاقليات من الاضطهادات وختم مذكرته قائلاً : « ان لبنان يطالب بالحرية ليهود فلسطين ، كما يتمنى حريته الخاصة واستقلاله » (٤٢) .

وازاء نشر صحيفة « الديار » البيروتية لهذه المذكرة تزعزعت مجدداً فكرة السلام القائمة بين الفئات والطوائف اللبنانية ، وعمت الاضرابات بيروت وصيدا وطرابلس ، كما اصدر مفتي الجمهورية بياناً شجب فيه هذه التحركات في لبنان



والتحركات الصهيونية في فلسطين (٤٣) . كما شجبها البطريرك الكسندروس الثالث ـ بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس ـ الذي قال : « نحن نشجب من يقول ان لبنان وطن مسيحي ، فلبنان وطن لجميع ابنائه وسيظل لبنان على راس الدول العربية في الدفاع عن فلسطين والمسيحيون هم أول من يحمي فلسطين بدمائهم وأرواحهم . . . » (٤٢).

اما فيما يتعلق بوجهة النظر البريطانية من مذكرة المطران مبارك ، فقد اعتبر المفوض البريطاني في بيروت بان المذكرة احدثت احتجاجاً من الحكومة والنواب الموارنة والمجلس النيابي ، واعتبر ان تحركات المطران خطرة وخطورتها تكمن في امكانية حصول تصادم خطر بين فئات الشعب يكون جسيماً ، واشار إلى ان اساليب الحكم تدل على حكم مفلس والذي يلقى معارضة كبرى (٤٢) .

اما اثر السياسة الدولية على الوضع اللبناني في عهد الرئيس بشارة الخوري فقد بدا واضحاً من خلال النفوذ البريطاني الذي بدأ يتقلص تباعاً ليحل محله النفوذ الاميركي الذي زاد انقسام اللبنانيين حدة ، لا سيما مشروع المعاهدة الاميركية ـ اللبنانية الذي دار الحديث عنها عام ١٩٥٠ . وقد اشار النائب عبد الله اليافي وقتذاك إلى ان الحكومة الاميركية ضغطت واشترطت على الحكومة اللبنانية بانها لن تعقد معها معاهدة ما لم ينفصل لبنان تماماً عن سوريا (٤٦) . كما بحث

في الوقت ذاته مشروع الدفاع المشترك عن الشرق الاوسط وهو مشروع تزعمته الولايات المتحدة الاميركية مع مشاركة بريطانية وفرنسية واسرائيلية . وذلك بحجة الدفاع عن المنطقة ضد الكتلة الشرقية .

وفي الوقت نفسه كانت العلاقات اللبنانية ـ العربية علاقات متوترة لا سيما مع سوريا ، علماً ان العلاقات مع مصر والعراق وشرقي الاردن لم تكن على ما يرام ايضاً . ومما زاد في تعقيد الامور الداخلية في لبنان ، وضاعف في الانقسامات السياسية والطائفية هو حادث اغتيال رئيس الوزراء السابق رياض الصلح في عمان في ١٦ تموز ( يوليه ) ١٩٥١ . واشار فيليب نقاش في مذكراته ، بان اغتيال رياض الصلح كان له اثر واضح على الاوضاع اللبنانية والعربية على السواء ، فبعد اغتياله اختل التوازن الداخلي في لبنان واخذت السياسة العامة الداخلية تتردى في منزلقات كثيرة [٤٧] .

وفي ٢٠ تموز ( يوليه ) ١٩٥١ اغتيل الملك عبد الله على يد شاب فلسطيني . ومن الملاحظ ان اغتيال رياض الصلح والملك عبد الله اثر على الاوضاع اللبنانية والعربية ، لهذا اضطر رئيس الجمهورية إلى اجراء اتصالات محلية وعربية ودولية لتلافي ما يمكن حدوثه في لبنان ، فاجتمع مع القيادات السياسية ، كما اجتمع مع السفير البريطاني الجديد « شابمان اندروس » وطلب منه « ان ينبه حكومته بضرورة عدم الاقدام على تغيير الوضع الراهن جغرافياً وسياسياً في الشرق العربي ،



لان مثل هذا العمل يخلق مشاكل لا يعرف مداها ، فوعد بالايجاب وقال لي : ان من مصلحة الانكليز المحافظة على استقلال لبنان » [٤٨] .

وزيادة في حرص الرئيس بشارة الخوري على ابقاء الوضع الراهن في لبنان بعد اغتيال رياض الصلح والملك عبد الله ، فقد بدأ بمراسلة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بواسطة رئيس الوزراء السابق الحاج حسين العويني ، معتبراً ان العوامل الحارجية قد يكون لها مفعولها في سياسة لبنان الداخلية . وطالب الرئيس الملك ضرورة الاتصال بالانجليز والدول الغربية « لابقاء القديم على قدمه في هذا الشرق العربي » [٤٩] .

ومنذ اوائل عام ١٩٥٢ بدأت تسوء الاحوال الداخلية ، في لبنان ، وتفاقمت الاوضاع السياسية والاقتصادية ، وازدادت الإضرابات العمالية ، وتفشت ظاهرة اقتناء السلاح والصدامات المسلحة بين الاحزاب والجماعات والافراد . واشار نائب البقاع جان سكاف إلى الاوضاع السيئة ، وحذر بان الوضع اللبناني سيؤدي إلى حكم استبدادي وانهيار يضع لبنان تحت انقاضه ، واعتبر ايضاً بان الاضرابات المتتابعة والاشتباكات المسلحة الدامية لا سيما في البقاع وانتشار الاستياء والسخط والنقمة ليست سوى قرائن وتباشير وانذارات صارخة باسوداد افق المستقبل . كما اعتبر النائب علي بزي بان « ناقوس الخطر يدق » [٥٠] .

وكانت قوى المعارضة السياسية قد عقدت العزم على انهاء حكم الرئيس بشارة الخوري ، ومما زادها تشجيعاً نجاح ثورة مصر في ٢٣ تموز ( يوليه ) ١٩٥٢ بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر . وبمناسبة الثورة المصرية ارسل شارل مالك ممثل لبنان في واشنطن برقية مفصلة إلى الرئيس بشارة الخوري حول رأي الاميركيين بالتطورات المصرية وانعكاساتها على لبنان والمنطقة، نصحه فيها بضرورة معاملة اللبنانيين معاملة حسنة للمحافظة على الاستقرار والسلام في البلاد ومما قاله شارل مالك : «يثنى على لبنان لسيادة الاستقرار فيه وعلى فضل فخامة الرئيس بذلك . ومع ذلك يعتقد بضرورة القيام بكل ما يمكن لتثبيت هذا الاستقرار على أسس قوية واستدراك تذمر مختلف طبقات الشعب»[٥١] .

هذا وقد قامت « الجبهة الشعبية » المكونة من عدد من النواب والسياسيين ، بمضاعفة تحركاتها ضد الرئيس بشارة الخوري مطالبة بحدوث الانقلاب الذي يريح البلاد من الحكم الفاسد . وفي ٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢ القى رئيس الوزراء سامي الصلح بياناً في المجلس النيابي هو الاول من نوعه في تاريخ الانتداب والاستقلال معاً ، وهو يعتبر ـ البيان ـ الازمة الذي اطاح بعهد الرئيس بشارة الخوري نظراً لاتهام رئيس الوزراء المباشر لرئيس الجمهورية بالفساد والافساد ، ومما جاء في بيان سامي الصلح ، انه مما لا شك فيه ان ثمة نقمة وتذمراً وشكوى عامة من حالة الفساد والفوضى والطغيان ، وهي حالة شاذة تعانيها اجهزة الدولة منذ امد بعيد ، وهي نتيجة الاستهتار



بالقوانين والتجاوز على هيبة النظام وتسخير مرافق الدولة ومصالحها لحساب الافراد الذين يعملون من وراء الستار غير مقيمين حرمة للقيم الدستورية . ثم تحدث سامي الصلح عن تشابك الصلاحيات بين الرئاستين وتجزؤ الحكم بين السراي والقصر . وعن محاربة رئيس الجمهورية وانصاره لرئيس الوزراء قال : « اردنا تطبيق القانون فحاربونا ، حاربونا لاننا اردنا ان نطبق القانون القاضي بمنع المقامرة ، والقمار هو احد مواردهم السرية ، حاربونا لاننا شرعنا في مكافحة التهريب إلى اسرائيل لان هذه المكافحة تقطع عليهم الرزق الحرام . . . انهم يريدون ان يكون رئيس الوزارة آلة طيعة بأيديهم لتنفيذ مآربهم » .

واشار الصلح إلى ما جناه رئيس الجمهورية من كثرة الاموال والقصور وكيف ساهم وانصاره في تجويع الشعب وارهاقه . وطالب الصلح اخيراً باقالة رئيس الجمهورية في معرض تساؤله: كيف تريدون ان يتحقق اصلاح ونجاح اذا لم تستأصل شأفة العلة القاتلة وتقتلع جذورها[٥٢] .

وخلافاً لما كان متوقعاً فان رئيس الوزراء لم يستقل اثر الجلسة الصاخبة والبيان الذي القاه ، غير ان رئيس الجمهورية بادر على الفور إلى اصدار مرسومين نص احدهما على اقالة سامي الصلح وعلى قبول استقالة الوزراء جميعهم ونص المرسوم الثاني على تأليف حكومة ثلاثية من كبار موظفي الدولة قوامها : ناظم عكاري رئيساً وباسيل طراد وموسى مبارك وزيرين . ولكن لم

تبق هذه الوزارة سوى ستة ايام فحسب من ٩ ايلول ( سبتمبر ) إلى ١٤ منه . وقد علقت صحيفة « البناء » الدمشقية على الازمة اللبنانية انطلاقاً من فهمها لسياسة لبنان ، فأشارت إلى كيفية تأليف الوزارات ، اذ يتحكم القصر الجمهوري بتأليفها واقالتها واعطت امثلة على ذلك مثل حكومة الرئيس عبد الله اليافي التي عانت الكثير من تصرفات رئيس الجمهورية . كما ان حكومة الرئيس سامي الصلح عانت الكثير من « حكومات ما وراء الستار » ومن آل الخوري الذين بدأوا يتنازعون حول مصالحهم الفردية الامر الذي سمح لسامي الصلح بجمع المعلومات حول هذه المصالح (٥٣) .

ومهما يكن من امر فان تشكيل الحكومة الجديدة لم ترض قوى المعارضة ولذا فقد اجتمعت الجبهة الاشتراكية الوطنية المؤلفة من : الحزب التقدمي الاشتراكي ، حزب النداء القومي ، الهيئة الوطنية ، الكتلة الوطنية ، الكتائب اللبنانية والرئيس عبد الله اليافي . وقد وجهت هذه الجبهة بياناً إلى رئيس الجمهورية ابلغته فيه ان اضراباً شاملاً سيعلن في بيروت ابتداء من يوم الاثنين في ١٥ ايلول ( سبتمبر ) ، وظهرت بيانات جديدة للمعارضة تندد بحكم العائلة عائلة آل الخوري وانصارهم الذين استثمروا بؤس اللبناني وعملوا على افقاره ، وان هذه العائلة لن تتزحزح ما لم ترغم ارغاماً على ترك كرسي الحكم .

لقد حاول رئيس الجمهورية امتصاص نقمة المعارضة



والشارع بتكليف شخصية سنية تمثلت بالرئيس صائب سلام ، ولكن هذا التكليف الجديد لم يؤد إلى تهدئة الامور ، بل استمرت الاوضاع تزداد سؤا . وفي ١٧ ايلول ( سبتمبر ) بدأت ساعة الحسم السياسي بتكثيف الاتصالات الحزبية والسياسية ، وحاول رئيس الجمهورية كسب دعم الجيش اللبناني ، فاجتمع باللواء فؤاد شهاب مرغباً اياه بتولي رئاسة الجمهورية من بعده ، ولكن اللواء شهاب رفض هذا العرض ـ فما كان من رئيس الجمهورية إلا ان اقال الرئيس صائب سلام حتى لا يتسنى لشخصية اسلامية تولي رئاسة الجمهورية مؤقتا اذا ما خلا المنصب ولم ينتخب البديل ، وفي الوقت ذاته اصدر مرسوماً بتعيين فؤاد شهاب رئيساً للوزراء .

وفي هذه الفترة ، حاول رئيس الجمهورية ان يلعب الورقة الاخيرة ، في احداث شرخ بين المعارضة ثم بين اركان الطائفة السنية ، وبين المسلمين عامة ، فعرض رئاسة الوزراء على احمد الاسعد فرفضها ، ثم عرضها على الحاج حسين العويني فرفضها ايضاً ، ثم عرضها على الكثير من الشخصيات السنية مثل عبد الله اليافي وسعدي المنلا وسواهما فرفضوها ايضاً .

ونظراً لتردي الاوضاع الداخلية ، ولعدم قدرة الحكم على احلال السلام والامن والاستقرار في لبنان ، فقد قرر الرئيس بشارة الخوري اخيراً الاستقالة في ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٢ .

هذا ولا بد من تدوين مشاعر وآراء الرئيس بشارة الخوري

حيال الازمة السياسية التي مر بها ومرت البلاد بها، فبرر وجود الفوضى والفساد بان المسؤولية لا تقع عليه فحسب ، وإنما على الادارة وعلى الموالاة والمعارضة معاً ، وانه لم يكن يستطيع ان يراقب كل شيء في الدولة . وبعد تسع سنين وجد نفسه امام هذا الوضع وقال :

« معارضة ضارية ظالمة لا تعرف التحليل والتحريم يشجعها الاجنبي وموالاة متواكلة نائمة على الثقة وفي كثير من افرادها نهم ومطامع واحقاد . وبعد ان اقتطع كل ما اقتطع من نفوذ واسع وجاه عريض في مناطق عدة الحَق بي بعضهم البلاد مزرعة ما كانت يوماً لي ملكاً ولا مورداً . وزعموا اني اثريت على حساب الخزانة واني تملكت الاراضي الواسعة في كاليفورنيا والارصدة الضخمة في مصارف أوروبة واميركة . والله يعلم وهم يعلمون ما كان عليه شحيح دخلي ونضيض وفري . ونعت بالطاغية مع ما عرفه الناس عني من دعه ووداعة ، انا الذي اخشى الله واليوم الأخير» (٥٤).

ان هذه الاتهامات الموجهة إلى رئيس الجمهورية والممثلة بتحويل لبنان إلى مزرعة ، وبنهب ثروات البلاد ، وإلى الاستئثار بالسلطة والتشجيع على الفساد والفوضى والعائلية ، والتشجيع على ابقاء لبنان مزرعة طائفية ومذهبية هي في حقيقتها ليست اتهامات المعارضة ولا اتهامات الشعب فحسب ، بل هي مزايا قائمة تتمثل في طبيعة وجذور النظام السياسي



القائم في لبنان منذ ما قبل عهد الاستقلال والمستمر إلى اليوم .

ان دولة ـ كلبنان ـ تتميز بالنظام الطائفي والمذهبي ، وبتسلط الفرد وسيطرة العائلة مرة وحكم الحزب او العشيرة مرة اخرى، هذه الدولة لم يقدر لها ان تحيا حياة سلام وأمن واستقرار ، ولن تحيا حياة الدول المستقرة المتطورة في اطار من العدل والمساواة بين مختلف افراد الشعب . وان ما جرى ويجري في لبنان منذ عام ١٩٧٥ إلى الآن هو المحصلة الموضوعية لنظام غير موضوعي .

# مصادر البحث


١ ـ أنظر : كتابنا : دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣ . ص ٥ ، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٥ .

٢ ـ وجيه كوثراني : بلاد الشام ، ص ٢٥٦ ، بيروت ١٩٨٠

٣ ـ بيان « إلى الامة العربية ـ الوطن في خطر » بيروت ١٩١٢ ـ ١٩١٣ ، موقع عليه اسم « ميم » وهو من ضمن اوراقي الوثائقية التاريخية .

٤ ـ A. I. Smail, Documents Diplomtiques et Consulaires de Beyrouth, Vol.20, PP. 104 - 106, Beyrouth 1979.

٥ ـ حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨ ـ ، ص ٢٦٨، ٢٧٠ ـ ٢٧١، الدار الجامعية، بيروت ١٩٨٢ .

٦ ـ زين زين: الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان، ص ٨٤، بيروت ١٩٧١ .

٧ ـ ساطع الحصري : يوم ميسلون ، ص ٧٤ ، بيروت ١٩٤٨ .

٨ ـ ساطع الحصري : المصدر نفسه ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

٩ ـ ساطع الحصري : المصدر نفسه ص ٧٦ ـ ٧٧ .

١٠ ـ الرئيس صائب سلام : وهل فشل الاستقلال ، مجلة « المقاصد » العدد الاول ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٨١ ، ص ١٦٨ .

١١ ـ مقابلة مع السفير السابق المرحوم محمد علي حمادة في ٤ حزيران ( يونيه ) ١٩٨٢ .

١٢ ـ الرئيس صائب سلام ، المقال السابق ، ص ١٧٠ .

١٣ ـ السيد رشيد رضا : ما للمسلمين نائمين كأهل الكهف ، مجلة « المقاصد » العدد التاسع ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٨٣ ، ص ٣٨ .

١٤ ـ انظر : بشارة الخوري : حقائق لبنانية ، ج ١ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٤ ، ١٣٥ .

١٥ ـ صحيفة « الف باء » الدمشقية ، ١٠ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٢٨ .

١٦ ـ جبران تويني: في وضح النهار ـ مقالات مختارة ـ ص ١ ـ ٢ بيروت ١٩٣٩ .

١٧ ـ أنظر : الف باء ، ٨ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٢٩ ، العهد الجديد ١٢ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٢٩ .

١٨ ـ تقارير سرية من القنصل البريطاني ساتو إلى وزارة خارجيته تحمل الأرقام التالية :25 , 89 / 4556 / 11Feb . 1930 . No . 927 . in F . O . 371
Feb . 1930 . No E 1204 . in F . o . 371 /14557 / 89

١٩ ـ انظر : وليد عوض أصحاب الفخامة رؤساء لبنان ، ص ٥٠ ، بيروت ١٩٧٧ .

٢٠ ـ لسان الحال ، ٢٥ آذار (مارس) ١٩٣٢ .

٢١ ـ انظر : مسعود ضاهر: لماذا رفضت فرنسا وصول مسلم إلى رئاسة الجمهورية اللبنانية ؟ السفير ، ٢٥ ، ٢٧ آذار ( مارس ) ١٩٧٩ ، العدد ١٧٧١ ، العدد ١٧٧٣ .

٢٢ ـ للمزيد من التفصيلات أنظر كتابنا : مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة ١٩٣٦ ، ص ٧٥ ـ ٨٩ . بيروت ١٩٨٣ .

٢٣ ـ محضر الجلسة الاولى لمجلس النواب اللبناني ، ١٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٣٦ ، ص ٤ .

**(*) سبق ان تولى عبد الله بيهم ( سي من بيروت ) منصب أمين سر الدولة في عهد الرئيس حبيب باشا السعد عام ١٩٣٤ .**

٢٤ ـ النهار ، ١٤ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٣٦ .

٢٥ ـ أنظر كتابنا : مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨ ، ص ٣١٥ ـ ٣١٨ .

٢٦ ـ محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، جـ ٢ ، ص ١٠٧ .



٢٧ ـ E . Phipps to Eden , 5 July 1937 , No . 3735 , in F .o . 371 / 89 ( P . R . O .)

٢٨ ـ ملف الكتلة الاسلامية عام ١٩٤٣ ، مجمرعة جامعة بيروت العربية الوثائقية .

٢٩ ـ د . جورج حنا : من الاحتلال إلى الاستقلال ، ص ١٧٩ ، بيروت ١٩٤٦ .

٣٠ ـ British legation ( Beirut ) to foreign office ( London ) 29 June 1943 , in F .o . 371 / 226 / 379

نقلاً عن د . علي عبد المنعم شعيب : ازمة المرسومين ( ٤٩ ) و( ٥٠ ) ، السفير ٢٩ كانون الثاني ( يناير ) ١٩٨٤ ، العدد ٣٤٨٩ .

٣١ ـ د . شعيب : المرجع نفسه .

٣٢ ـ د . جورج حنا : العقدة اللبنانية ، ص ٩ ، بيروت ١٩٥٧ .

٣٣ ـ . . . عيتاني : مذكرات بيروتي ، ص ٧٠ ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧ .

٣٤ ـ كمال جنبلاط : حقيقة الثورة اللبنانية ، ص ٢٥ ، بيروت ١٩٥٩ .

٣٥ ـ من مقابلة شخصية مع السفير حليم أبو عز الدين في ١٣ آذار (مارس) ١٩٨١ .

٣٦ ـ العروبة ، جـ ١ ، كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٧ ، ص ١٧ ، ١٩ .

٣٧ ـ E. Salem , Cabinet Politics in lebanon , in M . E . J . Vol 21 , No . 4 Aut 1967 , PP . 490 — 492 .

٣٨ ـ مضبطة الجلسة السابعة لمجلس النواب اللبناني ، ٣٠ نيسان ( ابريل ) ١٩٤٦ ، ص ، ٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

٣٩ ـ مذكرات سامي الصلح ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ سامي الصلح : احتكم إلى التاريخ ، ص ٨٠ .

٤٠ ـ مضبطة الجلسة السابعة لمجلس النواب اللبناني ، ٢٤ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٧ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٨١

٤١ ـ أنظر التقرير السري البريطاني H . Boswall to F . o . no . E 7657 , of 20 August 1947 . in F . o . 371 / 61710 / 88

٤٢ ـ مذكرة المطران اغناطيوس مبارك إلى لجنة التحقيق الدولية في ٥ آب (اغسطس) ١٩٤٧ نقلاً عن: النهار، العدد ٣٧٠٠، ٣٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧.

٤٣ ـ Le Soir , 29 Sept 1949

٤٤ ـ النهار ، العدد ٣٧٠٠ ، ٣٠ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٤٧ .

٤٥ ـ H .Boswall ( Beirut ) to F . 0 . ( London ) no . E . 9986 of 30 Sept . 1947 , in F . 0 . 371 / 61710 /88

٤٦ ـ انظر كتابنا: التيّارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢، ص ٥٢٣، الدار الجامعية ـ بيروت ١٩٨٨ (الطبعة الثانية).

٤٧ ـ فيليب نقاش : ( مذكرات ) مشاهد تاريخية من الحياة العامة اللبنانية ١٩٠٨ ـ ١٩٧٣ ، بيروت ( لا . ت ) .

٤٨ ـ بشارة الخوري : حقائق لبنانية، جـ٣، ص ٣٩٩ .

٤٩ ـ بشارة الخوري ، المصدر نفسه ، جـ٣، ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

٥٠ ـ مضبطة الجلسة العاشرة لمجلس النواب اللبناني ، ٨ أيار ( مايو ) ١٩٥٢ ص ٢٢١٩ ـ ٢٢٥٧ .

٥١ ـ برقية شارل مالك ( واشنطن ) إلى وزارة الخارجية اللبنانية ( بيروت ) رقم ٥٠٩ ، في ٢٦ تموز ( يوليه ) ١٩٥٢ .

٥٢ ـ بيان الرئيس سامي الصلح ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢. انظر النص في: مضبطة الجلسة الأولى لمجلس النواب اللبناني، ٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢، ص ٢٥٠٥ ـ ٢٥٠٩، مذكرات سامي الصلح ١٨٩٠ ـ ١٩٦٠، جـ٢، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٧، النهار، العدد ١٥٢٨، ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢، البناء العدد ١٣، ١٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٢ وبقية الصحف.

٥٣ ـ البناء ، العدد ، ١٣ ، ١٠ أيلول ( سبتمبر ) ١٩٥٢

٥٤ ـ بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، جـ ٣ ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٧

## صدر للمؤلف

١ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩.
٢ ـ دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.
٣ ـ موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٥٢.
٤ ـ دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣.
٥ ـ التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢.
٦ ـ لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ ـ أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟
٨ ـ الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ ـ الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ ـ اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ ـ مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ ـ أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ـ سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.
١٣ ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية ـ سجلات المحكمة الشرعية
١٤ ـ بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ ـ مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ ـ العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ الأندلس، صقلية، الشام ـ.
١٧ ـ المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ ـ ١٩٧٨.
١٨ ـ مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨.
١٩ ـ العلاّمة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٧.
٢٠ ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ ـ الادارة المحلية الاسلامية ـ المحتسب ـ.

تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:

بيروت ـ تلفون ـ ٣١٦٣٦٦ ـ ٣١٧١١٨ ـ ص. ب ـ ٩٣٣٣ / ١١ ـ برقياً: ميمكاوي ـ تلكس:
**MAKAWI 43968 LE**

الكويت ـ تلفون ـ ٢٤٣٥٦٧٧ ـ ٢٤٢٤٨٨٤ ـ ص. ب ـ ٨٢٦٠ ـ برقياً: الطَّلبة ـ **FAX: 2426069**
الاسكندرية ـ تلفون ـ ٥٩٦٩٥٠٢ ـ ٥٩٦٠١٢١ ـ ص. ب ـ ٢٨٩ ـ برقياً: ميكاوي ـ **FAX: 5969502**



دراسات لبنانية وعربية
٥
د. حسّان حلاّق
اتحاد الأحزاب اللبنانية
لمكافحة الصهيونية
١٩٤٤ - ١٩٤٨
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الكورة
شكا
البترون
قضاء البترون
قضاء الهرمل
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
محافظة جبل لبنان
جونيه
جديدة المتن
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
محافظة البقاع
قضاء زحلة
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
قضاء صيدا
محافظة الجنوب
قضاء حاصبيا
عدلون
قضاء مرجعيون
صور
قضاء صور
الدار الجامعية

# اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية

## ١٩٤٤ - ١٩٤٨

د. حسان حلاق



# اتحاد الاحزاب اللبنانية
# لمكافحة الصهيونية
# ١٩٤٤ - ١٩٤٨

## تجربة لبنانية نضالية وطنيّة رائدة

ارتبطت القضية الفلسطينية بالقضية اللبنانية منذ بروزها بوضوح بعد العام ١٩١٨، وبالرغم من ان اللبنانيين خضعوا للانتداب الفرنسي غير ان اهتمامهم بالقضايا العربية لا سيما قضية فلسطين لم يتأثر كثيراً، فقد كان صراع الوطنيين اللبنانيين ضد الفرنسيين لاسباب لبنانية داخلية ولاسباب عربية خارجية كان في مقدمتها تطورات القضية الفلسطينية. وفي ضوء ذلك تبين بان الكثير من اللبنانيين ساهموا في الكفاح ضد الحركة الصهيونية واطماعها في فلسطين وقد تجلى ذلك في ثورة ١٩٣٦ .

واستمرت المساهمة الوطنية والاسلامية في دعم الشعب الفلسطيني في كفاحه ضد الصهيونيين والبريطانيين. ورأت بعض القوى اللبنانية الحزبية والسياسية والنقابية والثقافية ـ وان تضاربت اتجاهاتها حول السياسة الداخلية ـ العمل في تجمع سياسي واحد من اهدافه الأولى خدمة القضية الفلسطينية ومكافحة الصهيونية. ومنذ العام ١٩٤٤ عقدت اجتماعات متتالية للقوى اللبنانية اسفرت عن بروز كتلة سياسية في ١٤ آب

(اغسطس) ١٩٤٤ ضمت مختلف [illegible] وقد عرفت باسم «اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة [illegible]» وتم انتخاب الهيئة الادارية لهذا الاتحاد على النحو [illegible]

١ ـ محمد جميل بيهم: رئيس الكتلة الاسلامية رئيساً.

٢ ـ انطوان ثابت: ممثل عصبة مكافحة النازية والفاشستية نائباً للرئيس.

٣ ـ محمد علي حمادة: ممثل اللجنة القوسية اميناً للسر.

٤ ـ عبد الرحمن عدرة: عضو الكتلة الاسلامية اميناً للصندوق.

٥ ـ ادمون رباط: من اسرة المحامين مستشاراً فنياً.

أما اعضاء الاتحاد فهم:

١ ـ [illegible]

٢ ـ الياس رباي [illegible]

٣ ـ عماد الصلح: ممثل [illegible]

٤ ـ محمد كنيعو: ممثل [illegible]

٥ ـ [illegible]

٦ ـ [illegible]

٧ ـ [illegible] ممثل اتحاد نقابات العمال.

٨ ـ [illegible] ممثل [illegible] الاتحاد الوطني.

٩ ـ [illegible] ممثل عصبة العمل القومي.

١٠ ـ [illegible] ممثل حزب المؤتمر الوطني.

وكان [illegible] «الاتحاد» باحزابه وهيئاته المختلفة [illegible]



فعل ايجابية على الصعيد اللبناني والعربي، وكان مقدراً له ان يجمع اللبنانيين على سياسة واحدة ليس بالنسبة للقضية الفلسطينية فحسب، ولكن بالنسبة للقضية اللبنانية ذاتها، غير ان التيارات السياسية والطائفية قامت بدور مضاد لهذه التجربة الفريدة في لبنان والعالم العربي؛ ولم تكن الحركة الصهيونية والقوى الاجنبية بعيدة عن محاولات تمزيق الاتحاد، كما أثرت حرب ١٩٤٨ في انهائه.

والواقع فان «اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية» بدأ نشاطه فور تشكيله وبدأ اتصالاته العربية والدولية، ففي ٢٨ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٤ ارسل رئيس الاتحاد محمد جميل بيهم رسالة إلى الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية طالبه فيها بتأكيد موقفه السابق المؤيد للقضية الفلسطينية حيال السياسة الاميركية المعادية للشعب الفلسطيني. ومما جاء في الرسالة «... ومن المؤسف ان التصريحات التي تكال لليهود في امريكا لم تقف عند حد التصريحات الانتخابية، بل خرجت إلى حيز التحقيق». واورد بيهم للعاهل السعودي موقف وزير الحربية الاميركي «هنري سمسون» الذي قال في رسالة إلى السناتور «واغنر»: «.. ان الاعتبارات الحربية لم تعد تحول الان دون جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود». واضاف بيهم في رسالته «أما وانا أصبحنا لا نعلق اهمية على الاحتجاجات الجوفاء.. وبما ان مصلحة واشنطن اصبحت شديدة الارتباط بعروشكم المؤيد، فان اتحاد الاحزاب اللبنانية

لمكافحة الصهيونية تطلع في الجلسة التي عقدتها يوم تشرين الاول الجاري لمعالجة الحالة إلى سدتكم السامية ، وقرر بالاجماع طلب نجدتكم لفلسطين ومعونتكم العاجلة . . » [٢] وكان لهذا المسعى اللبناني ـ السعودي اثر واضح في عدول الكونغرس الاميركي ـ مؤقتاً ـ عن بحث تسهيل الهجرة اليهودية » [٣] .

وفي ٢ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٤ دعا اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى مهرجان سياسي رسمي وشعبي احتجاجاً على وعد بلفور ، وقد اقيم الاحتفال في قاعة سينما روكسي في قلب مدينة بيروت ـ البرج ، فافتتح محمد جميل بيهم رئيس الاتحاد المهرجان بكلمة ندد فيها بالحركة الصهيونية وبين اخطارها على فلسطين ولبنان والعالم العربي. ثم ألقى الرئيس سامي الصلح خطاباً استنكر فيه الوعود البريطانية المتضمنة فتح أبواب فلسطين امام اليهود، وتحدث النائب جورج زوين فأعرب عن تأييد لبنان ـ كل التأييد ـ لفلسطين العربية، ثم توالى على الكلام الخطباء: عبد الله النجار ، رئيف خوري ، د. جورج حنا ، فرج الله الحلو ، جورج [illegible] ، [illegible] ، علي ناصر الدين . وقد اجمع الخطباء باسم لبنان واحزابه على تأييد الشعب الفلسطيني وعلى ان فلسطين عربية ويجب ان تبقى عربية ، ونددوا بالحركة الصهيونية واظهروا اخطارها على العالم العربي .

وبعد انتهاء الحفل ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرة إلى الدول العربية ودول الحلفاء باسم المجتمعين جاء فيها بان المجتمعين [illegible] [٤] .



١ ـ يكررون احتجاجاتهم الصارخة على انصار الصهيونية ودعاتها اولئك الذين يحاولون ارواء اطماعهم الشخصية والحزبية على حساب البلاد المقدسة ، وهم بذلك يعملون على اقامة ملك مغتصب للصهيونيين ، كما يكون رقبة جسر لغزو البلاد العربية واستثمارها .

٢ ـ ويقررون المضي في مكافحة هذا العدوان المخالف لروح العدل الانساني والمناقض لحق الشعوب الطبيعي في تقرير مصيرها ، ذلك الحق الذي تسيل من اجله دماء الملايين من البشر في اعظم حرب عرفها التاريخ وهدم الشعوب في سبيبه اغلى ما تملك من مال وبنين .

٣ ـ ويعهدون إلى اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية المؤلف من كافة الاحزاب والهيئات والمنظمات اللبنانية ان ينوب عنهم برفع احتجاجهم ومطالبهم والاعراب عن ارادتهم إلى سائر الدول العربية والدول الحليفة لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية ودفع خطرها المداهم عن كافة الاقطار العربية .

وفي الوقت نفسه اوضح رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية قائلاً : « . . استطاع الصهيونيون ان ينتزعوا من اميركا وعوداً جديدة تتعدى وعد بلفور ، وعوداً تفضي بان تكون فلسطين بكاملها وطناً قومياً لليهود ، وان تقوم فيها دولة عبرية صهيونية . . ايها الانسانيون الذين تعطفون على اليهود مهلاً مهلاً . ايها الانسانيون الذين تعملون على ايوائهم في البلاد المقدسة باخراج اهليها منها ، قولوا لنا بربكم ، متى كان

الانصاف يقضي برفع الظلم عن شعب [illegible] على شعب آخر . قولوا لنا متى كان العدل والرحمة وقفا على امة دون امة »[٥] .

وفي ١٤ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٤٤ أرسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرات إلى الرئيس الاميركي ( روزفلت ) وإلى الوزير المفوض البريطاني في بيروت (ادوارد سبيرز ) وإلى الوزير المفوض السوفياتي ( دانيال سولود ) . وجميع هذه المذكرات تعبر عن احتجاج الاحزاب اللبنانية على مطامع الصهيونية في فلسطين ، وقد لفت اتحاد الاحزاب اللبنانية الرئيس روزفلت إلى روح الاعتداء الذي يتجسم في المطامع الصهيونية في فلسطين [٦] .

وكانت الاتصالات قائمة بين اتحاد الاحزاب اللبنانية وبين الاحزاب الفلسطينية والعربية لتنسيق المواقف السياسية والاعلامية والنضالية لدرء الخطر الصهيوني عن فلسطين ولبنان ، وقد اقترح اتحاد الاحزاب على « الحزب العربي الفلسطيني » انشاء مكاتب للدعاية للقضية الفلسطينية في الخارج ، فما كان من اميل الغوري - امين السر العام للحزب - الا ان رد على اتحاد الاحزاب اللبنانية بقوله : « نحيطكم علماً بان انشاء مكاتب للدعاية في المهجر موضع نظر الحزب واهتمامه ، ونحن ننتظر نتيجة اعمال اللجنة الفرعية لمؤتمر الوحدة العربية التي تجتمع الان لبحث هذا الموضوع الهام . . » [٧] .



وفي ٧ شباط (فبراير) ١٩٤٥ ارسل الدكتور عبد الجبار جومرد رئيس جمعية اصدقاء فلسطين العربية رسالة إلى اتحاد الاحزاب اللبنانية تضمنت اهداف الجمعية - وهي الامور التي يطالب بها الاتحاد لخدمة قضية فلسطين - وان من اهدافها «بث الدعاية بواسطة الاجتماعات والمنشورات والنشرات والصحف وتأليف الكتب والاذاعات وغير ذلك لافهام الغرب وجهة نظر العرب في فلسطين والدفاع عن حقوقهم ضد العدوان الصهيوني وجلب عطف الشعوب الاوروبية نحو قضيتهم العادلة قبل انعقاد مؤتمر السلام الذي سيتأثر بالطبع بالرأي العام الغربي. والذي دعانا إلى تشكيل هذه الجمعية ما نراه من التنظيم الصهيوني لقضيتهم في حين ليس للعرب في أوروبا صوت يسمع . . » [٨] .

وهكذا يلاحظ بان اتحاد الاحزاب اللبنانية كان يركز منذ تأسيسه على أهمية الاعلام في دعم القضية الفلسطينية وفي افهام المجتمعات الاميركية والاوروبية حقيقة الظلم الذي يمر فيه الشعب الفلسطيني. وفي الاطار نفسه فان ما كان ينادي به اتحاد الأحزاب اللبنانية انما كان يشير إلى مرور الدول العربية بأزمة اعلامية خاص بقضية فلسطين.

وبمناسبة انعقاد المؤتمر التحضيري في القاهرة لوضع ميثاق جامعة الدول العربية في اذار (مارس) ١٩٤٥ نشط اتحاد الاحزاب على الصعيدين العربي والدولي، فاجرى اتصالات سياسية وارسل مذكرات تتضمن الموقف اللبناني والعربي حيال

تطورات القضية الفلسطينية وتزايد الاطماع الصهيونية المدعومة دولياً؛ ففي ٢٢ اذار (مارس) ١٩٤٥ ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرة إلى الوزير الاميركي المفوض في بيروت «وودسورث» عبر فيها عن احتجاج الاحزاب والهيئات اللبنانية على تصريح الرئيس الاميركي روزفلت الذي وعد فيه اليهود بتحقيق وطن قومي يهودي في فلسطين، وقد تضمنت المذكرة «التأثير البالغ الذي شمل لبنان من جراء التصريح المنسوب للرئيس روزفلت بشأن الوطن القومي الصهيوني في فلسطين العربية، خصوصاً وان هذا التصريح الاخير جاء مؤيداً للتصريح السابق الذي أحدث خيبة امل وامتعاض شديدين في نفوس اللبنانيين وفي قلوب ابنائه المنتشرين في العالم..»[٩].

وفي ٢٨ اذار (مارس) ١٩٤٥ ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرة إلى أمين سر جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام طالبه فيها ضرورة الاستعداد التام والتزود بكل المعلومات والوسائل عند ذهاب اللجنة التحضيرية العربية إلى مؤتمر سان فرنسيسكو، وضرورة مضاعفة النشاط العربي ضد الصهيونية، ومما جاء في المذكرة انه «يدفعنا الحرص على فلسطين العربية ان نتجاسر ونوجه الاقتراح إلى الدول العربية الممثلة في اللجنة التحضيرية بالقاهرة ان نستوثق قبل الاشتراك في مؤتمر سان فرنسيسكو من نوايا الحلفاء في القضية كيما تكون متأهبة لاحباط كل محاولة ترمي إلى الانتقاص من حقوق



العرب في فلسطين العربية»[١٠] وطالب اتحاد الاحزاب اللبنانية في المذكرة ذاتها عبد الرحمن عزام التأكد من موقف دول الحلفاء من القضية الفلسطينية قبل الاشتراك في المؤتمر.

هذا، وقد واصل اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية نشاطاته وبحوثه واتصالاته للعمل لما فيه خدمة القضية الفلسطينية، واستمر نشطاً على الاصعدة المحلية والعربية والدولية، وبالفعل ففي نيسان (ابريل) ١٩٤٥ ارسل محمد جميل بيهم رئيس الاتحاد رسالة إلى الملك عبد العزيز آل سعود طلب فيها من الملك مواصلة جهوده ومساعيه لدعم قضية الشعب الفلسطيني. وبالفعل ففي ٥ نيسان (ابريل) من العام نفسه جرت مراسلات بين الملك السعودي وبين الرئيس روزفلت تضمنت بحث قضية فلسطين، وكانت تتمة لاجتماعات عقدت بينهما، وقد اعرب روزفلت عن رأيه بانه لن يتخذ اي قرار الا بعد استشارة اليهود والعرب معاً[١١].

وفي نيسان (ابريل) ١٩٤٥ رفع اتحاد الاحزاب اللبنانية عريضة الى رئيس الحكومة اللبنانية عبد الحميد كرامي طلب فيها بث العيون في جميع الاراضي اللبنانية لمنع الصهيونيين من دخول فلسطين عن طريق الهرب والتهريب عبر لبنان، كما طالب بالضرب على أيدي السماسرة الذين يعملون لشراء الاراضي الفلسطينية لحساب اليهود والحركة الصهيونية، وضرورة التدقيق في معاملات الانتقال التي حصلت في هذا الموضوع والتي تحوم الشبهات حولها. ونبه الاتحاد إلى

ضرورة انتباه الدولة من الشركات الصهيونية التي بدأت تدخل إلى لبنان بواسطة نفوذ بعض المسؤولين وتقوم بشراء الأراضي اللبنانية وقد انشأت المشاريع عليها مما كان يهدد لبنان بغزو صهيوني.

وفي الفترة ذاتها ونظراً لجهود اتحاد الاحزاب اللبنانية ورئيسه محمد جميل بيهم قامت بعض الصحف بتوجيه الشكر على تلك الجهود من اجل ابعاد الخطر الصهيوني، واشارت صحيفة «الشرق» البيروتية حول هذا الموضوع: «ان الشرق بلسان الرأي العام الواعي تشكر للاستاذ جميل بك بيهم حرصه على المبادىء القومية ونضاله في صيانة الاراضي اللبنانية من عبث السماسرة الصهيونيين. كما نشكر لاتحاد الاحزاب اللبنانية غيرتها الصادقة على سلامة لبنان العزيز من عبث الطامعين في أراضيه» (١٢).

وكان اتحاد الاحزاب اللبنانية السبّاق في هذه الفترة في توظيف الطاقات السياسية والاقتصادية والاعلامية لخدمة الشعب الفلسطيني، وكان في ٦ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ قد وجه رسائل إلى الاحزاب والهيئات والشخصيات العربية اقترح فيها عقد مؤتمر عربي عام تشترك فيه المنظمات العربية كافة لوضع السبل الايلة لانقاذ فلسطين والدفاع عنها. ومن بين الردود التي وصلت الاتحاد رداً على اقتراحه رسالة من فؤاد أباظة رئيس الاتحاد العربي في القاهرة، وقد أبدى فيها موافقته على تنفيذ



مقترحات اتحاد الاحزاب اللبنانية (١٣). وقد جاء في حيثيات مقترحات ودعوة اتحاد الاحزاب اللبنانية ما نصه: «.. غير ان الاعمال تبقى ضعيفة الاثر اذا ظلت موضعية مقتصرة على الافراد والجماعات في كل قطر على حدة. لذلك فان اتحاد الاحزاب اللبنانية عالج هذه النقطة الحساسة في جلستي ٣٠ اذار و ٦ نيسان الجاري. ورأى تلافياً للأمر ان يوجه الدعوات إلى المنظمات العربية والجمعيات العاملة في سبيل الدفاع عن فلسطين لعقد مؤتمر عام تدعى إليه الجاليات العربية في المهاجر..» (١٤). وانسجاماً مع هذه الانشطة السياسية طرح في هذه الفترة فكرة وموضوع عقد مؤتمر في القدس لمعالجة القضية الفلسطينية. وقد ابدى اتحاد الاحزاب اللبنانية في ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ تجاوبه مع الفكرة واستعداده للمشاركة في هذا المؤتمر وذلك خدمة للبنان والقضية الفلسطينية معاً، واعرب عن هذا الاستعداد في مذكرة ارسلها رئيس الاتحاد محمد جميل بيهم إلى رئيس الوزراء اللبناني عبد الحميد كرامي (١٥).

وفي آب (اغسطس) ١٩٤٥ وازاء نشر مقررات مؤتمر لندن حول قضية فلسطين، ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرة إلى رئيس الوزراء اللبناني طلب فيها «ان توجه حكومتكم الجليلة طلباً إلى الجامعة العربية حسب الأصول لدعوة ممثلي الدول المشتركة بالجامعة لعقد اجتماع استثنائي في أقرب وقت ممكن لدرس الاحداث الحاضرة المتعلقة بفلسطين» (١٦). وقدم اتحاد الاحزاب مذكرة بهذا المعنى إلى جامعة الدول العربية.

ونظراً لموقف واقتراح اتحاد الاحزاب اللبنانيه ارسل امين عام الجامعة رسالة إلى كميل شمعون (الوزير اللبناني المفوض في لبنان) ليسلمها للأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية السعودية، وقد اجتمع شمعون بالامير فيصل ونقل إليه الرسالة وهي تتضمن معرفة ما اذا كان الوزراء المفوضون للدول العربية في لندن يجدون ضرورة لدعوة اعضاء الجامعة العربية للاجتماع: وقد تبين بان الامير فيصل يحبذ فكرة قيام الجامعة العربية بعمل ما. وبالفعل فقد اتفق شمعون وفيصل على ضرورة دعوة جميع رؤساء البعثات العربية في لندن للاجتماع ولدرس التدابير التي ينبغي اتخاذها (١٧).

وفي هذه الاثناء استمرت المباحثات والمشاورات بين القوى اللبنانية والقوى الفلسطينية، وفي ١٦ آب (اغسطس) ١٩٤٥ ابرق الحزب العربي الفلسطيني الى اتحاد الاحزاب اللبنانية أكد فيها على مطالب الشعب الفلسطيني بمنع الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي لليهود وشدد على تأليف حكومة عربية «ولا يقبل أهل فلسطين مطلقاً أي حل لقضية بلدهم يعارض في تحقيق هذه المطالب ويطالب أهل فلسطين قاطبة السماح بعودة زعماء البلاد المبعدين لحاجة الامة الماسة إليهم لقيادتهم إلى اهدافها. .» (١٨).

وبمناسبة تصريح الرئيس الاميركي «ترومن» الذي نشر في ١٧ آب (اغسطس) ١٩٤٥ والذي أيد فيه زيادة عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين إلى مئة ألف مهاجر يهودي، طالب رئيس حزب النجادة أنيس الصغير بهذه المناسبة رئيس اتحاد



الاحزاب اللبنانية بعقد اجتماع سريع لان حزب النجادة «يرى انه أصبح من الضرورة القيام بعمل سريع حاسم بالنسبة للظروف الحاضرة انتصاراً لقضية العرب في فلسطين، فقد رأت اللجنة العليا ان ترسل لحضرتكم هذا الكتاب آملة ان تتفضلوا بدعوة اعضاء الاتحاد إلى اجتماع غداً الاربعاء تبحث فيه هذه الشؤون الخطيرة ويقرر على ضوئها ما فيه مصلحة فلسطين والعرب» (١٩).

ولما كانت الدول الاوروبية بشكل عام تقف موقفاً معادياً من القضية الفلسطينية، ففي آب (اغسطس) ١٩٤٥ وصلت اتحاد الاحزاب اللبنانية رسالة من شبان عرب يدرسون في باريس تضمنت معلومات عن مدى النفوذ الصهيوني في الاوسط الفرنسية، وكيف ان الحكومة الفرنسية تحارب القوى العربية المؤيدة للشعب الفلسطيني، ومن ذلك ان «جمعية اصدقاء فلسطين العربية» في باريس اخذت رخصة رسمية لعقد اجتماع في ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٥، غير ان وزارة الداخلية الفرنسية عادت عن رخصتها ومنعت عقد هذا الاجتماع. وأكد الشبان العرب ان اصدار قرار المنع ليس بسبب تعكير صفو الامن كما ادعت السلطات الفرنسية انما «ناتج عن ضغط الصهيونيين».

ومن اجل ذلك بادر رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى ارسال مذكرة احتجاج إلى الجنرال «ديغول» في ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٤٥ احتج فيها على موقف فرنسا من قضية فلسطين وعطفها على الصهيونية، ومما جاء فيها: «. . . يسؤنا

ان نعلم بان حكومة باريس تقف من قضية فلسطين العربية موقفاً غير حيادي، بل هو موقف تشجيع للصهيونية من شأنه ان يوسع الخلاف بين فرنسا والشعوب العربية المتحدة». ثم ابدى احتجاجه على السلطات الفرنسية لمنعها الاجتماع الذي دعت إليه «جمعية اصدقاء فلسطين العربية» بينما سمحت في ٣ حزيران (يونيه) ١٩٤٥ بعقد اجتماع كبير في باريس دعت إليه لجنة فرنسا ـ فلسطين اليهودية (Comité France — Palestine) جمعت فيه تبرعات للمساعدة على سفر المهاجرين اليهود إلى فلسطين «لذلك فان اتحاد الاحزاب اللبنانية رأى من الواجب القاء نظر فخامتكم إلى هذا التحيز لمساع تخالف من كل الوجوه المبادىء التي قررتها الدول المنتصرة، بل يخالف ايضاً المبادىء الانسانية التي صدرت من قبل عن فرنسا» (٢٠) واعتبر اتحاد الاحزاب اللبنانية في مذكرته إلى الجنرال ديغول بان القياس لمواقف فرنسا وسواها من الدول انما هو يقوم على أساس المحافظة على حقوق العرب المشروعة في فلسطين (٢١).

وفي هذه الفترة كثّف اتحاد الاحزاب اللبنانية جهوده من اجل اطلاق سراح الحاج امين الحسيني المعتقل في أوروبا، وقد جمّع تواقيع وزراء ونواب ومنظمات واحزاب سياسية لهذه الغاية، وارسلها إلى الدول العربية والاوروبية للعمل على اطلاق سراحه. وفي هذه الاثناء ارسل توفيق صالح الحسيني ـ وكيل رئيس الحزب العربي الفلسطيني في القدس ـ رسالة



إلى اتحاد الاحزاب أوضح فيها مطالب الشعب الفلسطيني وموقفه من الازمة الراهنة ومما قاله: «يكرر الحزب العربي الفلسطيني مطالب فلسطين القومية الاساسية في منع الهجرة اليهودية ووقف بيوع الاراضي لليهود، تأليف حكومة عربية دستورية تسيطر على شؤون البلاد، ولا يقبل اهل فلسطين مطلقاً أي حل لقضية بلدهم يعارض في تحقيق هذه المطالب» (٢٢).

والحقيقة فان الشعب الفلسطيني كان قد ابدى استياؤه من بعض اللبنانيين الذين باعوا اراض فلسطينية أو لبنانية لليهود وللشركات الصهيونية، وقد حرص احمد حلمي باشا ـ احد وجهاء فلسطين ورئيس مجلس ادارة صندوق الامة العربي ـ على ارسال رسالة إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية في آب (اغسطس) ١٩٤٥، طلب فيها الحيلولة دون بيع الملاكين العرب املاكهم لليهود ومما قاله: «اننا نرجو من اخواننا الكرام ان يؤازرونا مؤازرة عملية بحيث يؤلفون اللجان في جهاتهم ويبادرون لجمع الاعانات من الشعب ورصدها باسم اراضي فلسطين، وان يتخذوا الوسائل الفعالة لمنع مواطنيهم الذين يمتلكون أراض في فلسطين من بيعها لليهود، فقد تكررت هذه المعاملات الاثيمة والحقت بالبلاد اشد الاضرار والاخطار، فنوجه نظركم إلى هذه القضية الهامة، ونرجو ان يلقى اقتراحنا قبولاً لديكم ولدى اخوانكم الكرام اعضاء الاتحاد الذين يعملون باخلاص وايمان لانقاذ فلسطين المقدسة التي هي وطن

المسلمين والعرب جميعاً »(٢٣).

وبالفعل فقد سعى اتحاد الاحزاب اللبنانية بما يمنع التغلغل الصهيوني في لبنان وفلسطين ومنع نقل الملكية العقارية إلى الصهيونيين. وقد اصدر رئيس الوزراء سامي الصلح التعميم الحكومي رقم (٨٠) وجاء فيه ان المرسوم الإشتراعي رقم (٥١) الصادر عام ١٩٤٣ يعتبر كل العقود التي ابرمت خلافاً له ملغاة «ويقضي بشطبها وقيدها على اسم الدولة ويفرض ايضاً عقوبة على كل سمسار أو عميل أو وسيط وكذلك على كل شخص مستعار ساعد على ابرام أو على قيد يمنعه هذا المرسوم.. فعليه ارغب اليكم ان تدققوا وتحققوا في كل عقد يتعلق بنقل ملكية عقار أو بتأجير أو بانشاء أي حق عيني عليه لمصلحة شخص اجنبي طبيعي أو معنوي سواء كان اسمه فيه حقيقياً ام مستعاراً، وعلى الدوائر المختصة ان تمتنع عن قبول أي عقد لم يستحصل بشأنه ترخيص سابق من رئيس الدولة، وعلى النيابة العامة بصورة خاصة ان تلاحق جميع المسؤولين»(٢٤). أما التعميم الحكومي الثاني فحمل الرقم (٨٥) وصدر في ٢٤ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ وقد تضمن ضرورة ضبط وملاحقة الاشخاص الذين يدخلون أو يخرجون من لبنان عن طريق الغش «لذلك ارجو من وزارتي الداخلية والعدلية الاهتمام الجدي بهذا الامر وملاحقة المخالفين باقصى ما يكون من الشدة».

والحقيقة فان رئيس الوزراء حرص على ابلاغ محمد



جميل بيهم رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية باصدار هذين التعميمين فأرسل اليه رسالة في ٣ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ جاء فيها:

«عطفاً على المباحثة الشفوية اتشرف بان ارسل لحضرتكم طيه نسخة عن كل من التعميمين رقم (٨٠) و (٨٥) الصادرين بتاريخ ١٢ و ٢٤ ايلول المرسلين إلى كافة وزارات الدولة».

وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ حدد رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية موقف الاتحاد مجدداً في كلمة سياسية القاها في احتفال «عصبة العمل القومي» في عاليه، وقد حلل في كلمته أوضاع الدول العربية وتفكك الجبهات الوطنية في كل قطر من أقطار العرب وتعدد الاحزاب فيه وتخاصمها على شؤون ثانوية في وقت تضيع فيه حقوق عرب فلسطين والقضية الفلسطينية ورأى انه «قبل ان تنقذوا العرب من الخطر الاجنبي، وكيما تنقذوهم من هذا الخطر، انقذوهم أولاً من انفسهم ومن اطماع سياسييهم «وابدى تألمه من الواقع العربي ومن واقع الصراعات الداخلية، ثم هدد بنشر «الكتاب الاسود» الذي سيفضح المستثمرين كما سيفي المخلصين حقهم. وختم كلمته مخاطباً العرب فيما اذا ارادوا الاستقلال وإنقاذ فلسطين،فرأى ان عليهم ان يبدأوا العمل باخلاص و «ان الخطوة الأولى لتحقيق أي مشروع عربي يجب ان يأتي من جانب العرب انفسهم»(٢٥).

وفي الفترة نفسها من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ دعا اتحاد

الاحزاب اللبنانيه إلى عقد مؤتمر عربي يعقد في لبنان على غرار المؤتمر الصهيوني الذي عقد لدعم الصهيونيين، ويكون هدف هذا المؤتمر العربي دعم قضية فلسطين بكافة الوسائل، وقد ارسل رئيس الاتحاد مذكرة بهذا المعنى إلى رئيس الوزراء اللبناني في ٢٢ ايلول (سبتمبر) أوضح فيها انه «ازاء النشاط الشديد الذي يقوم به الصهيونيون في العالم لالغاء الكتاب الابيض وتحقيق الحلم العدواني القائم على أساس انشاء دولة يهودية في فلسطين رأى اتحاد الاحزاب اللبنانية، متأثراً بالرأي العام اللبناني الذي يشعر بنقمة شديدة على هذا العدوان ويتطلب العمل السريع، ان يفاوض الجمعيات والاحزاب والمنظمات في البلاد العربية وفي المهاجر لعقد مؤتمر عام يكون مظهراً من مظاهر ارادة الامة وموحداً لمساعيها، وقد تلقى الاتحاد البرقيات والرسائل من جميع الاقطار وكلها تحبيذ وتأييد لهذه الفكرة..» [٢٦].



ان الدارس للمراسلات المتبادلة بين اتحاد الاحزاب اللبنانية وبين الحكومة اللبنانية يلاحظ بان الخلافات بدأت بين الجانبين بسبب عدم دعم الحكومة لنشاط الاتحاد ولمساعيه من اجل قضية فلسطين، وقد أثار ذلك استياء الاتحاد، فأرسل رئيسه محمد جميل بيهم رسالة إلى رئيس الوزراء سامي الصلح تضمنت تساؤله عن كيفية تسرب مذكرة واقتراح اتحاد الاحزاب إلى دوائر مكافحة الغلاء «فلم اعلم كيف وصل استدعانا المتعلق بمكافحة الصهيونية بواسطة عقد مؤتمر إلى ادارة مكافحة الغلاء. ولكني مع ذلك رأيت في هذا دليلاً على عدم الاهتمام الكافي بالمشروع الذي تطوعنا لخدمته» واضاف متأسفاً انه «لا بأس في هذه المناسبة ان اعرب لكم عن خيبة الامل التي استحوذت على اعضاء اتحاد الاحزاب لعدم اجابة الطلب من ناحية المؤتمر، ذلك ان الحكومات العربية، مع اعرابها عن الحرص الشديد على فلسطين، فهي تشفع هذا الاعلان بمساعدات كبيرة مالية تشجيعاً لاعمال القائمين وعلى

رأسها المكاتب العربية في العواصم. والاتحاد الذي هو يعمل بنشاط في طليعة هذه المكاتب ويرفع رأس لبنان عالياً يؤمن نفقاته من جيوب اعضائه، انما يطيب له كثيراً ان تشد ازره الحكومة. . » (٢٧).

هذا وقد ربط رئيس اتحاد الاحزاب بين جهوده وقرار الحكومة ودائرة مكافحة الغلاء القاضي برفضها امداد الاتحاد بالورق اللازم بالسعر المخفض لطبع كتاب دعماً للقضية الفلسطينية وانارة للرأي العام من الاخطار الصهيونية. غير ان ذلك لم يفت من عضد الاتحاد بل استمر في نشاطه ضد الصهيونية وعلى كافة الاصعدة المحلية والعربية والدولية. ويبدو انه في العام ١٩٤٦ تم الوفاق بين رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية وبين رئيس الوزراء سامي الصلح، لانه لوحظ بان الكتاب المنوه عنه سابقاً والذي الفه رئيس الاتحاد محمد جميل بيهم تحت عنوان: «فلسطين اندلس الشرق ١٩١٧ - ١٩٤٥»، الذي طبع عام ١٩٤٦، قدم في صفحته الاولى على انه اهداء إلى رئيس الوزراء سامي الصلح.

ونظراً لأهمية الموقف اللبناني من قضية فلسطين ونظراً لموقع لبنان المحاذي لفلسطين، فقد افيد عن قيام مشروع لاقامة خط مواصلات برية بين فلسطين ولبنان، وقد اشترطت الحكومة الفلسطينية (البريطانية) لاعطاء الترخيص ان تكون الشركات الممنوحة الامتياز شركات مختلطة قوامها عرب ويهود، وقد تبين بان اليهود سيسيطرون على هذا الخط «خط



باصات حيفا - بيروت».

لذا فقد ارسل مدير الغرفة التجارية الوطنية بيافا رسالة إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية في ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ حذره فيها من مغبة تنفيذ المشروع لا سيما اذا تسلمه اليهود، ومما جاء في رسالته إلى بيهم «ان تسيير خط باصات منظم بين القطرين الشقيقين اللبناني والفلسطيني لمما يزيد في توثيق الروابط الاقتصادية الاجتماعية. . لكن المهم في الموضوع ان هناك محاولات جدية وقوية من قبل الشركات اليهودية بتأييد من بعض المأجورين من العرب الذين باعوا ضمائرهم ومصلحة اوطانهم بدراهم معدودات لاخذ امتياز ذلك الخط وفي هذا الطاقة الكبرى اذ يتسلط الصهيونيون على سبل الاتصال بين القطرين الشقيقين ويهيمنون عليها. . يتطلعون اليكم وكلهم امل بانكم ستأخذون بناصرهم وتعملون للحيلولة دون اعطاء ذلك الامتياز للصهيونيين، لا سيما وان ذلك الامر منوط بموافقة حكومة لبنان الشقيق. . » (٢٨).

وتأكيد لهذه المعاني فقد وصل إلى بيروت في تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه وفد غرفة تجارة حيفا ووفد غرفة تجارة يافا، وقد نشط كل وفد وقام باتصالات حثيثة مع الحكومة اللبنانية ومع بعض السياسيين والهيئات والاحزاب السياسية، وتركزت كل الإتصالات على التحذير من خضوع خط مشروع باصات حيفا - بيروت لليهود وللشركات الصهيونية، طالما ان المشروع لا يمكن تنفيذه ما لم تقره وتقبل

به الحكومة اللبنانية [٢٩].

وفي الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ عقد اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية اجتماعات شعبية وحزبية احتجاجاً على وعد بلفور - كما حدث عام ١٩٤٤ - وبعد انتهاء هذه الاجتماعات صدر بيان منددا بالصهيونية مؤيداً الشعب الفلسطيني مطالباً باتخاذ تدابير سريعة تتمثل بما يلي: [٣٠].

١ - وقف الهجرة اليهودية وقفاً تاماً وتوزيع اليهود المشردين على بقية بلاد العالم. واعتبار ان فلسطين والبلاد العربية قامت بقسطها في هذا المضمار، واستوعبت منهم ما يزيد عن طاقتها.

٢ - منع بيع الأراضي العربية في جميع مناطق فلسطين لغير العرب منعاً باتاً.

٣ - تجريد المستعمرات اليهودية من اسلحتهم المعطاة لها من الحكومة والتحري عن الاسلحة والمعدات الحربية التي يخفيها الصهيونيين وانتزاعها من ايديهم، وحل المنظمات التي لها علاقة بتهريب الاسلحة والفرق العسكرية التي تهدد فلسطين.

٤ - اعادة المبعدين والمنفيين العرب وعلى رأسهم صاحب السماحة الحاج امين الحسيني، واخلاء سبيل المعتقلين والسجناء السياسيين.

٥ - كف يد الوكالة اليهودية عن التدخل في شؤون فلسطين



التشريعية والاقتصادية والادارية والغاء جميع دوائر الحزب التي تمثل السياسة الاقتصادية الصهيونية.

هذا وقد ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية رسالة إلى جامعة الدول العربية طالب فيها ان «تتخذ الجامعة العربية قراراً جازماً يطبق في العالم العربي بمنع ادخال الصناعات الصهيونية إلى كافة الاقطار العربية، واذ يتعذر وقع الالتباس في ما يضعه الصهيونيون وغير الصهيونيين فيصار إلى منع جميع مصنوعات فلسطين من الدخول للبلاد العربية «كما طالب الاتحاد جامعة الدول العربية بضرورة العمل لمنع الهجرة اليهودية و «سن التشاريع الحاسمة لمنع تسرب الصهيونية إلى الاقطار العربية واحتيالها على التملك فيها والتحري الشديد عن البيوعات المشبوهة وابطالها» [٣١].

وكان رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية قد ارسل مذكرة إلى السفارة اللبنانية في واشنطن طالبها فيها بالعمل من اجل دعم القضية الفلسطينية لدى الدوائر الاميركية. فما كان من مختار مخيش - القنصل الأوّل في السفارة اللبنانية - الا ان رد على رسالة رئيس الاتحاد في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ موضحاً «ان اصحاب السعادة وزراء مصر والعراق وسوريا ولبنان في واشنطن قدموا في ٢ تشرين الاول ١٩٤٥ مذكرة رسمية إلى معالي وزير الخارجية الاميركية ضمنوها وجهة نظر العرب في الموضوع. وهذه المذكرة نشرت في امهات الصحف الاميركية بعد نشر الكتابين المتبادلين بين جلالة

الملك السعودي والمغفور له الرئيس روزفلت صديق العرب. ولقد بعثنا نسخة عن المذكرة إلى وزارة الخارجية اللبنانية الجليلة»[٣٢].

وفي ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية كتاباً إلى الغرف التجارية وجمعيات التجار في الدول العربية تضمن اقتراحاً لعقد مؤتمر اقتصادي لمقاطعة الصهيونية اقتصادياً للحيلولة دون دخول السلع الصهيونية إلى الدول العربية «ونحن نرجو اذ تنادت الغرف التجارية والصناعية وجمعيات التجار لعقد مؤتمر يدرس هذا الموضوع بصورة خاصة ان تجني البلاد ثمرات طيبة من جراء هذا التعاون لمكافحة الخطر الصهيوني الجارف»[٣٣].

وكان لنشاط اتحاد الاحزاب اللبنانية اثر بالغ في الاوساط العربية بدليل ان جامعة الدول العربية اتخذت قراراً بمقاطعة البضائع الصهيونية والتجار الصهيونيين. كما سبق لها ان اتخذت قراراً في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ يهدف إلى انقاذ اراضي فلسطين وإلى تشكيل هيئة من الخبراء لتحقيق تلك الغاية. كما اتخذت الجامعة قراراً بارسال وفد إلى فلسطين برئاسة جميل مردم بك وعضوية تقي الدين الصلح وخير الدين الزركلي وذلك للبحث في موضوع تشكيل لجنة فلسطينية من مختلف احزاب فلسطين، وقد نجحت في مهمتها[٣٤]. وكان اتحاد الاحزاب اللبنانية قد سبق له ان طالب في مذكرة إلى جامعة الدول العربية تأليف وفد من قبلها يقصد



فلسطين لتوحيد صفوف ابنائها وجمع كلمتهم.

ويبدو أن النفوذ الصهيوني كان في بعض الاوساط الرسمية والاعلامية في لبنان، ومنها اذاعة راديو الشرق من بيروت الموالية للصهيونية، فقد ارسل رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية رسالة إلى رئيس الوزراء سامي الصلح في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ أشار فيها إلى ان راديو الشرق تعرض في اذاعته إلى مقاطعة البضائع الصهيونية في لبنان «وعلق على ذلك بان الاوساط الاقتصادية تشجب هذه المقاطعة وتنتقدها ورد هذا الامر إلى أسباب واهية انما القصد منها على ما بدا للسامعين جعل لبنان يقف موقفاً شاذاً من المقاطعة التي اتفق العالم العربي عليه»[٣٥]. ثم اقترح رئيس الاتحاد عرض هذه القضية على مجلس الوزراء وتعيين رقيب من قبل الحكومة على ما تذيعه الاذاعة.

وبمناسبة قرب موعد مجيء لجنة التحقيق الانجلو- اميركية اصدر رئيس الوزراء سامي الصلح في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ قراراً شكل بموجبه لجنة استشارية خاصة لعرض القضية الفلسطينية، وكان محمد جميل بيهم رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية احد اعضاء هذه اللجنة بالاضافة إلى عضو الاتحاد الدكتور ادمون رباط وقد تشكلت اللجنة على الشكل التالي:

- فؤاد عمون مدير عام وزارة الخارجية.
- سليمان نوفل أمين سر عام وزارة الاقتصاد الوطني.

- محمد جميل بيهم رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.

- ادمون رباط، اسد رستم، محي الدين النصولي، جبران تويني، زهير عسيران، وبهيج تقي الدين.

وفي ٢٥ شباط (فبراير) ١٩٤٦ إختارت الحكومة اللبنانية رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية محمد جميل بيهم بقرار رقم (٦٥٧)، وذلك لتمثيلها امام لجنة التحقيق الانجلو - اميركية، على ان يشاركه في التمثيل وزير لبنان المفوض في القاهرة سامي الخوري شقيق رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري. وكانت الحكومة اللبنانية قد طلبت من اللجنة الاستشارية المنوه عنها سابقاً وضع دراسة مفصلة عن تطور القضية الفلسطينية لتقديمها إلى اللجنة الدولية، وعهدت إلى محمد جميل بيهم بكتابة الناحية التاريخية للمذكرة - الدراسة.

وبالفعل فقد قدم الوفد اللبناني - الذي وصل القاهرة - مذكرته إلى اللجنة في ٢ آذار (مارس) ١٩٤٦ ومما جاء فيها: «ان لبنان يرى في قدوم لجنة التحقيق الانكليزية - الأميركية سبيلاً للاعراب من جديد عن وجهة نظره، لأفتا الاهتمام إلى ان من العدل، ومن المنطق السليم ان تواجه اللجنة المحترمة بهذا التحقيق جميع زعماء العرب في فلسطين، المقيمين منهم والمغتربين، كما تواجه زعماء الصهيونية كيما تستطيع اداء مهمتها بروح العدالة والتجرد، وفي جو من الحرية لا اكراه فيه عملاً بمبادىء الديمقراطية». ثم استعرضت المذكرة تاريخ



فلسطين منذ عهد العبرانيين اذ «ان العبرانيين كانوا حتى الالف الاول قبل المسيح اهل بداوة وعدوان..» وجاء فيها ان لا حقوق تاريخية أو دينية لليهود لامتلاك فلسطين. وتضمنت المذكرة اشارة إلى موقف العرب من دول الحلفاء في اثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها ومدى مساعدتهم لهذه الدول. ومن الناحية الاقتصادية فنّدت المذكرة ادعاء الصهيونية القائلة ان المهاجرين اليهود إلى فلسطين كانوا سبباً في تحسين الأراضي الزراعية، اذ ان «أكثر أراضي اليهود سهول ساحلية قابلة للري والزراعات الكبرى، واكثر اراضي العرب جبلية بعيدة عن ان تتمتع بوسائل الري والمحسنات الزراعية الاخرى» أما فيما يختص بالناحيتين الاجتماعية والقومية فقد تضمنت المذكرة اللبنانية انه «تقوم في الهلال الخصيب، الذي احتضن اقدم الحضارات والاديان السماوية، دول تربط بينها روابط القومية الواحدة واللغة الواحدة والتقاليد والعادات والاداب الواحدة. فقيام دولة دينية للصهيونيين في فلسطين، أو تمكين اليهود من اغراق هذا البلد العربي بالكثرة العددية المصطنعة، معناه ادخال عنصر تفرقة وهياج على هذه المجموعة المتجانسة، واخشى ما يحذره لبنان وسائر البلاد العربية المجاورة هذا التسلل الذي يحذق الصهيونيون أساليبه، فيؤلفون في كل بلد طابوراً خامساً يعد بوسائله المعروفة إلى تفتيت الكيان القومي وتهديم المناعة الاخلاقية...».

ومن الناحية الانسانية ردت المذكرة على الدعوى

الصهيونية التي لا تستند إلى اساس ثابت «فالصهيونيون يعملون على انشاء وطن في فلسطين تخلصاً من الضغط والتشريد. فيضغطون بدورهم على عرب فلسطين لترحيلهم عن وطنهم العريق، الأمر الذي ينافي ابسط مبادىء العدالة الانسانية».

وفي الختام أوضحت المذكرة اللبنانية «ان اللبنانيين الذين تربطهم بفلسطين الروابط الجغرافية والتاريخية وأواصر القرابة، فضلاً عن شعورهم الخاص نحو فلسطين، يجدون ان ما يمكن ان يحيط بفلسطين من اخطار يهدد مصيرهم ايضاً سواء أكان ذلك في الشؤون السياسية أم الاجتماعية أم الاقتصادية. وقد برهن ربع القرن المنصرم، للبنانيين بشكل محسوس، على ان الخطر الصهيوني قد مد اصابعه إلى الأراضي اللبنانية، كما انه حاول ان يطغى على الاسواق التجارية فيها. فنحن في لبنان اذ ندافع مع اخواننا العرب، عن فلسطين العربية، انما نقوم بذلك بدافع من المصلحة المشتركة وباعث من القومية الواحدة»[٣٦].

والحقيقة فان هذه المذكرة اللبنانية ـ التي كان لاتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية دور بارز فيها ـ تعتبر من أهم المذكرات العربية المقدمة للجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية. وهي تعبر عن الموقف اللبناني الرسمي والشعبي والحزبي من القضية الفلسطينية. وقبل عودة رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية محمد جميل بيهم ـ عضو الوفد اللبناني. . إلى بيروت حرص على عقد عدة لقاءات مع المسؤولين العرب لمناقشة تطورات القضية



الفلسطينية، فقد اجتمع مع الأمير سيف الاسلام عبد الله (اليمن) والسيد ادريس السنوسي (ليبيا) وعبد الرحمن عزام امين سر (عام) جامعة الدول العربية، كما اجتمع مع وزراء الدول العربية، ومع رئيس الرابطة الاسلامية محمد علي جناح (رئيس دولة باكستان فيما بعد) الذي كان موجوداً في القاهرة آنذاك لعرض قضية المسلمين في الهند. كما اجتمع بيهم مع الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين، وتباحثا معاً حول الشؤون الاسلامية في لبنان ومصر والعالم[٣٧].

والأمر الملاحظ بان اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية قد اصبح محوراً نضالياً هاماً على الاصعدة المحلية والاقليمية والدولية، وكانت الاتصالات مستمرة به من جل التعاون لنصرة القضية الفلسطينية، ففي ٥ أيار (مايو) ١٩٤٦ ارسل حنا الياس البيطار ـ صاحب ومؤلف دائرة المعارف الصحافية الدولية في بيروت ـ رسالة إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية تضمنت بصورة أساسية قضية الاعلام العربي وضرورة العمل لاسماع الصوت العربي للشعوب الانجلوسكسونية، وطالبه فيها ـ باعتباره رئيساً لاتحاد الاحزاب اللبنانية ـ «ان تعملوا كل ما بوسعكم لبث الدعاية اللازمة من محطات اذاعات دول الجامعة العربية باللغات الاجنبية وخاصة باللغة الانكليزية. . هذا ولنا ملء الامل بان تعيروا ناحية الدعاية للخارج عظيم اهتمامكم. .»[٣٨].

وعلى الصعيد العربي فقد وصلت رسالة إلى رئيس اتحاد

الاحزاب اللبنانية في ٥ ايار (مايو) ١٩٤٦ من مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني، وقد عرض فيها مدى المه من تقرير لجنة التحقيق الانجلو - اميركية التي انحازت إلى الصهيونية واتخذت توصية بالسماح لمئة الف مهاجر يهودي بالهجرة إلى فلسطين ثم عرض المفتي خطورة تشكيل حكومة يهودية بدعم أميركي سيما اذا اصبح اليهود أكثرية في فلسطين «ان هذه المصيبة الداهمة والكارثة الهائلة اذا تحققت، لا سمح الله، فستعم البلاد العربية اجمع وسيكون اثرها المباشر في لبنان وسوريا قبل غيرهما من الاقطار العربية. وحضرتكم ادركتم هذا الخطر منذ القديم وعملتم على درئه، وفي سفركم إلى اميركا سنة ١٩٣٩ انتصاراً لقضية اخوانكم عرب فلسطين أكبر برهان على ذلك (*). ولهذا بصفتكم رئيس اتحاد الاحزاب الوطنية في لبنان للدفاع عن قضية فلسطين، فقد رأيت ان اكتب لحضرتكم راجياً اتخاذ جميع الوسائل لصد هذا الخطر الداهم، فعدا عن الاحتجاجات والاضرابات التي وقعت في لبنان وكان لها الوقع الحسن في نفوس العرب اجمعين، يحسن الاستمرار على الاعمال التي تقوي معنويات اخوانكم في فلسطين..» (٣٩).

وفي هذه الفترة من ايار (مايو) ١٩٤٦ نشطت المشاورات العربية بسبب قرب انعقاد مؤتمر بلودان، وارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية رسالة إلى رئيس الوزراء اللبناني في ١٢ أيار (مايو) طلب فيها مشاركة رئيس الاتحاد لتمثيل لبنان الشعبي في اجتماع الجامعة العربية في بلودان لان



«له الخبرة التامة في تطورات القضية الفلسطينية ومراحلها، وهو إلى ذلك قد مثل لبنان رسمياً أمام لجنة التحقيق الاميركية - الانكليزية..» (٤٠).

وبالفعل فقد شارك اتحاد الاحزاب اللبنانية في مؤتمر بلودان وتمثلت فيه أيضاً الاحزاب اللبنانية بدعوة من الاتحاد، كما شارك حزب النجادة الذي أرسل رسالة إلى رئيس الاتحاد يخبره فيها بأنه اختار وفيق الطيبي لتمثيل الحزب في المؤتمر (٤١).

وبمناسبة انعقاد مؤتمر لندن الجديد بين اواخر كانون الثاني (يناير) واوائل شباط (فبراير) ١٩٤٧ لمعالجة القضية الفلسطينية، ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية مذكرة إلى «ارنست بيفن» وزير الخارجية البريطانية في ٣٠ كانون الثاني (يناير) تضمنت موقف الاتحاد من قضية فلسطين على النحو التالي (٤٢):

١ - عدم القبول بأي حل يودي إلى استمرار وجود الجيوش البريطانية في فلسطين.

٢ - عدم القبول باستمرار الانتداب البريطاني على فلسطين.
٣ - عدم الاعتراف بكل قرار يرمي إلى تقسيم فلسطين.
٤ - عدم القبول باستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين.
٥ - الاحتجاج على اثارة الروح العنصرية..
٦ - . . . يصبح من الصعب بعد الان اقناع الشعوب العربية بوجوب استمرار اللجوء إلى المفاوضات السلمية.

٧ - ان الاتحاد يلمس في الجماهير العربية فكرة تتضح ، أكثر فأكثر، وهي ان هذه المؤتمرات التي تعقد من اجل القضية الفلسطينية وارسال لجان التحقيق انما هي في الواقع محاولات ترمي إلى كسب الوقت ولاضاعة الظروف المؤاتية للعرب.

٨ - ان عدم اخذ المؤتمر ما اوردناه هنا بعين الاعتبار يؤدي إلى القضاء على السلم في الشرق العربي.

وبالاضافة إلى هذه المذكرة فقد ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية في هذه الفترة من كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧ مذكرة إلى مجلس الأمن الدولي، وبلغ وزراء الدول المفوضين في بيروت نسخاً من المذكرة احتجاج الاتحاد على اعمال الارهاب والتعسف الجارية في فلسطين من قبل المنظمات الصهيونية، كما اشارت إلى «ان لبنان.. لا يسعه السكوت على اعمال الارهاب والعنف والعسف التي لا تزال تقع في البلد المقدس خصوصاً وان هذه الاعمال الفظيعة اضرت ولا تزال تضر في شؤون البلاد الاقتصادية» (٤٣).

وفي ٣٣ آذار (مارس) ١٩٤٧ ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية مذكرة إلى الوزير البريطاني المفوض في بيروت احتجاجاً على قرار الأمم المتحدة الهادف إلى تعيين لجنة جديدة لبحث المسألة الفلسطينية بناء على اصرار المندوب البريطاني، ذلك ان هذا القرار لا مبرر له خصوصاً وان قضية فلسطين لم تعد في حاجة ماسة للدرس والتحقيق ولا نستطيع ان نرد هذا القرار الا إلى رغبة حكومة جلالة الملك



رغبة ملحة في الاحتفاظ بانتدابها على فلسطين، وذلك خلافاً لما قطعته دول الحلفاء الظافرة على نفسها اثناء الحرب وبعدها من العهود والمواثيق لتأمين الحريات والاستقلال» (٤٤) وقد نقل المفوض البريطاني هذه المذكرة إلى حكومته وارسل جواباً بهذا المعنى إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية (٤٥).

ومن الاهمية بمكان القول انه كان على اتحاد الاحزاب اللبنانية ان ينشط لمحاربة الصهيونية ليس على الصعيدين العربي والدولي فحسب وانما على الصعيد اللبناني ايضاً نظراً للنشاط الفاعل التي كانت تمارسه الاوساط الصهيونية وبعض مؤيديها، لذا ففي ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٧ ارسل اتحاد الاحزاب اللبنانية مذكرة إلى رئيس الوزراء رياض الصلح احتج فيها على مجلة «السلام» اليهودية الصادرة باللغة العربية بسبب تأييدها للصهيونية. كما طلب الاتحاد من رئيس الوزراء اتخاذ التدابير اللازمة لمنع وصول نشرات الوكالة اليهودية إلى لبنان بواسطة البريد اللبناني، كما طالبه بمنع بيع الأراضي في جنوب لبنان للمتمولين اليهود على غرار ما حدث بالنسبة لجورج نده الذي باع أراضيه في قرية الذوق التحتاني لليهود (٤٦).

وفي هذه الفترة واجهت اتحاد الاحزاب معضلة داخلية هامة تمثلت بالمذكرة التي قدمها المطران الماروني اغناطيوس مبارك إلى رئيس لجنة التحقيق الدولية في ٥ آب (اغسطس) ١٩٤٧ الذي طالب فيها بضرورة انشاء وطنين: مسيحي في

لبنان ويهودي في فلسطين «وسيكون هذان الوطنان مرتبطين ببعضهما جغرافياً ويتساندان ويتعاونان اقتصادياً، ويكونان جسراً لا بد منه بين الشرق والغرب سواء من الناحية الثقافية أو الحضارية» (٤٧).

وبالرغم من ان اتحاد الاحزاب اللبنانية استنكر صدور هذه المذكرة وهذه المواقف، فان مزيداً من الاستنكار جاء من المسيحيين انفسهم لا سيما نواب الموارنة في المجلس النيابي الذين اصدروا بيان استنكار، كما استنكرها رجال الدين المسيحيين وفي مقدمتهم البطريرك الكسندروس الثالث، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الاثوذكس. كما احتج بعض المسيحيين المغتربين على ممارسات ومذكرة المطران مبارك، ووصلت برقية من أمين فرح من الولايات المتحدة إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية محمد جميل بيهم جاء فيها: «ان بيان المطران مبارك حول فلسطين هو كارثة زادت من حدة نتائج وعد بلفور ببيع اراضي الغير، وان العناية الالهية هي التي تلهم البطريرك عريضة تضميد الجراح الدامية التي احدثها اغناطيوس، والتي يئن منها المسلمون والمسيحيون في كل مكان» (٤٨).

نظراً للأوضاع السياسية الداخلية المضطربة، فقد اتخذت الحكومة اللبنانية قراراً بمنع التظاهرات في ذكرى وعد بلفور، غير ان الاحزاب اصدرت بياناً تندد بالصهيونية. كما ان اتحاد الاحزاب اللبنانية لم يقم مهرجانات كعادته في كل سنة.



فاكتفى باصدار بيان في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ تضمن التنديد بالحركة الصهيونية وبمحاولاتها السيطرة على فلسطين، واشاد بجهود الشعب الفلسطيني وبالحاج امين الحسيني للجهود المبذولة من اجل الحفاظ على فلسطين. ثم طلب البيان من خطباء المساجد والكنائس القاء العظات بهذه المناسبة (٤٩).

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ وصلت إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية محمد جميل بيهم رسالة وصفتها صحيفة «الشرق» بانها خطيرة ومن مرجع عال جداً ومما جاء في هذه الرسالة: «لقد آلمنا جداً - كما متأكد ايضاً انكم متألمون - للتواصي الفظيعة التي وردت في تقرير لجنة التحقيق الإنجليزية - الاميركية بشأن فلسطين. فقد أوصت بكل شيء لليهود وحرمت العرب من كل شيء. ولم تكتف اللجنة بطلب دخول مئة ألف مهاجر بذلك، بل طلبت استمرار باب الهجرة اليهودية مفتوحاً بعد دخول هؤلاء في عام ١٩٤٦. وهذا يعني بلوغ اليهود الاكثرية العددية في سنة واحدة وبعد ان يصبح اليهود اكثرية تعلن في فلسطين دولة يهودية». وتضمنت الرسالة مسألة بيع الأراضي العربية لليهود التي رأت ان معنى ذلك طرد العرب من البلاد وتمليكها لليهود «واما قولهم ان لا تشكل دولة عربية ولا دولة يهودية، فيقصد حرمان العرب فقط من التمتع بالحكم الذاتي وهم الاكثرية. اما عندما يصبح اليهود اكثرية فيتبدل الوضع ويصبح الكونغرس الاميركي

ومجلس العموم البريطاني أول من ينادي بوجوب تشكيل حكومة في فلسطين تتولاها الاكثرية اليهودية وفقاً لاحكام الديمقراطية». وعن خطورة هذا الوضع على لبنان وسوريا اشارت الرسالة إلى «ان المصيبة الداهمة والكارثة الهائلة اذا تحققت فستعم البلاد العربية اجمع وسيكون اثرها المباشر في لبنان وسوريا قبل غيرهما من الاقطار العربية» (٥٠).

هذا وقد اصبحت قضية مقررات لجنة التحقيق الدولية الشغل الشاغل لاتحاد الاحزاب اللبنانية، لذا عقد عدة جلسات لتحديد موقفه من المقررات والتدابير الواجب اتخاذها. وحدث تطور في معالجة القضية الفلسطينية بعد صدور قرار التقسيم في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧. فدرس المجتمعون الوسائل الفعالة لحماية فلسطين عملياً، فوجدوا ان التطوع العسكري والمال من اهم اسباب الحفاظ على فلسطين، وبدأ الاتحاد بالفعل اتخاذ الخطوات الكفيلة بترجمة تصوراته، وبدأ باعداد العدة لهذا الموضوع، كما الف لجنة لمتابعة العمل وقرر الاتصال بالمراجع المسؤولة كما عقد اتحاد الاحزاب عدة اجتماعات مع الحاج امين الحسيني لمعالجة التطورات المستجدة.

وبالفعل ففي ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ وصلت رسالة من دمشق من الأمير محمد سعيد الحسني الجزائري - حفيد الامير عبد القادر ورئيس جبهة مجاهدي افريقيا - إلى محمد جميل بيهم باعتباره رئيساً للكتلة الاسلامية ورئيساً



لاتحاد الاحزاب اللبنانية، ابدى الأمير فيها استعداده واستعداد المغاربة للدفاع عن فلسطين «وقد كان سروري عظيماً حينما علمت ان الجمعيات الاسلامية بطرفكم مستعدة بالمساهمة في الجهاد وبتقديمها السلاح للمجاهدين ولا سيما للمغاربة الذين هم على استعداد للتضحية والاقدام على اقتحام اشد الاخطار هولاً، لا سيما وان هذا الدفاع هو عن حرم الله وبيته المقدس، ولا ينقص هؤلاء المجاهدين الا السلاح الذي فقدناه في بلادنا يا للأسف.. وقد تألفت فرقة باسم فرقة الامير عبد القادر يبلغ عدد المتطوعين فيها ما يزيد عن الخمسة آلاف مقاتل وكلهم ممن تمرنوا على فن القتال». واضاف الامير محمد سعيد في رسالته بان مركز هذه الفرقة سيكون في «الزوير» وستلتقي بالمغاربة النازلين في قرية «صمغ» الواقعة جنوب بحيرة طبريا «وان املنا بالله تعالى ان هذه الفرقة سوف تطهرها من اليهود في الجبهة الشمالية من فلسطين». ورأيه ان عمل فرقة الامير عبد القادر هو مهاجمة اليهود وان «تلقي بهم إلى الساحل» (٥١).

وفي هذه الفترة توالت الاتصالات باتحاد الاحزاب اللبنانية من القوى الشعبية والحزبية والنقابية في لبنان والبلدان العربية، وذلك للتنسيق ولتوظيف الطاقات العربية لدعم القضية الفلسطينية عسكرياً ومالياً: وحتى ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٨ كان عدد اللبنانيين الذين تدربوا في معسكر «قطنا» في سوريا ما يقارب ( ٣٠٥ ) من اللبنانيين من اصل ( ٤٩٧٦ ) من السوريين والفلسطينيين والمصريين واليوغسلاف(٥٢).

وفي شباط (فبراير) ١٩٤٨ شارك اللبنانيون ايضاً جيش الانقاذ في الزحف نحو فلسطين لانقاذها من اليهود. وكان هذا الجيش بقيادة القائد اللبناني فوزي القاوقجي، وقد تنامى هذا الجيش إلى ان اصبح عدده ما يقارب (١٥) ألف جندي عربي [٥٣].

هذا وقد تسارعت الاحداث السياسية والعسكرية وابتدأت الحرب العربية - اليهودية، واظهرت التطورات التباين والفوارق بين العرب واليهود من حيث الدعم الدولي والتخطيط ونوعية السلاح، وقد انتهت الحرب باعلان دولة اسرائيل في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨. وبالرغم من ان العرب حاولوا القتال فيما بعد غير ان النتيجة النهائية كانت لمصلحة القوى الصهيونية. وحول هذا الواقع العربي علق محمد جميل بيهم رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية بالقول:

«مثلما ان قومنا ارتكبوا غلطاً بقبولهم الهدنة، فقد وقعوا في غلط آخر حينما رفضوا تمديد الهدنة. ولعلهم كانوا لا يعرفون مدى الاستعدادات التي قامت بها اسرائيل خلالها، ولعلهم كانوا يغفلون ايضاً عن التبدل الذي حدث اثناءها في اتجاهات بعض الدول العربية. فاستؤنف القتال ولكنه كان هذه المرة على غير ما كان عليه في المرة الأولى: فاسرائيل كانت قد استوفت العدد واستعانت بما لديها من مال وجاه ببعض الاخصائيين الاجانب في الحرب، بينما العرب كانوا قد فقدوا وحدة النيات وامست فلسطين التي جمعت كلمتهم



مصدر التنازع بينهم» [٥٤].

والأمر الملاحظ ان اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية الذي بدأ عام ١٩٤٤ بزخم ونشاط واتحاد للدفاع عن القضية الفلسطينية قد ابلى بلاء حسناً وايجابياً ونشط في لبنان وفي الدول العربية وفي العالم وفي شتى الميادين الاعلامية والسياسية والمالية وبعض العسكرية، غير ان هزيمة لبنان والعرب امام الاسرائيليين في عام ١٩٤٨ وضعت حداً لاماله الكبار في انقاذ فلسطين. وهذه الهزيمة لم تنه دور اتحاد الاحزاب اللبنانية مجتمعة فحسب، بل قضت وانهت دور العديد من الانظمة العربية التي اعتبرتها الشعوب العربية بانها مسؤولة عما آلت اليه الاوضاع وعما انتهت اليه القضية الفلسطينية.

ويمكن القول بان اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية ١٩٤٤ - ١٩٤٨ يعتبر تجربة نضالية لبنانية رائدة، كانت فريدة من نوعها خلال التاريخ اللبناني والعربي، فلم تستطع قضية اخرى سياسية أو عسكرية ان توحد جهود احزاب لبنانية أو عربية متناقضة العقائد والاتجاهات، مثلما استطاعت القضية الفلسطينية ان توحدها.

# مصادر البحث

(١) مجموعة محمد جميل بيهم الوثائقية. انظر ايضاً: مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية (وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية) عام ١٩٤٤ - غير مصنفة. ولا بد من الاشارة إلى اننا لم نعثر مطلقاً على محاضر جلسات اتحاد الاحزاب اللبنانية، علماً ان بعض الاعضاء افادوا إلى ان الاتحاد لم يتخذ محاضر لجلساته، باستثناء قرارات ومذكرات وبيانات كانت ترسل أو تنشر أو تذاع.

(٢) رسالة اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية (بيروت) إلى الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٨ تشرين الأول ( أكتوبر ) ١٩٤٤ ، وهي ضمن مجموعة محمد جميل بيهم الوثائقية. انظر أيضاً: محمد جميل بيهم: فلسطين اندلس الشرق، ص ٢٨ - ٣٠: بيروت - مطبعة صادر - ريحان ١٩٤٦.

(٣) محمد جميل بيهم: واشنطن تعبد الطرق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين، ص ٢٤، ٢٥. بيروت - دار الكتب ١٩٥٤.

(٤) مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية إلى الدول العربية والحليفة في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤، وهي من مجموعة: وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.

(٥) صحيفة صدى الانصار (بيروت) ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤.

(٦) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية إلى الرئيس الاميركي =

= روزفلت (واشنطن) بواسطة الوزير الاميركي المفوض في بيروت (وودسورث) في ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤. مجموعة وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.

(٧) رد اميل الخوري (القدس) إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ وهي من مجموعة: محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، الملف ٦، ص ١٠.

(٨) من رسالة الدكتور عبد الجبار جومرد (باريس) إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية محمد جميل بيهم (بيروت) في ٧ شباط (فبراير) ١٩٤٥. مجموعة: محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، الملف ٦، ص ١٢.

(٩) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية (بيروت) إلى الوزير الاميركي المفوض (بيروت) في ٢٢ اذار (مارس) ١٩٤٥. ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية. ومجموعة وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية.

(١٠) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) إلى أمين سر (عام) جامعة الدول العربية عبد الرحمن عزام (القاهرة) في ٢٨ اذار (مارس) ١٩٤٥. ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية، ومجموعة وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية.

(١١) (C.O.C) cahiers de L'orient contemporain. Vol. II p. 228 — 1945 Ministère de L.Education National (Paris) New York Times (New York) Mars 1954.

(١٢) الشرق (بيروت) ١٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥.

(١٣) من رد فؤاد اباظة رئيس الاتحاد العربي (القاهرة) إلى محمد جميل بيهم رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) في ٢٣ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، الملف ٦، ص ١٤.

(١٤) صحيفة العهد (بيروت) ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥.



(١٥) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء اللبناني عبد الحميد كرامي في ٢٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٥. ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية.

(١٦) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء اللبناني في ١٥ آب (اغسطس) ١٩٤٥. ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية.

(١٧) كميل شمعون: مراحل الاستقلال: لبنان ودول العرب في المؤتمرات الدولية، ص ٢٤٣، بيروت ـ مكتبة صادر ١٩٤٩.

(١٨) من برقية الحزب العربي الفلسطيني (القدس) إلى اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) في ١٦ آب (اغسطس) ١٩٤٥. وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.

(١٩) من رسالة رئيس النجادة أنيس الصغير (بيروت) إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) في ٢١ آب (اغسطس) ١٩٤٥. محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، الملف ٦، ص ٢٦.

(٢٠) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) إلى الجنرال ديغول (باريس) [illegible] ٢٤ آب (اغسطس) ١٩٤٥ [illegible] وثائق اتحاد الاحزاب [illegible]

(٢١) العهد (بيروت) ٢٨ آب (اغسطس) ١٩٤٥

(٢٢) النهار (بيروت) ١٧ اب (اغسطس) ١٩٤٥

(٢٣) رسالة احمد حلمي باشا (القدس) إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية محمد جميل بيهم (بيروت) في ١٥ آب (اغسطس) ١٩٤٥. محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩١١ ـ ١٩٦٥، الملف ٣، ص ٩٨.

(٢٤) من التعميم رقم (٨٠) الصادر عن رئيس الوزراء سامي الصلح في ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥. وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية. انظر ايضاً: النهار، ١٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥، العدد ٣١٩٦.

(٢٥) بريد اليوم (بيروت) ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ .

(٢٦) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء سامي الصلح في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥ ، ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية . .

(٢٧) من مسودة رسالة رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء سامي الصلح (بدون تاريخ) ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية .

(٢٨) رسالة مدير الغرفة التجارية الوطنية (يافا) إلى رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) في ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٥ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ ، الملف ٦ ، ص ٣٧ .

(٢٩) انظر عن جهود وفود غرف تجارة حيفا ويافا في بيروت: النهار، ٩ و ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٥ ، العدد ٣٢١٣، والعدد ٣٢١٥ .

(٣٠) النهار (بيروت) ٣ ـ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ . انظر ايضاً: قرارات اتحاد الاحزاب اللبنانية، ٢تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ مرسلة إلى دول الحلفاء بواسطة الوزراء المفوضين في بيروت ـ وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية .

(٣١) من رسالة اتحاد الاحزاب اللبنانية (بيروت) إلى امين عام جامعة الدول العربية (القاهرة) في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ ـ وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية .

(٣٢) من رسالة مختار مخيش قنصل لبنان في واشنطن إلى محمد جميل بيهم في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ ، الملف ٦ ، ص ٤٥ .

(٣٣) من كتاب اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى الغرف التجارية العربية في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ ـ وثائق اتحاد الاحزاب اللبنانية .

(٣٤) د. خيريه قاسمية : عوني عبد الهادي ـ أوراق خاصة ـ هامش ، ص ١٣٨ . مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٧٤ .



(٣٥) من مذكرة رئيس اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء سامي الصلح في ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ـ ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية .

(٣٦) من مذكرة الوفد اللبناني المقدمة إلى لجنة التحقيق الانجلو ـ اميركية في ٢ آذار (مارس) ١٩٤٦ في القاهرة. محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٠٢ ـ ١٩٦٥ ، الملف ٧ ، نص المذكرة كاملاً ص ١٤١ .

(٣٧) انظر: العهد الجديد (بيروت) ٢٦ آذار (مارس) ١٩٤٦ ، الاهرام (القاهرة) ١٧ اذار (مارس) ١٩٤٦ ، الاخوان المسلمون (القاهرة) ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ .

(٣٨) من رسالة حنا الياس البيطار (بيروت) إلى محمد جميل بيهم (بيروت) في ٥ أيار (مايو) ١٩٤٦ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ ، الملف ٦ ، ص ٦٤ .

(*) ترأس محمد جميل بيهم الوفد المؤلف منه ومن اميل الغوري المنتدب من اللجنة العربية العليا لفلسطين، وكان توجه الوفد إلى اميركا من الاسكندرية في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ وبقي هناك لغاية حزيران (يونيه) ١٩٣٩ .

(٣٩) من رسالة مفتي فلسطين الحاج امين الحسيني (القدس) إلى محمد جميل بيهم (بيروت) في ٥ أيار (مايو) ١٩٤٦ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٣٦ ـ ١٩٦٥ ، الملف ٥ ، ص ٨٨ .

(٤٠) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء سامي الصلح ، في ١٢ ايار (مايو) ١٩٤٦ . ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية .

(٤١) من رد حزب النجادة (بيروت) إلى محمد جميل بيهم (بيروت) في ١٧ أيار (مايو) ١٩٤٦ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧ الملف ٦ ، ص ٦٣

(٤٢) مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية (بيروت) إلى ارنست بيفن وزير الخارجية البريطانية (لندن) في ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧. ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية.

(٤٣) انظر: الشرق (بيروت) ٢١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧.

(٤٤) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى الوزير البريطاني المفوض في بيروت في ٣ آذار (مارس) ١٩٤٧ ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية.

(٤٥) انظر : جواب المفوض البريطاني ( بيروت ) إلى محمد جميل بيهم ( بيروت ) في ٢١ اذار ( مارس ) ١٩٤٧ في رسالة مصنفة تحت الرقم . / 74/ 34 47 .21 st March 1947 . في : محمد جميل بيهم : رسائل ووثائق ١٩١٩ ـ ١٩٦٥ الملف ٢ ، ص ٧٠ .

(٤٦) من مذكرة اتحاد الاحزاب اللبنانية إلى رئيس الوزراء رياض الصلح في ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٧ . ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية.

(٤٧) انظر كتابنا: موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٥٢، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ . مركز الابحاث بيروت ١٩٨٢ .

(٤٨) من برقية امين فرح (فلنت، ميتشغان، الولايات المتحدة) إلى محمد جميل بيهم ( بيروت ) ؟ ١٩٤٧ رسائل ووثائق ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، الملف ٦ ، ص ٧٠ .

(٤٩) من نداء وبيان اتحاد الاحزاب اللبنانية في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ملف اتحاد الاحزاب اللبنانية ـ مجموعة جامعة بيروت العربية الوثائقية.

(٥٠) الشرق (بيروت) ٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ .

(٥١) من رسالة الامير محمد سعيد الجزائري ـ حفيد الامير عبد القادر ـ (دمشق) إلى محمد جميل بيهم (بيروت) في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ . محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٣٦ ـ ١٩٦٥، الملف ٥ ص ١١٠ .



(٥٢) من تقرير اللجنة العسكرية إلى امانة جامعة الدول العربية في ٨ شباط (فبراير) ١٩٤٨ رقم ١١٨ ـ ١٢٧ . عارف العارف: النكبة: نكبة بيت المقدس ١٩٤٧ ـ ١٩٥٥، جـ ١، ص ١٠٢، المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت. ١٩٥٦ ـ ١٩٥٩، صالح صائب الجبوري: محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، ص ٩٦، دار الكتب ـ بيروت ١٩٧٠ .

(٥٣) النهار، ١٤ شباط (فبراير) ١٩٤٨، العدد ٣٨٠٨.

(٥٤) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، جـ ٢، ص ١٨٦ ، دار الكشاف بيروت ١٩٥٠ .

## صدر للمؤلف

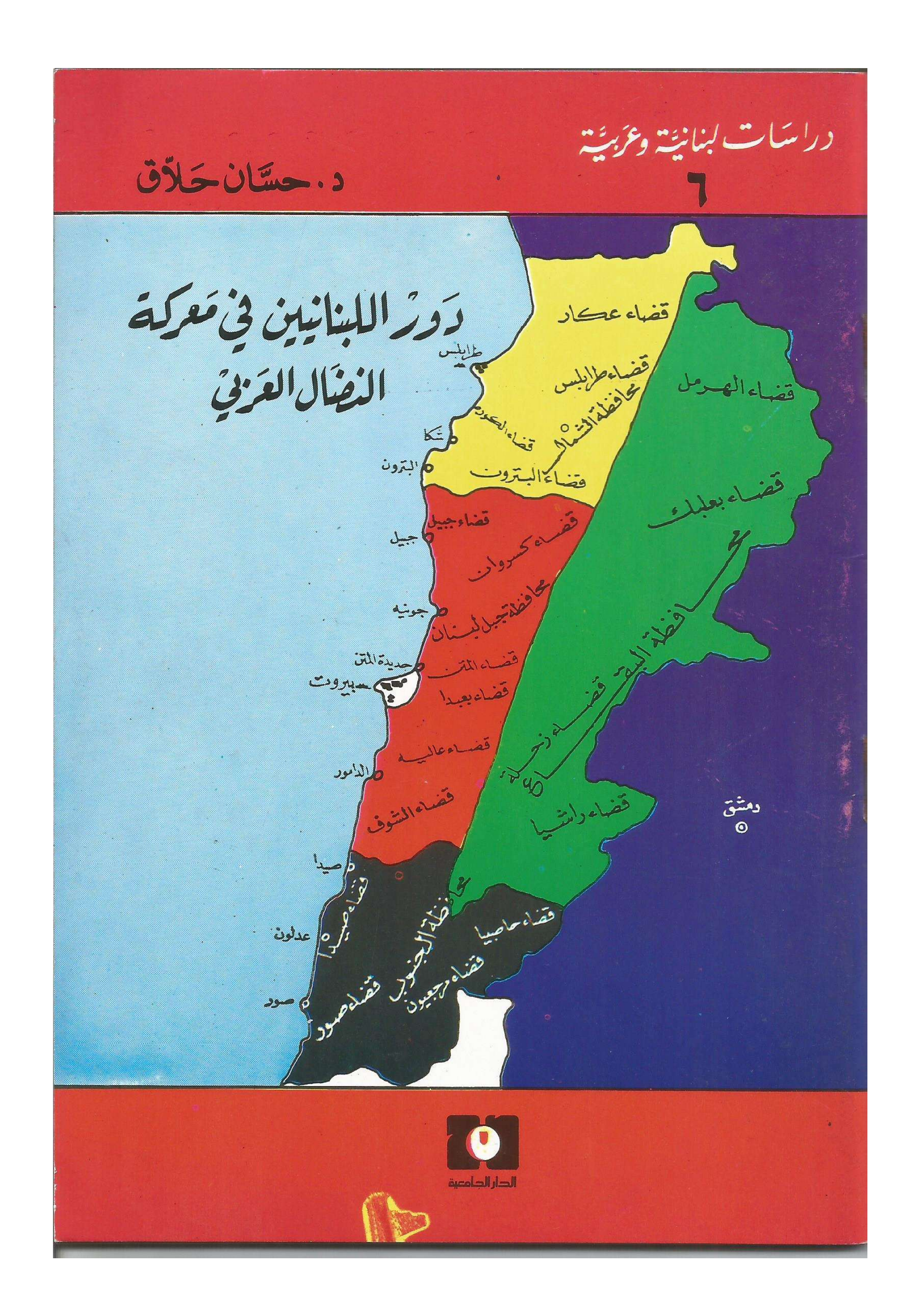
١ - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩.
٢ - دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ - ١٩٠٩.
٣ - موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢.
٤ - دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣.
٥ - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢.
٦ - لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ - أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟
٨ - الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ - الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ - اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ - مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ - أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني - سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.
١٣ - التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية - سجلات المحكمة الشرعية
١٤ - بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ - مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ - العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الأندلس، صقلية، الشام -
١٧ - المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ - ١٩٧٨.
١٨ - مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨.
١٩ - العلّامة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ - ١٩٨٧.
٢٠ - تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ - الادارة المحلية الاسلامية - المحتسب -

### تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:

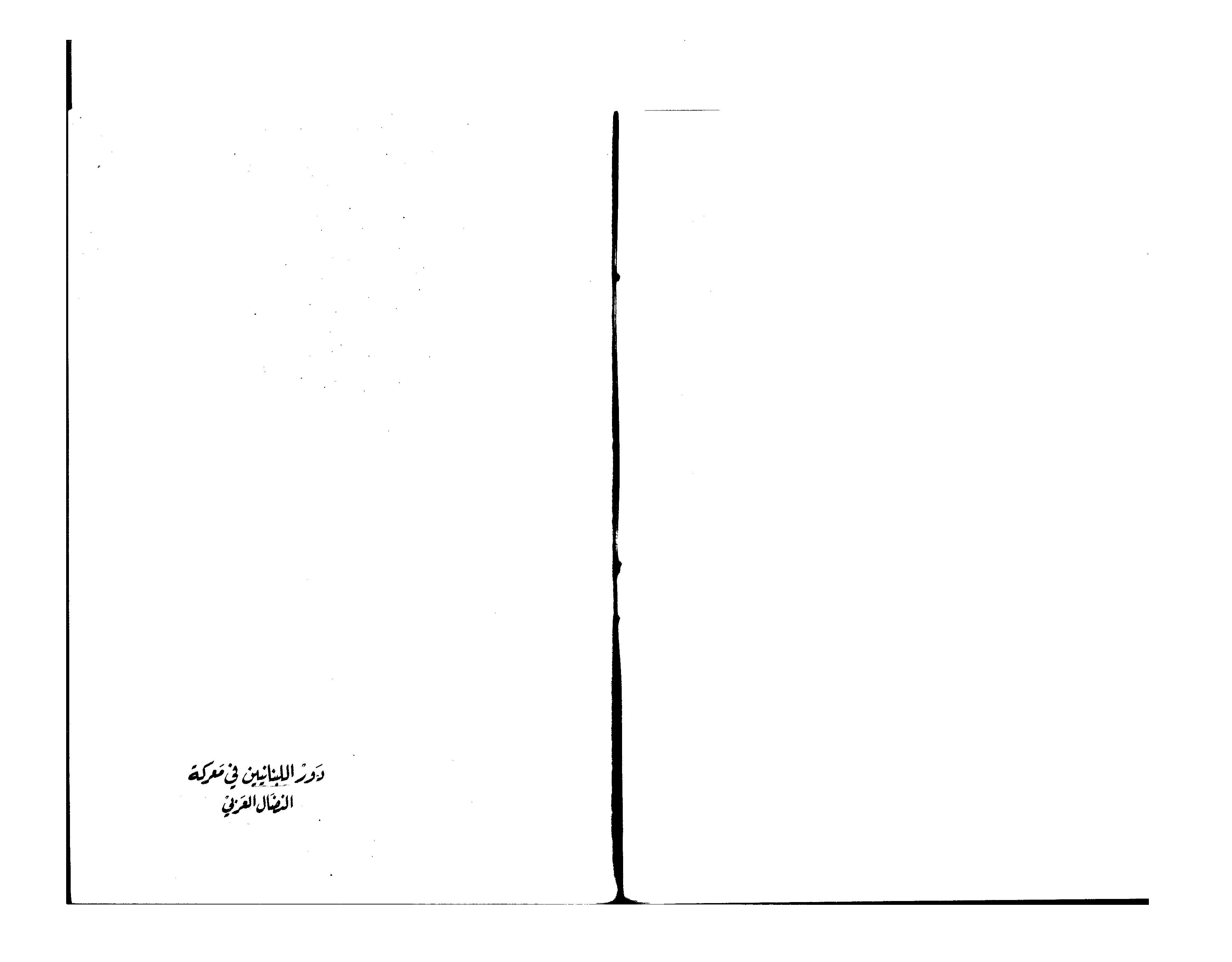

بيروت - تلفون - ٣١٦٣٦٦ - ٣١٧١١٨ - ص. ب - ٩٣٣٣ /١١ - برقياً: ميمكاوي - تلكس:
MAKAWI 43968 LE

الكويت - تلفون - ٢٤٣٥٦٧٧ - ٢٤٢٤٨٨٤ - ص. ب - ٨٢٦٠ - برقيا: الطلبة - FAX: 2426069

الاسكندرية - تلفوز - ٥٩٦٩٥٠٢ - ٥٩٦٠١٢١ - ص. ب - ٢٨٩ - برقياً: ميكاوي - FAX: 5969502



دراسات لبنانية وعربية
٦
د. حسان حلاق
دور اللبنانيين في معركة
النضال العربي
قضاء عكار
طرابلس
قضاء طرابلس
محافظة الشمال
قضاء الهرمل
شكا
البترون
قضاء البترون
قضاء بعلبك
قضاء جبيل
جبيل
قضاء كسروان
جونيه
محافظة جبل لبنان
حديدة المتن
قضاء المتن
بيروت
قضاء بعبدا
قضاء عاليه
الدامور
قضاء الشوف
قضاء راشيا
دمشق
صيدا
عدلون
صور
قضاء صيدا
محافظة الجنوب
قضاء حاصبيا
قضاء مرجعيون
قضاء صور
الدار الجامعية



# دور اللبنانيين في معركة النضال العربي

(١٩٠٨ - ١٩٤٢)

د. حسّان حلاّق



# دور اللبنانيين في معركة النضال العربي

## (١٩٠٨-١٩٤٢)

كانت ولاية بيروت (الجنوبية والشمالية) ومتصرفية جبل لبنان ومختلف المناطق اللبنانية الداخلية في اطار الولايات الشامية في العصر العثماني، وكانت تتأثر بأسلوب أو بآخر بالتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الجارية في المناطق العربية سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي. وكانت بلاد الشام احدى المواقع الهامة والرئيسية التي انطلقت منها فكرة القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان النشاط القوي قد استتبع اتصالات سياسية بين المشتغلين للقومية العربية[1]، وكان المشتغلون والعاملون للفكر القومي ينقسمون الى شعبتين أساسيتين وهما:

١ - العاملون من أجل القضاء على الدولة العثمانية بالتعاون مع الدول الأوروبية، ودون الالتزام بمبادىء القومية واتجاهاتها السياسية.

٢ - العاملون من أجل استمرار الارتباط بالدولة العثمانية على أساس اللامركزية، وذلك توخياً لوصول الولايات العربية الى حقوقها وحقوق السكان القاطنين فيها.

ويلاحظ بأن التطورات السياسية والعسكرية في الدولة العثمانية قد أظهرت الكثير من الحقائق، فبعد قيام ثورة الاتحاد والترقي التركية عام ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٩ تبين للقوميين العرب بأن القوميين الأتراك من الحكام الجدد هم من ألد أعداء القومية العربية والاسلام أيضاً، ذلك لأن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي انما كانوا بغالبيتهم إما من اليهود أو الصهيونيين أو الماسونيين أو الدونمة (اليهود الذين دخلوا الاسلام ظاهراً وبقوا على يهوديتهم سراً)[٢]. وقد تأثرت بيروت وبقية المناطق اللبنانية بهذا الحدث سلباً أو ايجاباً، فقد صدرت صحف جديدة ولاؤها للاتحاديين وأقفلت بعض الصحف الأخرى التي كانت موالية للسلطان عبد الحميد الثاني. وقد تبين فيما بعد للسياسيين ولقادة الفكر تورط الحركة الصهيونية في الانقلاب العثماني، وأشار الى ذلك صراحة صاحب مجلة «المنار» الشيخ السيد رشيد رضا، وصاحب مجلة «المشرق» الأب لويس شيخو وسواهما.

ومن الملاحظ أيضاً بأن اللبنانيين اهتموا منذ فترة مبكرة بأوضاع فلسطين والعالم العربي وشعروا بخطورة ازاحة السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش، بل ان البطريرك الماروني الياس الحويك أوضح لأحد المقربين قائلاً: «لقد عاش لبنان وعاشت طائفتنا المارونية بألف خير وطمأنينة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولا تعرف ماذا تخبىء لنا الأيام من بعده»[٣].



ولا بد في هذا المجال من الاشارة الى أن رضا الصلح نائب ولاية بيروت في مجلس المبعوثان العثماني كان من جملة المعارضين للأطماع الصهيونية في فلسطين، ففي آذار (مارس) ١٩١١ ناقش مجلس المبعوثان النشاط الصهيوني، وقد حدا هذا الموضوع بروحي الخالدي نائب القدس ورضا الصلح الى معارضة سياسة وزير المالية التركية اليهودية جاويد بك. وأوضح رضا الصلح مدى خطورة شراء اليهود للأراضي واقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين، ورغبة اليهود في انشاء حكومة لهم فيها، واستند الى بعض الأدلة ومنها: اتخاذ اليهود علماً خاصاً بهم وطوابع بريدية ونقوداً خاصة. وأكدان هذا كله ليس رواية خيالية، ولذا فقد لفت أنظار الحكومة الى أن تُولي الأمر اهتماماً لأنه مسألة حيوية للبلاد العثمانية[٤].

وفي الوقت الذي كان فيه اللبنانيون يعالجون قضية فلسطين قبل تبلورها بشكل واضح، فانهم في الوقت نفسه لم يتوانوا عن تقديم المساعدات المالية والسياسية والعسكرية والصحافية لاخوانهم في طرابلس الغرب في ليبيا، الذين كانوا يتعرضون لهجمات من الأسطول الايطالي بين ١٩١١ - ١٩١٢، ففي العام ١٩١٢ وبعد تواصل الضربات الايطالية سافر الى مصر عبد الله بيهم وسليم علي سلام من أعيان بيروت واجتمعا في شباط (فبراير) ١٩١٢ بالخديوي عباس حلمي باشا، وطلبا منه باسم الاسلام والوطنية والعروبة أن يسمح ولو سرا للمتطوعين اللبنانيين وللضباط العثمانيين بالمرور الى طرابلس الغرب عبر

الأراضي المصرية، ولتسهل مرور السلاح والمال، وقد استجاب الخديوي لهما ووعدهما خيراً. وكان ثمن مواقف البيروتيين واللبنانيين الذين أعلنوا تأييدهم وامدادهم بالمساعدات لأبناء طرابلس الغرب، ان قام الأسطول الايطالي بمحاصرة مدينة بيروت والأحياء وقصف المرفأ وذلك في أواخر شباط (فبراير) ١٩١٢، حيث قتل بعض الأهالي وأصيب البعض الآخر ودب الرعب والخوف بين السكان، كما أصيبت بيروت بأزمة اقتصادية دعت بعض السكان لنهب بعض المخازن(٥). ولا بد من التأكيد في صدد الحديث عن حرب طرابلس الغرب، بأن الأمير شكيب أرسلان كان في مقدمة الذين حاربوا وجاهدوا ضد الايطاليين، حيث توجه من جبل لبنان الى مصر ومنها الى طرابلس الغرب على رأس جماعة من الشبان المجاهدين ومعهم المؤن والسلاح محمولة على (٦٠٠) جمل. كما قام بدور بارز أيضاً في الحرب البلقانية حيث قام بمساعدة الهلال الأحمر وتوزيع المساعدات التي جمعت من مصر على مسلمي الروملّي(٦).

هذا وفي اطار التوجهات الوحدوية اللبنانية وفي اطار العلاقات مع البلدان العربية، فقد أوضح كولوندر - مدير القنصليّة الفرنسية في بيروت - في تقرير الى بوانكاريه - رئيس الوزراء الفرنسي - في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢ من أن لجنة سرية لبنانية تعمل لتحقيق وحدة سورية - مصرية ومما جاء في التقرير: «... أن قرب مصر والعلاقات الوثيقة الموجودة



بين البلدين لم تعير - حسب رأيي - بشكل ملموس ميول اخواننا في الدين... أما المسلمون العرب... لا بد وأن يتجهوا بكل بساطة نحو مصر أرض الاسلام التي يحكمها أمير من عرقهم ودينهم.. لهذا السبب فان فكرة الانضمام الى بلاد النيل تلقى في سورية اتباعاً كثراً وأنصاراً متحمسين يجهدون في نشر هذه الفكرة التي وان كانت قديمة فانه لم تكن بعد قد تماسكت فعلياً إلا لسنة خلت..» وأضاف القنصل الفرنسي في تقريره بأن اللجنة العاملة لتحقيق الوحدة السورية - المصرية إنما تكوّنت من: سليم علي سلام أحد وجهاء الطائفة الاسلامية في بيروت، ومحمد وأحمد كرد علي صاحبي صحيفة «المقتبس» التي تصدر في دمشق والدكتور عزت الجندي الملحق سابقاً ببعثة الهلال الأحمر المصري الى طرابلس الغرب والذي يجوب سورية منذ شهرين تقريباً في مهمة اعلامية كما يقول البعض وعبد الغني العريسي أحد أصحاب صحيفة «المفيد» العربية الصادرة في بيروت والتي أصبح اسمها بعد تعطيلها «الفتى العربي»، والشيخ السيد رشيد رضا صاحب صحيفة «المنار» الاسلامية التي تصدر في القاهرة».

وأضاف القنصل قائلاً: «... اني أعرف من مصدر أكيد أن زعماء أهم العائلاتببيروت قد اعلنوا عن رغبتهم في توجيه عريضة إلى الحكومة الانجليزية بغية الحصول على ضم سورية إلى مصر، وان المفتي قد ضم صوته إلى صوتهم، إلا أنهم أحجموا عن تنفيذ رغبتهم خشية أن تضمر فرنسا لهم الضغينة

إذا ما قيض لها احتلال البلاد . . ان سورية هي ثمرة ناضجة بمتناول الذي يرغب في قطفها وإذا لم نتنبه فإنه سوف تنفصل عن الأصل العثماني في مستقبل قد يكون قريباً، لتسقط على أرض الجيران»(٧).

ومن الأهمية بمكان أن اللبنانيين لم يشعروا مرة - لا سيما في العهد العثماني وبداية عهد الانتداب الفرنسي - بأنهم يشكلون أمة منفصلة عن الأمة السورية واستطراداً عن الأمة العربية، وقد عكست كتاباتهم وبياناتهم السياسية صحة شعورهم وتوجهاتهم، ومنها المنشورات التي وزعت سراً في بيروت في ١٩١٢ - ١٩١٣، وقد توج أحدها بنداء تحت عنوان «الى الأمة العربية» وجاء في البيان اثارة للروح القومية العربية بمخاطبة العرب بالقول: «بني قومي يا أبناء لغة عدنان وسكان مملكة عمر بن عبد العزيز والمأمون بن هارون . . وطننا في خطر . . كونوا مع الحق ثم لا تخافوا. الله معنا وقوة الأمة لا يستهان بها . .»(٨).

وكان ثمرة نشاط اللبنانيين في بيروت وباريس الدعوة لعقد أول مؤتمر عربي في التاريخ المعاصر. وبالرغم من أن بعض العناصر اللبنانية وسواها قد استغلت فكرة انعقاد المؤتمر لأهداف بعيدة عن غايات المؤتمر والمؤتمرين، غير أن ايمان اللبنانيين من أبناء الساحل والجبل بأنهم جزء من الكيان العربي، كان سبباً لتكوين لجنة عربية مشتركة تضم بعض المسلمين والمسيحيين لبحث واقع الولايات العربية في الدولة



العثمانية، وقد تكونت لجنة المؤتمر بغالبيتها من اللبنانيين مثال: عبد الغني العريسي، محمد محمصاني جميل معلوف، شكري غانم، ندرة مطران، شارل دباس بالاضافة الى عوني عبد الهادي (فلسطين) وجميل مردم بك (دمشق)، ثم أرسلت الولايات مندوبين عنها للمشاركة في المؤتمر الذي عقد في باريس في حزيران (يونيه) ١٩١٣. وكان قد وزع في بيروت نداء تحت عنوان «دعوة الى أبناء الأمة العربية» ولم يقل «دعوة الى أبناء الأمة البيروتية أو اللبنانية» فقد كان التفكير الشمولي العربي رائدهم مع التأكيد على أن بعض العناصر لم تكن مخلصة للعروبة التي نادت بها في تلك الفترة. ومما جاء في الدعوة - البيان «نحن الجالية العربية في باريس قد أوقفتنا مناظرات الجرائد الأوروبية ومغامز الساسة في الأندية العمومية على استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية وأخصّها زهرة الوطن سورية، ولم يبق بين جمهور الناطقين بالضاد من لا يعلم أن ذلك نتيجة سوء الادارة المركزية. . وبعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون فتفد اليه وفود أكابر من البلاد العربية وعقلاء أفاضل من السوريين المهاجرين لمصر وأميركا الجنوبية وأميركا الشمالية والبلاد الأوروبية، فتتمثل فيه الأمة العربية المنتشرة في أقطار الأرض وتحق كلمة التضامن الاجتماعي السياسي لهذه الأمة. . . وبعد فاننا ندعو كل من يخفق قلبه لأمة العرب صغيراً أو كبيراً أن يلبي داعي الوطن، لا سيما أرباب

الزعامات في مقاعد الجمعيات فعليهم نعتمد واليهم نتجه . .»[٩].

هذا وقد وصلت الى لجنة المؤتمر عدة برقيات تأييد من مختلف المناطق العربية، ومنها برقية وصلت من مصر من الدكتور أيوب تابت (لبناني مقيم في القاهرة) في ٢٩ نيسان (ابريل) ١٩١٣ أيد فيها التحالف الإسلامي ـ المسيحي بقوله «. . اني أستبشر خيراً باذن الله هذه المرة وأقول لقد اتفق السوريون وصافح المسلم النصراني على ما به خير الوطن» ورأى تابت أن الخير سيكون عنوان «بلادنا التعسة» ولكنه اشترط لتحقيق ذلك أن يسود بين المؤتمرين الاخاء والاتفاق وعدم التحاسد وعدم التضاغن وعدم التنافس[١٠].

كما وصلت برقيات تأييد من بيروت من نور الدين بيهم وعنبرة سلام ووداد محمصاني وشفيقة غريب ومن وجهاء صيدا: أحمد حلاق وأحمد الصلح وعز الدين زنتوت ومحمد أبو ظهر وتوفيق المجذوب وتوفيق الجوهري وسواهم.

هذا وقد انتهى المؤتمر بعد عدة جلسات الى قرارات تتعلق بضرورة اجراء الاصلاحات في الولايات العربية والتمتع بالحقوق السياسية للعرب واتباع اللامركزية واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية وان تكون الخدمة العسكرية في الولاية نفسها وتحسين مستوى متصرفية جبل لبنان المالي وتأييد مطالب الأرمن في اللامركزية[١١].



وبالرغم من أن بعض اللبنانيين المسيحيين اتصلوا سراً في باريس بوزارة الخارجية الفرنسية لحثها على سيطرة فرنسا على بلاد الشام، غير أن هذا المؤتمر العربي، انما يظهر التوجهات الشمولية العربية لدى بعض اللبنانيين الذين كانوا يعملون من أجل القضايا العربية منذ فترة مبكرة في التاريخ الحديث. وفي اطار الاتصالات السرية بفرنسا أرسل شكري غانم الموالي لفرنسا مذكرة سرية الى «بيشون» وزير الخارجية الفرنسية في ١٧ حزيران (يونيه) ١٩١٣ حول أثر المؤتمر العربي الأول على الوضعين العثماني واللبناني مبدياً رأيه في ضرورة ضم سكان بيروت الى متصرفية جبل لبنان واجراء الاصلاحات، كما شرح تفصيل وجهة نظره حيال موقف المسلمين من التطورات السياسية، وما قاله:

«. . . ان المؤتمر العربي السوري المنعقد في باريس والذي سيكون له وقع كبير في العالم الاسلامي، سوف تترتب عليه نتيجتان فوريتان هما: استعادة فرنسا لود مسلمي الشرق بالذات. هذا الود الذي يتوسله ويعمل من أجله الألمان وحتى الانجليز، اما خفية أو جهاراً، كان من شأنه أن يخلف تأثيراً ايجابياً وملائماً في نفوس مسلمي افريقيا. . أما الهدف الذي ينشده المؤتمر فان المشتركين به أنفسهم يشكون في بلوغه وهم يتوقعون المقاومة التركية ولا يرجون شيئاً من حسن نية القسطنطينية، ومع ذلك فان الأعضاء المسلمين يبذلون هذا الجهد ارضاء لضميرهم وإيفاء بمسؤوليتهم، بعد **فشل هذه**

المحاولة، فانه من المحتمل جداً أنهم سيتجهون الى الانفصال ادارياً عن تركيا وسيجرّون معهم أبناء دينهم والى مشاركة مواطنيهم المسيحيين رأيهم في الانضمام الى لبنان، لأنهم يجدون في ذلك الطريقة الوحيدة لاشباع طموحاتهم الى الحرية والتقدم، وفي الوقت نفسه رغبتهم في عدم الانفصال كلياً عن تركيا اذ أن لبنان واقع تحت سيادتها ومن المقرر أن يبقى كذلك...»[١٢].

والواقع فانه لا بد من التوقف أمام هذا التقرير السري والتعليق عليه في عدة ملاحظات وهي:

١ - صحيح أن المسلمين من ولاية بيروت ومناطق الساحل أرادوا الحرية والتقدم، ولكن أرادوا ذلك في اطار اللامركزية، ولما طالب بعضهم بالاستقلال فانه لم يكن ذلك لاستبدال العثمانيين بالفرنسيين أو بالانجليز أو بالألمان.

٢ - ان المسلمين الوحدويين لم يكونوا يفكرون في أن ينضموا الى متصرفية جبل لبنان لتشكيل دولة مستقلة قائمة بذاتها، ولكن كان من أول أهدافهم تكوين دولة سورية بحدودها الطبيعية من جبال طوروس شمالاً الى رفح والعقبة جنوباً ومن الفرات والخابور حتى الجوف شرقاً الى البحر الأبيض المتوسط غربا.

٣ - ان معاداة المسلمين للحكم العثماني لا سيما بعد عام ١٩٠٨ - ١٩٠٩، انما يعود بشكل رئيسي لأسباب سياسية



وادارية واصلاحية، وكذلك لأسباب قومية ودينية، ذلك لأنه ثبت للمسلمين وللمسيحيين على السواء بأن الطورانيين لا سيما من جماعة الاتحاد والترقي كانوا من المعادين للعروبة وأيضاً للاسلام لأن أكثرهم كانوا من أصل غير تركي وغير اسلامي أيضاً، فأنور باشا مثلاً هو ابن رجل بولندي، وكان جاويد يهودياً من الدونمة وقارصوه من اليهود، الاسبان، وكان طلعت باشا بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ظاهراً، أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسياً والنصف الآخر مجرياً، وكان نسيم روسو ونسيم مازلياح من اليهود ومن العناصر المؤسسة والفعالة في حركة «تركيا الفتاة» والاتحاد والترقي[١٣].

وفي اطار العلاقات اللبنانية - العربية، فان أحداث الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ أشارت الى أن كثيراً من اللبنانيين من ولاية بيروت قد تطوعوا وتبرعوا ليس للدفاع عن السياسة التركية بقدر ما كان للدفاع عن الأرض العربية والاسلامية وكان في مقدمة هؤلاء: فوزي القاوقجي والدكتور محمد خالد (كان لا يزال تلميذاً في الجامعة اليسوعية) ونفر كبير من أبناء الساحل والجبل، وقد سافروا إلى خارج ولاية بيروت للدفاع عن ولايات أخرى مثل مصر وفلسطين وسواهما.

ومن الأهمية بمكان القول أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة العثمانيين ودخول الأمير فيصل الى دمشق واعلان الحكومة العربية فيها عام ١٩١٨، تبين بأنه كان ينظر للبنان

نظرة مميزة عن بقية المناطق والولايات نظراً لتميزه السياسي والديموغرافي، فقد أرسل الأمير سعيد الجزائري باسم الأمير فيصل برقية الى عمر الداعوق رئيس بلدية بيروت معلناً ولادة الحكومة العربية في دمشق طالباً اعلانها في بيروت، وفي الوقت نفسه أعلنت الحكومة العربية في صيدا بواسطة رياض الصلح وفي طرابلس بواسطة عبد الحميد كرامي في حين تحفظ البطريرك الماروني الياس الحويك عن إعلانها في بعبدا، بينما أعلنها بعد فترة حبيب باشا السعد في بعبدا ذاتها.

والحقيقة فان تاريخ العلاقات اللبنانية ـ العربية ليس هو في حقيقته التاريخية علاقة دولة مستقلة تماماً عن تلك الدول العربية، بل هو تعبير عن تاريخ طويل من الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والادارية، وهو امتداد طبيعي وجغرافي بين البقعة أو تلك، وعلى سبيل المثال فان ولاية بيروت الجنوبية كانت تمتد من بيروت جنوباً الى منطقة حنتوس (الأوزاعي) ثم من صيدا جنوباً الى داخل فلسطين فتصل الى نابلس، في حين أن ولاية بيروت الشمالية تمتد من بيروت شمالاً باستثناء المناطق الساحلية مثل جونية وجبيل والبترون.. الى طرابلس ومنها شمالاً الى اللاذقية.

ومثل هذا التداخل كان مطبقاً بالنسبة لولاية حلب وولاية دمشق التي كانت تمتد الى البقاع وهكذا بقية الولايات العربية التي كانت متداخلة مدنها وقراها وسناجقها بعضها بالبعض



الآخر. فاللبنانيون ممن يعتبرون أنفسهم من الوحدويين في العهد العثماني أو في عهد الانتداب الفرنسي، كانوا يرفضون الواقع التقسيمي المصطنع، لأنهم مع بقية الولايات العربية عاشوا في كنف «الدولة الموحدة» العربية أو الاسلامية حوالى (١٣٠٠) عاماً منذ فتح بلاد الشام الى نهاية الحكم العثماني[١٤].
وعلى هذا فلا غرابة أن يتطلع اللبناني الوحدوي أو الوطني للدفاع عن الديار العربية أو الاسلامية سواء في فلسطين أو طرابلس الغرب أو مصر أو العراق أو سوريا. وذلك منذ ما قبل القرن التاسع عشر، الى القرن العشرين. وهذه النظرية الشمولية السياسية والعسكرية نابعة من الايمان بوحدة المصير بين المشرق العربي والمغرب العربي بل وفي الديار الأخرى.

وبعـد مؤتمر فـرساي المنعقـد في باريس ١٩١٩ وبعـد فـرض سيـطرة فـرنسـا وبـريـطانيـا عـام ١٩٢٠ عـلى المنـطقـة بـدأت معركة جديدة وحقبة هامة في تاريخ بلاد الشام. بالاضـافة الى نضال المصريين عـام ١٩١٩ وثورتهم ضـد البريـطانيين بقيـادة الزعيم سعد زغلول بالاضافة الى نضال المغـرب العربي الكبـير ضد الفرنسيين والايطاليين.

والحقيقـة التي لا بد من الاشـارة اليهـا هي أن بـلاد الشـام كـانت قد بـدأت تواجـه الثـالـوث الاستعـاري: البـريـطاني - الفرنسي - الصهيوني وإفرازاتـه في المنطقة. وكان على اللبنانيين مثـلاً مواجهـة الانتداب الفـرنسي في الوقت الـذي لم يتجاهلوا قضايا ومصـير اخوانهم في بقيـة الأقطار العـربية والاسـلامية لا سيـما فلسطين المجـاورة لهم. ويمكن القول أن القـوى اللبنانيـة المخلصة انطلاقاً من وحدة المصير والحياة المشتركة فقـد اعتبرت أن القضية المركـزية في هـذه الفترة تكمن في تحـرير واستقـلال الأقطار العربيـة والاسلاميـة من الاستعمار الأوروبي، فلم تكن

قضايا لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن والعراق ومصر والمغرب منفصلة عن بعضها البعض، كانت كل قضاياها قضية واحدة مركزية، ولم تكن كل قضية على حدة قضية مركزية، ذلك لأن وحدة المصير حتمت هذا التفكير السياسي بعكس ما تحولت اليه الأمور فيما بعد، حيث تحولت كل قضية صغرى كانت أم كبرى إلى قضية مركزية قائمة بحد ذاتها منعزلة عن الأخرى، وكان ذلك مقدمة سياسية واقتصادية وعسكرية لايجاد كيانات مستقلة عن بعضها البعض أدت الى مزيد من التمزق والتشرذم.

ومهما يكن من أمر فانطلاقاً من التوجه الوحدوي شاركت وفود لبنانية في المؤتمر السوري العام الذي أعلن في آذار (مارس) ١٩٢٠ استقلال البلاد السورية ووحدتها بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين، وكان للوفود اللبنانية الأثر البارز في اتخاذ مثل هذه المقررات. وعند تشكيل الحكومة العربية الأولى في دمشق حرص الأمير فيصل بن الشريف حسين على توزير لبناني لمنصب وزير الداخلية وهو رضا الصلح (والد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان فيما بعد). غير أن قرارات المؤتمر السوري العام لم تنفذ بسبب المخططات الفرنسية والبريطانية في المنطقة وبعد الهجوم الذي شنته القوات الفرنسية على الجيش العربي في ميسلون في صيف ١٩٢٠، وبعد إحكام السيطرة الفرنسية على سوريا ذاتها.



ورأت القوى اللبنانية العمل في الداخل والخارج لمحاربة الأطماع الفرنسية والبريطانية والصهيونية، فاجتمع نفر منهم في جنيف لمدة (١٥) يوماً بين آب (اغسطس) وأيلول (سبتمبر) ١٩٢١ وعقدوا هناك المؤتمر السوري ـ الفلسطيني، وقد شارك فيه لبنانيون أمثال: الأمير شكيب أرسلان، رياض الصلح، محمد رشيد رضا، جورج يوسف سالم، أسعد داغر وسليمان كنعان وسواهم، وكان رئيس المؤتمر لبنانياً هو ميشال لطف الله. وقد أكد أسعد داغر في مذكراته مدى الجهود التي بذلها في أوروبا وفد اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني الذي كان مؤلفاً من: الأمير شكيب أرسلان واحسان الجابري ورياض الصلح[١٦]. وطلب المؤتمر في مذكرة أرسلها الى عصبة الأمم تحقيق الاستقلال للبلاد السورية وانهاء الانتداب الفرنسي والبريطاني ورفض المطامع الصهيونية، وطالبت المذكرة بما يلي[١٧]:

١ ـ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسوريا وللبنان ولفلسطين.

٢ ـ الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معاً بحكومة مدنيّة مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب، وأن تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة (فدراسيون).

٣ ـ الغاء الانتداب حالاً.

٤ ـ جلاء الجنود الفرنسيين والانجليز عن سوريا ولبنان وفلسطين.

٥ ـ الغاء تصريح بلفور.

والأمر المثير للانتباه أن أحد اللبنانيين المشاركين في المؤتمر السوري الفلسطيني، وهو سليمان كنعان ـ عضو مجلس ادارة جبل لبنان السابق ـ كان قد أعلن تأييده للقرارات بل وشارك في وضعها، في وقت كان قد نشط سراً في العمل لانشاء وطن قومي مسيحي في لبنان على غرار ما كان يطالب به الصهيونيون في فلسطين. ومما يؤكد ذلك إحدى الوثائق السرية الهامة التي أرسلها كنعان بعد سفره الى لندن الى اللورد كيرزون وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية ـ في ١٧ شباط (فبراير) ١٩٢٢»[١٨].

وفي عام ١٩٢٣ قدمت لجنة المؤتمر السوري ـ الفلسطيني مذكرة باسم المسلمين والمسيحيين الى رئيس المؤتمر الاقتصادي الدولي في جنوى والى رئيس وزراء ايطاليا والى وزير خارجية روسيا، وقد تضمنت المذكرة استياء اللجنة من ممارسات السلطة الفرنسية على الصعيد السياسي والطائفي كما «أن سلطة الاحتلال لا تستطيع الاتكال على العنصر المسيحي لاستعباد اخوانه المسلمين، اذ لم يكن قط للدين الاعتبار الأول في جميع الوقائع التي يعرفها تاريخ سوريا ولبنان.. ان تظاهرات الولاء للفرنسويين التي دبرتها المفوضية العليا عابثة بثقة المسيحيين



وتوزيع الأسلحة على بعض القرى وتنظيم العصابات ضد المسلمين والاعتسافات الأخرى التي ارتكبتها السلطة المحلية، قد خلقت حالة مخيفة غير طبيعية، وأوجدت تراضياً بين المسيحيين، والمسلمين»[١٩].

ولما اندلعت الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ وامتدت الى المناطق اللبنانية لا سيما البقاع وجبل عامل شارك بعض المسيحيين ووقفوا ضد الثوار متحالفين مع الجيش الفرنسي. وفي العام ١٩٢٦ عندما طرح مشروع لسن دستور لبناني رفض المسلمون المشاركة في صياغته إيماناً منهم بضرورة عدم فصل لبنان عن البلاد السورية.

بالاضافة الى أن مشاركة بعض اللبنانيين في المؤتمرات الوحدوية بين ١٩٢٠ ـ ١٩٣٦ ليست هي في حقيقتها سوى اتجاه وحدوي في رفض الكيانات الطائفية والكيانات الصغرى التي يجب أن تذوب في كيان عربي موحد كبير.

والواقع فان المسألة اللبنانية وما تفرع عنها من مشكلات طائفية وسياسية واجتماعية واقتصادية لم تشغل اللبنانيين عن المسألة الفلسطينية نظراً لارتباط المسألتين ارتباطاً وثيقاً ونظراً لتخوف بعض اللبنانيين من أخطار الحركة الصهيونية على لبنان وفلسطين معاً وعلى البلدان العربية الأخرى أيضاً. ولهذا حدد جبران تويني (والد غسان تويني) عام ١٩٢٩ موقفه من الصهيونية واعتبر أن الاسرائيليين في بيروت سعوا لدى الانتداب الفرنسي لتعطيل صحيفته «الأحرار» (أسس فيما بعد

النهار) وذلك «منذ وقفنا الى جانب اخواننا العرب في فلسطين نعمل معهم بالطرق المشروعة على دفع هجمات المعتدين. ان لأولئك الصهيونيين حديثاً نود أن يفقهوه، فهم يقيمون في هذا البلد حيث يستثمرون نشاطهم وأموالهم، ولكل منهم جنسية معروفة وتذكرة نفوس تثبت تابعيته اللبنانية أو السورية أو الفرنسوية أو الانكليزية. فتضامنهم مع اليهود الصهيونيين في فلسطين وعطفهم عليهم انما هو تعصب ديني، ولا يجوز للمتعصب الديني أن يشكو أو يتذمر اذا قوبل بتعصب ديني مثله» وتابع تويني معارضاً الفكرة الصهيونية بقوله: «يزعم الصهيونيون كأن فلسطين كانت وطناً لاسرائيل فهم يريدون العودة الى وطنهم، وهذا زعم يكذبه التاريخ.. فاذا جاز لكل أبناء مذهب أو قوم فتحوا بلاداً ثم تركوها أن يطالبوا بها لكان للمسلمين أن يطالبوا بالأندلس وما فتحوه في جنوبي ايطاليا وفرنسا وشرقي أوروبا. ولكان للانكليز أن يطالبوا بأميركا الشمالية..»[20].

وفي عام ١٩٢٩ حرص رئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية محمد جميل بيهم على ارسال عدة برقيات الى عصبة الأمم في جنيف والى وزارة المستعمرات ووزارة الخارجية البريطانية والى البرلمان البريطاني، وذلك من أجل تأييد وجهة النظر الفلسطينية الوطنية. وقد أرسل الحاج محمد أمين الحسيني - رئيس المجلس الاسلامي الأعلى في القدس - رسالة الى بيهم أشار فيها الى شكر عرب فلسطين لاتحاد الشبيبة الاسلامية ولجميع اللبنانيين



العاملين لمساعدة ومعونة الفلسطينيين وحفظ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.»[21]. كما أرسل الحسيني رسالة أخرى الى اتحاد الشبيبة الاسلامية ذكر فيها أنه «في مثل هذه الظروف تود فلسطين لو ظلت المؤازرة المعنوية من اخوانها أهل سوريا الشمالية قائمة مستمرة، سيما وأن لجنة التحقيق ستصل الى هنا عما قريب، وحينئذ إذا كان من الممكن أن ترفع سوريا الشمالية صوتها الكريم بالعطف على فلسطين، فان ذلك برهن للجنة أن سوريا الجنوبية ليست بعزلة عن شقيقتها القريبة ولا عن شقيقاتها اللواتي هن أبعد قليلاً كالعراق والحجاز ونجد....»[22].

وفي ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ شاركت بعض القوى اللبنانية في المؤتمر العربي الذي عقد في القدس والذي نتج عنه الميثاق العربي القومي الذي تضمن التأكيد على وحدة البلاد العربية ومعارضة الاستعمار ومما جاء في هذا الميثاق العربي «يعرف كل من اشتغل في الحركة العربية أو تتبع سيرها على اختلاف أدوارها، ما كان من الجهود النبيلة التي شرع رجالات العرب ومفكروهم وشبابهم، يقومون بها من عهد طويل ولا سيما بعد اعلان الدستور العثماني لتكوين قضية عربية عامة، غايتها تحقيق كيان عربي مستقل، يشمل الأقطار العربية المختلفة، ويوصل الأمة العربية الى الاستقلال الذي تتمتع به أمم العالم الحرة.. ان الحلفاء ظهروا بمؤامرتهم علناً، بعد أن تواطؤوا عليها سراً، لتجزئة بلاد العرب والكيد للقضية العربية

وهي من كبريات القضايا القومية في العالم وبها تتعلق حياة أمة عظيمة من أعرق أمم العالم في المجد والحضارة والتاريخ، وهي اليوم بنفوسها لا تقل عن سبعين مليوناً تشغل خير بقاع الأرض في آسيا وافريقيا» وجاء في الميثاق العربي فكرة هامة حول عمليات تحجيم واضعاف الأقطار العربية بالقول: «لقد كان أحد مظاهر هذه المؤامرة المنكرة ووسائل انجاحها، اشغال أهل كل قطر من الأقطار العربية عن اخوانهم في الأقطار الأخرى بقضايا اقليمية مصطنعة وأوضاع محلية متقلصة ونكبات متنوعة، حصراً للجهود في دوائر ضيقة ومناطق في البلاد محدودة، وصرفا لها عن الامتداد الى أفق أعلى، تتلاقى في مستواه العام القضية العربية مترابطة الأجزاء، متضافرة الأقسام مع سنن الكونية في نهضات الأمم وارتقاء الشعوب» ثم قرر المؤتمر المبادىء الأساسية التالية[٢٣].

١ - ان البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به.

٢ - توجيه الجهود في كل قطر من الأقطار العربية الى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة، ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية.

٣ - لما كان الاستعمار بجميع أشكاله وصيغه يتنافى كل التنافي مع كرامة الأمة العربية وغاياتها العظمى فان الأمة العربية ترفضه وتقاومه بكل قواها.



هذا وقد ساهم من اللبنانيين في هذا المؤتمر ووقع على ميثاقه كل من: الشيخ محمد رشيد رضا صاحب صحيفة المنار (طرابلس الشام) ابراهيم الخطيب (جبل لبنان) علي ناصر الدين (جبل لبنان) صلاح عثمان بيهم (بيروت) رياض الصلح (صيدا - بيروت) محمد علي بيهم (بيروت) الشيخ مصطفى الغلاييني (بيروت) عوني الكعكي (بيروت) عجاج نويهض (جبل لبنان) أسعد داغر (جبل لبنان). كما ساهم في هذا المؤتمر وشارك فيه شخصيات من سوريا وفلسطين والعراق وشرقي الأردن ومراكش وطرابلس الغرب ومكة المكرمة والحجاز ومصر وأندونيسيا. وكان هؤلاء بدورهم قد شاركوا في حضور المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس في الفترة ذاتها الذي ركز في بحوثه على القضية الفلسطينية والأخطار المحدقة بها وبالأراضي المقدسة.

وكان بعض اللبنانيين عين على لبنان وعين على فلسطين والقضايا العربية والاسلامية الأخرى، لذا أرسل رئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية رسالة الى أحمد حلمي باشا في أيار (مايو) ١٩٣٥ حذره فيها من مغبة تنازع الفلسطينيين فيما بينهم لأنه «لا تقتصر عاقبته على تهديم أركان الجبهات الوطنية العربية المقاومة، بل تتعداها الى تصغير رجالات الوطن بأعين الرعية المكافحة» وهذا ما دعا الشباب المسلم الى عقد جلسة عامة في نادي الجمعية «فقررت هذه الجمعية أن تعلن حزنها وخوفها من مغبة هذا التنازع والتخاصم وأن تتقدم إلى هيئة رشيدة من

الحكمة والحياد تتوسطها لتوحيد الصفوف والتأليف بين القلوب»[٢٤].

ونظراً لهذا الخوف اللبناني من صراعات الأحزاب والقوى السياسية الفلسطينية، فقد تنادت الزعامات الفلسطينية في محاولة منها لانهاء الخلافات والنزاعات الداخلية، وعلى ضوء ذلك أرسل أحمد حلمي باشا رسالة جوابية الى اتحاد الشبيبة الاسلامية شكرها فيها على اهتمامها البالغ بما يجري في فلسطين وحرصها على وحدة الصفوف الفلسطينية ثم قال «ان المسعاة الأولى التي بذلت في سبيل وقف الحملات قد أثمرت ثمراً طيباً، فأخذ الفريقان بالشكيم وحلت بينهما هدنة نرجو أن يعقبها وفاق دائم موطد الأركان، يساعد على توجيه القوى جميعها الى الغاية العليا، غاية الكفاح لانقاذ هذه البقاع المقدسة»[٢٥].

بالاضافة الى ذلك فقد حرص حزب الاستقلال الجمهوري اللبناني على العمل لخدمة القضية الفلسطينية وقد سبق لاعضائه أن اتصلوا في أوروبا باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني ونسقوا معها من أجل القضية السورية الكبرى. كما اعتبر الحزب أن وعد بلفور المعطى لليهود ليس خطراً على فلسطين فحسب وانما هو خطر على لبنان أيضاً. وقد عبر عن ذلك رئيس الحزب عزيز الهاشم في رسالة أرسلها الى أكرم زعيتر في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ بمناسبة ذكرى وعد بلفور، فأخبره فيها صعوبة مشاركة الحزب في هذه الذكرى المشؤومة بسبب ممانعة السلطة الفرنسية في ذهاب وفد



لبناني الى فلسطين ومما جاء في الرسالة: «فاننا وحزب الاستقلال الجمهوري مؤيدون لعرب فلسطين كل التأييد في تظلمهم من جور الوعد المذكور، اذ أننا نعتقد بأنه خطر على كياننا الوطني هنا، كما هو خطر على اخواننا، هناك، ولقد أعربنا عن خطتنا ومشاعرنا هذه بصراحة وجلاء في كل مظاهرة وطنية قمنا بها في الحزب أو خارجه»[٢٦].

ويبدو أن بعض الرموز اللبنانية كانت مؤثرة ليس على الصعيد اللبناني فحسب وانما على الصعيد الفلسطيني والعربي، ولهذا فعندما انفجرت الأوضاع في فلسطين نتيجة أحداث ١٩٣٦ اقترح بشير السعداوي الطرابلس في تموز (يوليه) ١٩٣٦ على السير «لامبسون» تكوين لجنة عربية لحل هذه الاشكالات والتوسط في أحداث فلسطين. واقترح السعداوي أن تضم بعض السوريين والمصريين والعراقيين على أن تضم عن لبنان: الشيخ عبد الحميد كرامي مفتي طرابلس الشام ومحمد جميل بيهم رئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية[٢٧]. وفي الوقت نفسه وجهت جميعة اتحاد الشبيبة الاسلامية في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٣٦ مذكرة الى المندوب السامي البريطاني في القدس ضمنتها استياء الجمعية من السياسة البريطانية ازاء الفلسطينيين، وهددت بأن المسلمين العرب سيقاطعون البضائع الانجليزية «مقاطعة جازمة شاملة» وان الجمعية تأمل من دولة بريطانيا العظمى اعطاء العرب حقهم ودفع الخطر الصهيوني عن وطنهم المقدس[٢٨].

وبالرغم من أن الموقف العام في لبنان كان معادياً للحركة الصهيونية، غير أن بعض اللبنانيين كانوا ممن يؤيديون أهداف الصهيونية في فلسطين والمنطقة، وقد أكد هذا الاتجاه نائب القنصل البريطاني في بيروت «فورلنغ» في تقرير الى وزارة خارجيته في ١٤ آب (أغسطس) ١٩٣٦، كما أشار الى بعض التباين في وجهات النظر بين المسلمين والمسيحيين حول القضية الفلسطينية ومما قاله: «ان وجهات النظر لهاتين الطائفتين هي في الغالب مختلفة بشكل كبير. ان المسيحيين اللبنانيين مهتمون اقتصادياً أكبر مما هو سياسياً بقضية فلسطين، وكلهم منتفعون وبشكل كبير من التدفق اليهودي في فلسطين الذي يزيد من رفاهيتهم. أما فيما يختص بموقف المسلمين فان وجهة نظرهم هي التي تستحق الاهتمام، فهم على الأقل مشتركون مع الفلسطينيين في الدين، غير أن العناصر الشابة منهم سريعة الحماس، حساسة، وغالباً بوطنية ملتهبة، وعندهم تيقّظ مع زيادة الخوف من استمرار تدفق اليهود ورأسمالهم الى داخل فلسطين. . ان العلاقات بين اللبنانيين المسلمين وبين القيادات العربية في فلسطين هي علاقات قوية ليست قائمة فحسب على وحدة جنسهم ودينهم، ولكن لتبادلهم أيضاً شعور التضامن العربي، هذا مع العلم أن الشبان المسلمين اللبنانيين هم أصحاب فكرة قوية ومنتشرة للاتحاد العربي»(٢٩).

ولا بد من الإشارة إلى أن الأوساط الصهيونية كان يهمها كسب التأييد الاسلامي لأهدافها وليس التأييد المسيحي فحسب،



ولهذا فقد انطلق دافيد بن غوريون في صيف ١٩٣٤ و١٩٣٦ الى جنيف والنمسا للاجتماع ببعض الزعامات الاسلامية العاملة في أوروبا من أجل القضايا الاسلامية والعربية. وبالفعل فقد اجتمع بن غوريون مع الأمير شكيب أرسلان واحسان الجابري اللذين رفضا حججه وطروحاته لأنه يريد الحصول على موافقتهما كي يصبح اليهود أكثرية في فلسطين. أما فيما يختص بموسى العلمي أحد زعماء فلسطين فإنه لم يجتمع به(٣٠).

وكانت ثورة الشعب الفلسطيني قد بدأت تتزايد حدتها في عام ١٩٣٦ ضد اليهود والبريطانيين على السواء وبلغ من أثرها وحدتها أن دعت بعض القوى اللبنانية في بيروت وطرابلس وصيدا الى الغاء الاحتفالات الدينية. ومما جاء في البيان الصادر في مدينة طرابلس الشام «. . . قرر الشباب الوطني الغاء الاحتفالات المعتادة ومنع اقامة الزينات، وجعل يوم العيد يوم فلسطين لجمع الاعانات لاخواننا عرب سوريا الجنوبية مؤاساة لهم في مصابهم». وفي بيروت تقدمت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية ببيان مماثل. والحقيقة فان تأييد اللبنانيين للقضية الفلسطينية لم يقتصر على البيانات والمواقف الكلامية، بل ان كثيراً منهم شاركوا مشاركة عملية في الدفاع عن فلسطين في أحداث عام ١٩٣٦ وكان في مقدمة هؤلاء معروف سعد وفوزي القاوقجي والمئات من المتطوعين اللبنانيين الذين أبلو بلاء حسناً في المعارك ضد الصهيونيين.

وفي العام ١٩٣٧ ونتيجة لانقسام اللبنانيين حيال قضية

فلسطين وجه المطران غريغوريوس حجار مطران الروم الكاثوليك في فلسطين نداء الى اللبنانيين جاء فيه: «. . . فأنتم في لبنان مخدوعون في أمر الصهيونية لا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا ولكنه مال باق لليهود. هل تعتقدون أن الشعب الفلسطيني وصل الى هذه الحالة. . الا بعد أن استولى اليأس عليه تماماً ولم يعد يجد منفذاً سلمياً يخرج منه. . . فلو تحققت المملكة اليهودية لقمنا نحن النصارى العرب أيضاً الى البادية وتركنا معابدنا ونواقيسنا والأرض التي وطئها يسوع - له المجد - لليهود الذين قادوه الى جبل الجلجلة. .»[31] وفي ٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ أصدرت «اللجنة العربية العليا» في فلسطين كراساً موجهاً الى اللبنانيين تحت عنوان «بيان وذكرى من فلسطين المصابة الى لبنان المعاق» حذرت فيه اللبنانيين من أن الخطر الصهيوني سينتقل من فلسطين الى لبنان وذلك لاقامة الوطن القومي اليهودي.

ونظراً للأوضاع السائدة في فلسطين وانطلاقاً من مبدأ المصير المشترك، فقد عقد مؤتمر عربي شعبي غير رسمي في بلودان في سوريا في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ اشترك فيه العديد من الزعامات العربية بما فيها القوى اللبنانية وكان الحضور اللبناني كثيفاً في المؤتمر وبعد مناقشات عديدة اتخذ المؤتمر عدة مقررات هامة وهي:

١ - ان فلسطين جزء لا ينفصل عن أجزاء الوطن العربي.



٢ - رفض ومقاومة تقسيم فلسطين ورفض انشاء دولة يهودية فيها.

٣ - الاصرار على طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته، وأن تكون حكومته دستورية، للأقليات فيها ما للأكثريات من الحقوق وفقاً للمبادىء الدستورية العامة.

٤ - تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية عاجلاً واصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود.

٥ - يعلن المؤتمر أن استمرار الصداقة بين الشعبين البريطاني والعربي متوقف على تحقيق المطالب السابقة، وأن اصرار انجلترا على سياستها في فلسطين يرغم العرب أجمع على اتخاذ اتجاهات جديدة. كما أن الائتلاف بين العرب واليهود لا يتم الا على هذه الأسس.

٦ - ارسال هذه القرارات الى عصبة الأمم وغيرها من المراكز ذات الشأن.

والجدير بالذكر أنه كان لموقف القيادات اللبنانية غير الرسمية أثره ودوره البارز في اتجاهات ومقررات المؤتمر، وكان رياض الصلح قد عبر عن موقف لبنان الشعبي بقوله: «اذا كانت كلمات الأقطار تقاس بمساحتها فاني أؤكد لكم أيها السادة أن كلمة لبنان لن تكون طويلة جداً. ولئن كانت مصر القوية تعلن بلسان أحد وزرائها العظام (محمد علي علوبة) ان قيام

دولة يهودية في فلسطين مهدد لها، فلبنان يجب أن يعلم أن هذه الدولة التي تقوم على حدوده ليست الدولة اليهودية الصغيرة، بل تلك الامبراطورية العظمى» ثم تحدث رياض الصلح عن تظاهرات لبنان تأييداً لثورة فلسطين «وكم سجين وجريح وشهيد وقع في صيدا وبنت جبيل وجبل عامل وبيروت وطرابلس وبقية الجهات في سبيل نصرة فلسطين»[٣١].

وكان في مقدمة اللبنانيين المشاركين في مؤتمر بلودان العربي: الأمير شكيب أرسلان، المطران اغناطيوس حريكة، الشيخ أحمد عارف الزين، السيد حسن الأمين، عمر الداعوق، فؤاد سابا، فريد زين الدين، رياض الصلح، جبران تويني، محمد جميل بيهم، فؤاد مفرج، نجيب الصائغ، علي بزي، نصري المعلوف، علي ناصر الدين، صلاح اللبابيدي، قسطنطين يني، أحمد المحمصاني، رامز شوقي، عزيز الهاشم، الشيخ أحمد رضا، وديع البستاني، وعلى هامش المؤتمر عقد مؤتمر آخر في بلودان للشبان القوميين العرب شارك فيه عدد كبير من اللبنانيين في مقدمتهم: كاظم الصلح، تقي الدين الصلح، فريد زين الدين، رامز شوقي، قبولي الذوق، نصري المعلوف، نجيب الصائغ، حسني عطية، شوقي الدندشي، نقولا خير، جميل مكاوي، مختار مخيش، محمود صعب، وميشال فرح. وقد أكد المجتمعون على عروبة فلسطين وعلى المقررات المتخذة في مؤتمر بلودان العام.

ولما وصل الحاج أمين الحسيني الى بيروت هرباً من السلطات



البريطانية في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٧ استقبل استقبالاً حاراً، وضغطت القوى الاسلامية كي لا تقوم فرنسا بتسليمه الى بريطانيا، وقد نقل في حينه الى منزل الدكتور سامي الفاخوري رئيس المجلس الاسلامي ثم ما لبث أن أقام في صربا. وفي ١٢ أيار (مايو) ١٩٣٨ أعربت القوى الاسلامية والوطنية في صيدا عن تأييدها الكامل لقضية فلسطين ولعروبتها وأعلنت استعدادها للسير مع العالم العربي في أية تضحية واجبة لانقاذ فلسطين، وقد جاء ذلك في برقية أرسلت الى قنصل انجلترا في بيروت وقع عليها: معروف سعد، عادل عسيران، علي البزري، أحمد عارف الزين، فؤاد زنتوت، شفيق أبو ظهر، عبد الهادي الصلح، محمد المجذوب، وسواهم من الشخصيات الصيداوية والجنوبية.

وبين ٧ تشرين الأول (أكتوبر) - ١١ منه ١٩٣٨ عقد في القاهرة المؤتمر البرلماني العربي، وقد شارك المجلس النيابي في هذا المؤتمر بوفد مؤلف من النواب: عبد الله اليافي، جبران تويني، محي الدين النصولي، خليل أبو جودة وسليم اللبابيدي، كما حضر المؤتمر ممثلون عن برلمانات مصر وسوريا والعراق ومندوبين عن مسلمي الهند واليمن والصين والمغرب وفلسطين. وقد ألقى النائب اللبناني خليل أبو جودة - وهو ماروني - كلمة لبنان، فأكد أن من دواعي الفخر أن يرتفع في هذا المؤتمر «صوت لبنان العربي للدفاع عن البلد العربي السليب الحق» وقال: «جئنا لنثبت أن اللبنانيين على اختلاف

معاً لأنه «ما دام الانكليز يعلمون، بواسطة جواسيسهم من العرب أنفسهم، أنه لا خوف من زحف العرب لنجدة فلسطين بالمئات والألوف من سوريا والعراق وشرق الأردن والحجاز ونجد، وما دامت انكلترا قابضة على نواصي حكومات كثيرة عربية، فلا أمل أن تعود انكلترا عن مشروعها الخبيث الذي هو تهويد فلسطين شيئاً فشيئاً لتكون مملكة يهودية تحت حماية انكلترة، تدفع بها في صدر العرب وتمنع بوسائلها وأموالها وحدتهم وتفسد أخلاقهم إن كان قد بقي فيها بقية صلاح». ثم أضاف منددا بالعملاء العرب بقوله: «فاعلموا أن انكلترا لم تكن لتمضي هذا المضي في هذا المشروع - بالرغم مما يحيط به من الخسائر والمحاذير ومن غضب المسلمين في الأرض ومن غضب المسيحيين أنفسهم - لو لم يكن هناك لها صنائع بين العرب يروجون سياستها ويبثون اشراكها ويقطعون أوصال العرب في ما بينهم...». وختم مقاله مشيراً إلى مهمة الوفد العربي المالية والإعلامية فأشار إلى أنه «متوجه الآن كل من السيد محمد جميل بيهم والسيد اميل الغوري من نخبة رجالات العرب إلى أميركا لأجل هذا العمل المقدس»[٣٥].

وفي ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ وصل عضوا الوفد العربي إلى الولايات المتحدة الأميركية، وكان في استقبالهما وفد من المغتربين العرب، وقد صرح محمد جميل بيهم بالمناسبة للصحف العربية والأجنبية أن المسلمين واليهود والمسيحيين عاشوا بسلام في فلسطين أربعمائة عام في ظل الأتراك «وأننا



نحن لسنا معادين للسامية ولكن معادون للصهيونية»[٣٦] ثم بدأ الوفد ينشط على كافة الصعد، بين المغتربين العرب وبين الأوساط الأميركية، مما دعا الأمير عادل أرسلان إلى إرسال كتاب إلى صحيفة «البيان» في نيويورك طلب فيه دعم الوفد مشيداً بالفلسطينيين معتبراً أن ثباتهم أدى إلى عدم تقسيم سوريا الطبيعية وإلى عدم جعل لبنان وطناً آخر للصهيونية، مؤكداً أنه يريد أن يعلم كل سوري «أن ثبات عرب فلسطين قد حال دون تقسيم سوريا وفصل شمالها عن جنوبها ودون صيرورة لبنان وطناً للصهيونية»[٣٧].

وبالإضافة إلى نداءات الأميرين شكيب وعادل أرسلان، وجه مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بياناً إلى المهاجرين العرب عبر صحيفة «البيان» بمناسبة وصول الوفد العربي إلى أميركا، شرح فيه ما وصلت إليه فلسطين من تفتت وزيادة عدد المنكوبين وزيادة بؤسهم وشقائهم «ونظراً لتلك الحالة المحزنة المبكية، ونظراً لدخول فصل الشتاء في فلسطين - وفيه تزداد حاجة المنكوبين والمعوزين إلى المعاونة والمساعدة - فقد رأت اللجنة العربية العليا واللجنة المركزية لإعانة المنكوبين أن توفد إليكم حضرة السيدين الفاضلين الأستاذ الكبير محمد جميل بك بيهم، رئيس المجمع العلمي اللبناني، والوطني الغيور الأستاذ اميل أفندي الغوري، سكرتير الحزب العربي الفلسطيني»[٣٨]. ثم طالب المهاجرين بمساعدة المنكوبين ومساعدة فلسطين وأماكنها المقدسة.

وفي هذه الفترة وجه محمد جميل بيهم واميل الغوري نداء إلى المهاجرين العرب حاولا فيه اثارة الروح القومية لديهم وحثهم على تقديم المساعدات للمنكوبين في فلسطين «وحسبنا أن نذكركم بأن قضية فلسطين على مفرقة الطريق بين الحياة والموت فإن عطفتم فالحياة الخالدة وأن تهاونتم فالموت الأكيد، وفي ضياع فلسطين ضياع للقضية العربية بأسرها»[٣٩]. ولما كان من الضروري إبلاغ الأميركيين وجهة النظر العربية من القضية الفلسطينية، فقد أرسل محمد جميل بيهم في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ رسالة إلى الرئيس الأميركي «فرانكلن روزفلت» عرض فيها موضوع فلسطين وشرح له فيها «أن سكان فلسطين الحاليين لايمكنها قط أن تحل المشكل اليهودي، بل أنها تخدم أغراض الاستعمار، إذ تسل القلب من الجسم العربي وتمزق اتحادنا شر ممزق». وأضاف: «أن الصهيونية السياسية قد خلقت مشكلاً يهودياً في آسيا وأفريقيا حيث لم يكن مشكل يهودي من قبل. ثم أن فكرة دولة يهودية تدافع عن يهود العالم في كل البلاد تعود بالضرر الجسيم على أولئك اليهود الذين يريدون أن يعيشوا بسلام وكوطنيين في البلدان التي عطفت عليهم»[٤٠].

وفي ٢٢ كانون الأول (ديسمبر)، أرسل «ولاس ميوري» (Wallace - Murray) - رئيس قسم شؤون الشرق الأدنى في البيت الأبيض - رسالة جوابية إلى محمد جميل بيهم الرئيس الأميركي شكره فيها على آرائه السالفة الذكر مع التشديد على الاهتمام



بالعوامل العديدة التي لها علاقة بالقضية الفلسطينية[٤١].

هذا وقد استمر الوفد العربي في نشاطه السياسي فاجتمع بأركان وزارة الخارجية الأميركية وفي مقدمتهم مستشار الدولة وملحق الشؤون الخارجية، وقد أبدى الوفد موقفه من القضية الفلسطينية. كما بدأ الوفد بزيارة المدن الأميركية فاتجه من نيويورك إلى شيكاغو وديترويت وسواهما، وعقد عدة لقاءات مع المهاجرين العرب، كما عقد عدة لقاءات صحافية أوضح فيها مهمة الوفد وعلاقتها بالقضية الفلسطينية[٤٢]. كما أذاع بيهم خطاباً من راديو نيويورك أعلن فيه استياء العرب من موقف أميركا من قضية فلسطين[٤٣]. ثم واصل الوفد زياراته لبعض المدن الأميركية الأخرى ثم وصل إلى المكسيك وكوبا.

وفي الوقت الذي كان فيه الرئيس اميل اده والبطريرك الماروني وبعض رجال الدين الموارنة يعملون على توطيد علاقاتهم مع الصهيونية ويبدون تأييدهم لأهدافها، كان المطران الكاثوليكي غريغوريوس حجار، مطران عكا وحيفا والناصرة، يبدي تأييده للقضية الفلسطينية، فقد وجه في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ بياناً إلى الجالية العربية وإلى محمد جميل بيهم، أوضح فيه مدى البؤس والشقاء الذي وصل إليه الشعب الفلسطيني ومدى الخراب الذي ألم به. ثم طالب المهاجرين بتقديم المساعدة والعون «فليكن هذا الوصف الموجز نداء لكم يا أهل المروءة والاحسان والرحمة تتجاوب أصداؤه في

جوانب نفوسكم وصدوركم فتخففون بمواساتكم لوعة الملتاعين وويلات المنكوبين الذين سيرتفع من أعماق قلوبهم دعاء مستمر إلى الله من أجلكم»[٤٤]. كما أن انطونيوس بشير، رئيس اساقفة الأرثوذكس في نيويورك وسائر أميركا الشمالية، عمل بجد ونشاط لنصرة القضية الفلسطينية، فقد وجه، في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨، بياناً إلى المهاجرين العرب دعاهم فيه إلى دعم القضية الفلسطينية وإعانة الفلسطينيين ومما قاله: «هذه مرة ثانية ننادي فيها أصحاب المروءة والحمية من أبناء وطننا المحبوب في أميركا الشمالية في سبيل نجدة الملهوفين والمنكوبين في فلسطين المقدسة التي شاء طمع الطامعين وجشع الصهيونية أن تصلب كمعلمها الخالد على صليب الظلم والاستبداد، وأن تسلب حريتها المقدسة إرضاء لفئة جائرة من الحزب الصهيوني المتطرف الذي ضج العالم بأسره، وفي مقدمته عقلاء اليهود أنفسهم من تصلبه وعناده...». ومما قاله أيضاً: «... إن بقية الدول التي تتظاهر بالعطف على اليهود وبمحبة اليهود لم تخرج حتى اليوم في حبها لليهود عن حدود الألفاظ البراقة والمواعيد الفارغة على حساب غيرها، وأنه لمن الظلم الفاضح أن يطرد الإنسان من بيته تحت برقع الدعوى الكاذبة بالرحمة على البؤساء والأشقياء»[٤٥].

ومن الأهمية بمكان أن نذكر دور رجال الدين الموارنة وموقفهم من مهمة الوفد العربي في الولايات المتحدة الأميركية، فقد سبق لمحمد جميل بيهم أن طلب من محمد اسحق



درويش، مدير النادي العربي في القدس، السعي لدى رجال المسيحيين في لبنان وفلسطين أن يصدروا بيانات للمهاجرين العرب لدعم القضية الفلسطينية والايعاز لمواطنيهم بالمساعدة المالية، غير أن محمد اسحق درويش أرسل رسالة إلى بيهم في أميركا في ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ أوضح له فيها تحفظ واعتذار رجال الدين الكاثوليك والموارنة من تلبية الطلب ومما قاله: إن «... سبب تأخري عليكم بالجواب هو اضطرارنا لمراجعة صاحبي الغبطة بطريرك الطائفة المارونية والروم الكاثوليك اللذين اعتذرا عن تلبية طلبكم بحجة أن أميركا خارجة عن منطقة نفوذهما ولا يمكنهما إرسال مثل هذا البيان الذي يحض أبناء طائفيتهما على مد يد المساعدة إلا بعد استئذان قداسة البابا في روما، وهذا أمر يطول شرحه». ثم أضاف قائلاً «فاختصرنا على أخذ بيان من حضرة المطران حجار وهو مرسل طيه، وسنأخذ من المطران المعوشي مطران صور للطائفة المارونية، فإن نجحنا نرسله وإلا فمساعيكم وحسن نيتكم وما تتحلون به من المزايا والخصال الحميدة كافية لنجاح المقصد والغاية إن شاء الله»[٤٦].

ويجدر التعليق على هذه الرسالة ببعض الملاحظات ومنها:

١ ـ من الثابت أن البطريرك الماروني انطون عريضة أقام عدة اتصالات مع الزعماء الصهيونيين وفي مقدمتهم وايزمن. وابدى تأييده في أكثر من مرة للحركة الصهيونية، وتذرعه

وبطريرك الروم الكاثوليك في لبنان بأنهما لا يستطيعان إرسال بيان تأييد ودعم للقضية الفلسطينية إلا بعد استئذان البابا، ما هو إلا مجرد ادعاء.

٢ ـ من الثابت أيضاً أن المطران المعوشي (البطريرك فيما بعد) كان أحد مبعوثي البطريرك عريضة إلى فلسطين للاجتماع بالزعيم الصهيوني وايزمن، ومن أجل ذلك فقد تأكد أن محمد اسحق درويش لم يحصل منه أيضاً على البيان المطلوب الذي كان مفروضاً أن يوجه إلى المهاجرين الموارنة لدعم القضية الفلسطينية.

٣ ـ لقد وجه المطران الكاثوليكي غريغوريوس حجار نداء إلى المهاجرين العرب في أميركا الشمالية حثهم فيه على دعم القضية الفلسطينية دون أن يقدم ذرائع ومبررات بأنه لا يستطيع توجيه بيان قبل استئذان البابا مع العلم أنه كاثوليكي ويتبع مباشرة البابا في روما.

ومهما يكن من أمر فقد استمر الوفد العربي في مساعيه في الولايات المتحدة، وبعد انتهاء مهمته نشر بياناً حدد فيه المبالغ المجموعة من تبرعات المهاجرين العرب، وكانت على وجه الإجمال مبالغ ضئيلة لا تفي بالغرض المطلوب ولا تستطيع مواجهة التمويل الصهيوني الضخم. ويكفي للدلالة على ذلك ما نشرته صحيفة «السمير» عام ١٩٣٨ حول بيان التبرعات بمناسبة ذكرى وعد بلفور، إذ أنها لم تبلغ أكثر من (١٩٤٣)



دولاراً جمعت من العرب في ١٤ ولاية أميركية[٤٧].

والحقيقة أن هذه التطورات تعطينا بعض الدلائل على موقف اللبنانيين من قضية فلسطين في هذه الفترة. أما في ما يختص بموقف الانتداب الفرنسي نفسه، فقد أوضح المفوض السامي الفرنسي غبريال بيو (G. Puaux) في حديث صحافي نشرته الصحيفة اليهودية البيروتية «تجارة الشرق» الصادرة بالفرنسية، رداً على سؤال حول إمكانية قبول مهاجرين من اليهود الألمان في لبنان وسوريا، فأشار بيو بأنه سبق أن اتخذت السلطات الفرنسية تدابير لمنع استيلاء اليهود على الأراضي الواقعة على الحدود، «ونحن هنا للمحافظة على سلامة أراضي البلاد الموضوعة تحت وصايتنا». أما عن قبول اليهود في سوريا ولبنان فقد أيده المفوض السامي وفق شرطين:

١ ـ أن يأتي المهاجرون برؤوس أموالهم لإنشاء مصانع أو أي عمل من شأنه تشغيل اليد العاملة الوطنية.

٢ ـ أن يبتعدوا عن كل فكرة صهيونية ويتحاشوا تمركز الكتل. فاليهود الذين يأتون بمقتضى هذين الشرطين يقبلون على الرحب والسعة.

وأضاف المفوض قائلاً: إن ما يجب علينا منعه هو استعمال الكتل، فاليهود يستطيعون كغيرهم من الأجانب أن يأتوا إلى البلاد الواقعة تحت الانتداب ويتعاطوا فيها أعمالاً تفيدهم وتفيد أهل البلاد التي ينزلون فيها[٤٨].

وعلى هذا يمكن أن نسجل بعض الملاحظات الخاصة بالموقف الفرنسي من النشاط اليهودي في هذه الفترة وهي التالية:

١ - إن الانتداب الفرنسي لا يمنع الهجرة اليهودية إلى لبنان وسوريا أو ممارسة اليهود النشاط الاقتصادي فيها.

٢ - رفض الانتداب الفرنسي سلخ بعض الأراضي الواقعة ضمن وصايته سواء في لبنان أو سوريا، لأن ذلك يقلل من المساحات التي يسيطر عليها، وبالتالي لا يزيد من النفوذ الصهيوني في هذه الأراضي فحسب وإنما يزيد من النفوذ البريطاني أيضاً.

٣ - رفض المفوض السامي الفرنسي مجيء اليهود إلى لبنان على أساس تنفيذ الفكرة الصهيونية كما رفض تجمعهم وتكتلهم جماعات، لأن ذلك يشكل تنفيذاً للفكرة الصهيونية ويشكل خطراً مستقبلياً على الانتداب الفرنسي نفسه.

٤ - ينبغي التشديد على نقطة هامة، وهي أن سلطات الانتداب الفرنسي لم تر مانعاً من إقامة دولة يهودية في فلسطين، ولكن على ألّا يكون ذلك على حساب الأراضي الخاضعة لها باعتبارها «ممتلكات فرنسية».

ومن جهة أخرى يلاحظ أن السلطات الفرنسية، تحت الضغوط الشعبية الوطنية، لم تمانع في قدوم أعضاء اللجنة العربية العليا إلى بيروت في ١٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩



بعد أن أطلقت سراحهم من معتقل سيشيل، وبعد اعترافها بأن هؤلاء الأعضاء المبعدين هم الذين يمثلون فلسطين. وبعد وصول أعضاء اللجنة إلى بيروت رحبت الوفود الشعبية بهم، كما رحبت بهم الصحف اللبنانية أجمل ترحيب. وفي ١٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩، أصدرت اللجنة العربية العليا بياناً من منطقة الزوق المارونية اللبنانية، أشارت فيه إلى رفضها إنشاء الوطن القومي اليهودي ومنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين وطلب الاستقلال[٤٢]. وفي هذه الفترة كانت الاستعدادات العربية والبريطانية نشطة من أجل انعقاد مؤتمر الطاولة المستديرة (Rounde Table) في لندن، غير أنه تبين أن بريطانيا وجهت الدعوة لوفود فلسطين ومصر والسعودية واليمن والعراق والأردن فحسب - وهي البلدان الخاضعة للنفوذ البريطاني، مما دعا نبيه العظمة، رئيس لجنة الدفاع عن فلسطين في سوريا، إلى الإبراق للحكومة البريطانية مستنكراً هذا التجاهل. كما استنكر هذا العمل بعض القوى البيروتية وفي مقدمتها: عمر بيهم، علي سليم سلام، أحمد الداعوق، وجبران تويني، وقد أبرقوا لرئيس الوزراء البريطاني وصحف: «التايمز» و«الدايلي أكسبرس» و«الدايلي ميل» مستنكرين السياسة البريطانية ومما جاء في برقياتهم أن: «السياسات المتصلبة حالت ويا للأسف دون تمثيلنا. جميع البلاد العربية متفقة في أمانيها في الوحدة العربية والاستقلال وفي تصميمها على تخليص فلسطين». كما عقد اجتماع في بيروت في مركز عصبة العمل القومي تقرر فيه

الابـراق للوفود العـربية ولـرئيس الوزراء الـبريطاني والصحف اللندنية احتجاجاً على عدم تمثيل لبنان، مع التأكيد على جهـاد العرب لتحرير فلسطين في إطار الوحدة العربية. وقد وقّـع على تلك الـبرقيـة كـل من: عـلى نـاصر الـدين، قسـطنـطين يني، د. محمـد خـير الــدين النـويــري، فهيم الخـوري، حســين سجعان، وابراهيم شقير[٥٠]. غير أنـه تبين أن اللبنـاني الوحيـد المشارك في مؤتمر الطاولة المستديرة هو نجيب علم الدين الـذي اشترك مع الوفد الأردني بصفة مساعـد لرئيس الـوزراء الأردني توفيق أبو الهدى.

هذا وقد أوضـح تشمبرلن (Chamberlin)، رئيس الـوزراء الـبريطاني، للمـوفدين العـرب في المؤتمر في ٧ شبـاط (فـبرايـر) ١٩٣٩ أن بـريطانيـا مضطرة لتـأييد الصهيـونيـة بسبب تـأييـد الولايات المتحدة الأميركيـة لها وعـطفها عليهـا، ولأن بريـطانيا كانت بحاجة إلى المساعدات الأميركيـة، ثم أصدرت بـريطانيـا في أيار (مايو) ١٩٣٩ الكتاب الأبيض الثالث (White Paper) الــذي نص عـلى إلغــاء تقسيم فلسـطين وتحــديــد الهجــرة اليهودية[٥١]. وقد أثار هذا الكتاب كلاً من العرب واليهـود معاً وأحدث اضطرابـات بين الفئتـين، ونتيجة لـذلك فقـد أعلنت المفوضية البريطانية أن الانتداب البريطاني في فلسطين غير فعال بسبب وقوع المشكلات بين العرب واليهود[٥٢].

هـذا ويمكن الربط بـين الصراع الفلسطيني ـ اليهـودي وبين



استمرار الأطماع الصهيـونية في فلسـطين وجنوب لبنـان، إذ أن الدكتور حاييم وايزمن عـرض على بـريطانيـا مساعـدات ماليـة يهودية مقابل التخلي عن فلسطين وعن قسم من جنـوب لبنان، غير أن رئيس الوزراء الجديد تشرشـل (Churchill) حاول نفي تجاوب بريـطانيا مـع هذه المـطالب[٥٣]. والحقيقة أن مقـترحات وايزمن سبق أن طرحت آراء شبيهة لها في آذار (مارس) ١٩١٩ عندما اعتبر أن جبل لبنان جزء من فلسطين[٥٤]. كما أن مناحيم بيغن (M. Begin) أكـد تطلعـات الصهيـونيـين نحـو «أرض ـ اسرائيل التاريخيـة» اعتماداً عـلى ما ورد في التـوراة إذ أن هدف اليهود «يجب أن يكون جليـاً وذلك بـأن تعود أرض ـ اسرائيـل أرضـاً لنا مـرة أخرى، وهـذا ما كـان هدفنـا أولاً وأخيراً»[٥٥]. ولـذلك فقـد حرص اليهـود بـين عـامي ١٩٣٦ و١٩٣٩ عـلى تنظيم القوة المسلحة التي كانت سبباً في احتكاك المـدن العربيـة بالمستعمرات اليهودية[٥٦].

وفي هـذه الفترة الحـرجة من تـاريخ فلسـطين وقف الشعب اللبناني والسوري موقفاً مؤيداً لعرب فلسطين سواء من النـاحية المادية أو المعنوية أو من ناحية الاشتراك في العمليات العسكرية المنـاهضة لليهـود، الأمر الـذي دعا القـائد الفلسـطيني يوسف سعيـد أبو درة، القـائـد العـام لجيش الثـورة في فلسـطين، إلى تـوجيه بيـان شكـر لأهـالي لبنـان وسـوريـا شكـرهم فيـه عـلى مساندتهم للشعب الفلسطيني. وقد جاء في البيان الصادر في ٧ آذار (مـارس) ١٩٣٩ ما يـلي: «... تحية الإسـلام والعروبـة

أهديها إلى اخواني سكان سوريا ولبنان الكرام . . . وذلك لموقفهم النبيل تجاه اخوانهم في الدين والرابطة القومية العربية أهالي فلسطين وتجاه . . . الحاج أمين الحسيني. ولا عجب ولا غرابة فإن اخوّتهم الإسلامية . . . جعلت اخواننا سكان سوريا ولبنان، خصوصاً أهالي بيروت، يبذلون الجهد في مساعدة إخوانهم في الدين والعروبة . . .»(٥٧).

والواقع أنه كلما شهدت الحركة الوطنية الفلسطينية تقدماً ملموساً إذا بها تتعرض لضغوط سياسية وعسكرية من قبل بريطانيا والقوى الدولية، على غرار ما حدث في أواخر صيف ١٩٣٩ بحجة انفجار الحرب العالمية الثانية باكتساح ألمانيا لبولندا في الأول من أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، بينما شهدت الفترة ذاتها تطوراً ملحوظاً للهجرة اليهودية إلى فلسطين(٥٨). كما شهدت حركة بيع الأراضي تطوراً ليس في فلسطين فحسب وإنما في لبنان أيضاً، فقد ابتاع اليهود قرية المنارة اللبنانية الجنوبية المطلة على جبل عامل، كما سبق لليهود أن حصلوا على امتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها منذ عام ١٩٣٥ وكان هذا الامتياز لبعض وجهاء بيروت وساستها وقد قبضوا تعويضاً لتنازلهم عن هذه الأراضي ما يقارب الـ ١٩٢ ألف ليرة فلسطينية من شركة تطوير الأراضي في فلسطين، وهي شركة يهودية لعبت دوراً بارزاً في الاستيلاء على الأراضي العربية التي كان يملكها اقطاعيون كبار في فلسطين. وكان



الغرض من شراء قرية المنارة وامتياز الحولة السيطرة على حوض الأردن والليطاني معاً(٥٩).

وبين عامي ١٩٤٠ و١٩٤١، استمرت محاولات الشركات الصهيونية في شراء الأراضي الفلسطينية واللبنانية على السواء، فقد تقدمت بعض الشركات الصهيونية بطلب إلى الحكومة اللبنانية في عام ١٩٤١ للحصول على امتياز لاستغلال المياه اللبنانية، غير أن الحكومة اللبنانية تخوفت من المطامع الصهيونية، فلم تبدِ تجاوباً مع هذا الطلب. ويلاحظ أن الشركات الصهيونية لم تكتف بإبداء مطامعها في جنوب لبنان، بل أنها حاولت أن تمد نشاطها إلى داخل البلاد في عهد رئيس الجمهورية، ألفرد نقاش (١٩٤١ - ١٩٤٣)، فقد أبدت استعدادها لشراء شركة ترابة شكا في شمال البلاد، وقد أبدى البطريرك الماروني انطوان عريضة تجاوبه مع هذا الموضوع، وبفضله أصبح لليهود أفضلية في عملية الشراء. ولكن الشيخ بشارة الخوري وشقيقه المتمول فؤاد الخوري ورجل الأعمال درويش الحداد اجتمعوا بالبطريرك وأوضحوا له الأضرار التي تنزل بالبلاد إذا تم بيع شركة الترابة لليهود. وكان ذلك الموقف مقدمة لبيع الشركة لمؤسسة سويسرية، وكانت يومذاك بداية حرب بشارة الخوري لليهود والصهيونية(٦٠).

وفي الوقت الذي كان فيه بعض الوجهاء اللبنانيين يبيعون أراضيهم لليهود في جنوب لبنان وفي فلسطين، حرص بعض

الوجهاء الآخرين على عدم بيع أية قطعة من ممتلكاتهم، وكان في مقدمة هؤلاء الأمير خالد شهاب[*] الذي رفض عروضاً صهيونية لشراء أراضيه في منطقة حاصبيا في جنوب لبنان، ورفض ثروات ضخمة كان اليهود قد عرضوها عليه مقابل تنازله عن بعض أراضيه ومقابل الكف عن مقاومة توسعهم في تلك المنطقة[٦١]. وقد اشتهر عن الرجل فيما بعد قول الناس عنه أنه «جاع وما باع».

أما الفئات الشعبية المؤيدة لقضية فلسطين، فقد استمرت على موقفها، فبعد دخول قوات الحلفاء إلى بيروت في تموز (يوليو) ١٩٤١، تقدمت في شوارع بيروت في عرض عسكري، وكانت بينها فرقة عسكرية من المتطوعين الفلسطينيين، فتقدم نفر من الشباب البيروتي ووضعوا صورة للحاج أمين الحسيني أمام الفرقة الفلسطينية، وبدأوا يرددون «الحاج أمين سيف الدين، الحاج أمين سيف الدين» مما أثار حمية الجنود الفلسطينيين الذين بدأوا يرددون الشعارات ذاتها. وعلى أثر ذلك اتصل سامي الصلح بعبد الرحمن العدو ومحمد طبارة وبقية الشبان وشكرهم على مبادرتهم بالنيابة عن المفتي الحسيني[٦٢].

ويظهر أن هزيمة الفرنسيين الفيشيين الموالين للألمان في سوريا ولبنان شجعت الرسميين اللبنانيين على إبداء تأييدهم لحرية اليهود في البلاد، بعد أن حاولت السلطة الفرنسية



الفيشية إدخال إجراءات ضد يهود لبنان، رغم معارضة البطريرك الماروني ومفتي الجمهورية، وبعد دخول الحلفاء إلى لبنان زار رئيس الجمهورية الفرد نقاش كنيس اليهود في بيروت في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ ووعدهم بإعطائهم مشاركة كاملة في مسؤوليات الحكومة[٦٣]. بينما كان اليهود يستغلون هذا العطف الإنساني عليهم في البلاد العربية، وقاموا أحياناً بالإشادة بالخليفة العادل عمر بن الخطاب ونشروا آراءه وخطبه بحق غير المسلمين[٦٤].

وعلى الرغم من هذا الانفراج في موقف لبنان بعد هزيمة الألمان في المنطقة، فإن المفتي أمين الحسيني كان مؤيداً للألمان، وقد سافر إلى ألمانيا لمتابعة تطورات القضية الفلسطينية وللحصول على تأييد ألماني، وقد جرت محادثات بين المفتي وهتلر، فأكد المفتي أن العرب والألمان أصدقاء طبيعيون بحكم محاربتهم لأعداء ثلاثة: بريطانيا والشيوعية واليهود، ثم عرض عليه تجنيد فرقة عربية، كما طالبه بإصدار تصريح ألماني يشير إلى استقلال العرب وحريتهم ووحدتهم وتصفية الوطن القومي اليهودي في فلسطين، غير أن هتلر لم يبد تجاوباً مع هذا الطلب ومما قاله للمفتي: «... إن مجرد وعد لن تكون له أية قيمة... أن كسبنا الحرب هو وحده الذي سيؤذن بدق ساعة التحرير التي هي أيضاً ساعة تحقيق أماني العرب». ثم برر هتلر رفضه لإصدار التصريح بالخوف من رد فعل فرنسا، كما أن ذلك سيؤدي إلى مضاعفة تأييد العناصر المؤيدة لديغول في

فرنسا، وسيلي ذلك صعوبات في غربي أوروبا «مما يحول بيننا وبين حشد كل قواتنا في الشرق». ثم أكد هتلر معارضته للوطن القومي اليهودي في فلسطين، ووعد المفتي بإصدار مثل هذا التأكيد والتصريح الألمانيين حين تصل القوات الألمانية إلى جنوب القوقاز. وفي هذه الفترة كان هناك مشروع ألماني - ايطالي يؤيد الوحدة العربية، سيما إذا وافق الزعماء العرب وفي مقدمتهم المفتي واسحق درويش (فلسطين) ورشيد عالي الكيلاني وناجي شوكت ود. محمد حسن سلمان (العراق) وعبد الكريم السبعاوي (لبنان) والأمير عادل أرسلان (سوريا) ود. أبو غنيمة (شرق الأردن)[٦٥].

وفي هذه الفترة لم تكن الولايات المتحدة الأميركية بعيدة عن جو المنافسة الدولية، سيما وأنها باتت طرفاً أساسياً في الحرب العالمية الثانية. وقد رأت الحركة الصهيونية أن التدخل الأميركي في الحرب سيأتي أخيراً لصالحها، لأنه سيهيء فرصة لهزيمة ألمانيا وهتلر عدو اليهود. وبعد انتصار القائد الأميركي ايزنهاور في شمالي أفريقيا، أواخر ١٩٤٢، استطاع الصهيونيون أن يؤمنوا تواقيع ٦٢ عضواً من أعضاء مجلس الشيوخ في واشنطن و١٨١ عضواً من أعضاء مجلس النواب على مذكرة موجهة إلى الرئيس روزفلت وحكومته يطالبون فيها بالحرص على السياسة التقليدية للولايات المتحدة الأميركية بشأن قيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين[٦٦]. وكان الصهيونيون قد عقدوا في ٦ أيار (مايو) ١٩٤٢ مؤتمراً في نيويورك عرف باسم «مؤتمر بلتمور» (Bilt-more Congress) استمر حتى ١٢ أيار (مايو) اتخذوا فيه مقررات طالبوا فيها بتأسيس «كومنولث يهودي» (Jewish Commonwealth) في فلسطين. يكون جزءاً لا يتجزأ من العالم الديمقراطي الجديد، كما رفض المؤتمر مقررات الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٣٩، وطالب بالسماح بالهجرة اليهودية بالاشراف على الهجرة إلى فلسطين والتوطن فيها، وانشاء قوة عسكرية معترف بها لها رايتها الخاصة[٦٧].

والجدير بالذكر أن مرحلة ما بعد عام ١٩٤٢ شهدت تطوراً سياسياً وعسكرياً على صعيد القضية الفلسطينية وعلى صعيد موقف لبنان من هذه القضية التي ستتطور بعد استقلال لبنان عام ١٩٤٣.

## مصادر البحث

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر: ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، ص ٣١١ - ٣٨٥، ٣٤٠ - ٣٤١.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن طائفة الدونمة أنظر كتاب: حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ (الفصل الخامس).

(٣) أوراق لبنانية، آب (اغسطس) ١٩٥٦، جـ ٨، ص ٣٧٩.

(٤) أنظر: حسان حلاق: موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢ - ص ١٧، مركز الأبحاث - بيروت ١٩٨٢، د. خيرية قاسمية: النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨، ص ٩١ - ٩٢ مركز الأبحاث - المقطم، ١٨ آذار (مارس) ١٩١١، المقتبس، ٢٦ آذار (مارس) ١٩١١. وتقرير وزارة الخارجية البريطانية الى السفير البريطاني في الاستانة:

F.O. to Lowther, 7 March 1911, No. 311/1245/3103 - 371.

(٥) أنظر كتابنا: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨، ص ١٢٦ - ١٢٨، (تحقيق وتعليق ودراسة) الدار الجامعية - بيروت ١٩٨٢.

(٦) أنظر: الأمير شكيب أرسلان: سيرة ذاتية، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩. أنظر أيضاً مقالنا في اطار شخصيات اسلامية وطنية مقال: الأمير شكيب أرسلان: رجل العروبة والاسلام، اللواء، أول كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢، العدد ٣٨٧٢.

(٧) من تقرير القنصل كولوندر الى رئيس الوزراء الفرنسي ووزير الخارجية الفرنسية بوانكاريه، في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٢.

A. Ismail, Documents Diplomatiques et consulaires - consulat de Beyrouth, vol. 19, pp. 109 - 114, Beyrouth 1979.

أنظر أيضاً: د. وجيه كوثراني: بلاد الشام - قراءة في الوثائق - ص ٢٥٣ - ٢٥٨، معهد الانماء العربي - بيروت ١٩٨٠، حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨، ص ٢٣٦ - ٢٤١.

(٨) من بيان «الى الأمة العربية - الوطن في خطر» بيروت ١٩١٢ - ١٩١٣ (بدون تاريخ واضح) وموقع عليه اسم (ميم) أنظر كتابنا: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣ (قسم الوثائق) دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٥. (والبيان ينشر للمرة الأولى وهو أصل مطبوع).

(٩) زين زين: نشوء القومية العربية، ص ١٧٠ - ١٧١، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٩.

(١٠) كتاب المؤتمر العربي الأول في باريس الصادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر - مطبوع عام ١٣٣١ - ١٩١٣، ص ١٩٢.

(١١) أنظر نص القرارات كاملة في كتابنا: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣، ص ٣٦ - ٣٧.

(١٢) د. وجيه كوثراني: بلاد الشام، ص ٢٨١ - ٢٨٥.

(١٣) W. Seton - Watson; The Rise of Notionality in the Balkans. pp. 135 - 136, London 1917.

أنظر كتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ - ١٩٠٩، ص ٦١، الدار الجامعية - بيروت (بدون تاريخ - علماً أنه طبع عام ١٩٨٢).

(١٤) أنظر كتابنا: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦ - مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية ١٩٢٠ - ١٩٣٦، ص ١٥، الدار الجامعية - بيروت ١٩٨٣.

(١٥) أنظر: ساطع الحصري: يوم ميسلون، ص٢٦٤، محمد جميل بيهم:



سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢، ص ١١٢ - ١١٩، عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث، ص ٥٣٨ - ٥٤١، وجيه علم الدين، العهود المتعلقة بالوطن العربي، ص ١٧٤ - ١٧٧.

(١٦) أسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية، ص ١٥٥. أنظر أيضاً: نداء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري - الفلسطيني الى سكان سوريا وفلسطين ولبنان والمهجر في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢١ في: أوراق أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩، ص ١٧٠ - ١٧١.

(١٧) أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، المجلد ٣، ص ٥٤، ٢٦٤ - ٢٨٦.

(١٨) من وثائق وزارة الخارجية البريطانية (وهي الآن من مجموعة المؤلف ومصنفة على النحو التالي:

S. Kanaan to lord curzon. 17 Feb. 1922, No. E 1888 in

(١٩) أمين سعيد، المصدر السابق، م ٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٦.

(٢٠) جبران تويني: في وضح النهار - مقالات مختارة - ص ٣٦ - ٣٩.

(٢١) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩١١ - ١٩٦٥، ص ٣٦، (وثائق غير منشورة).

(٢٢) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩١١ - ١٩٦٥، الملف ٣، ص ٣٢، (وثائق غير منشورة).

(٢٣) د. عبد الرحمن الكيالي: المراحل في الانتداب الفرنسي وفي نضالنا الوطني ١٩٢٦ - ١٩٣٩، جـ ١، ص ١٤٥ - ١٤٨. أنظر أيضاً كتابنا: مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦ مع نصوص ووثائق المؤتمرات الوحدوية ١٩٢٠ - ١٩٣٦، ص ١٦٩ - ١٧٢.

(٢٤) صحيفة الحرية، ٢٤ أيار (مايو) ١٩٣٥.

(٢٥) من محفوظات محمد جميل بيهم الوثائقية - غير مصنفة.

(٢٦) عادل الصلح: حزب الاستقلال الجمهوري، ص ٦٠ أنظر أيضاً نص الرسالة في: أوراق أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩، ص ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢٧) من وثائق وزارة الخارجية البريطانية:

Sir Lampson to F.O.5 july 1936, No. E 5190, in F.O. 371/20023/31.

(٢٨) من ملف اتحاد الشبيبة الاسلامية، مجموعة جامعة بيروت العربية.

(٢٩) من وثائق وزارة الخارجية البريطانية.

Furlong to Eden. 14 August 1936. No. E 5415. in F.O. 371/20025/31.

(٣٠) H.M. Sachar: Europe Leaves the Middle East 1936 - 1954. p.86.

أنظر أيضاً: أوراق أكرم زعيتر، المصدر السابق، ص ٣٨٧ - ٣٨٨.

(٣١) وثائق الهيئة العربية العليا لفلسطين (أوراق عزة دروزة) ملف ب/٢ وثيقة رقم (٢٣). (أرشيف مركز الأبحاث السابق في بيروت). أنظر أيضاً: محمد جميل بيهم: فلسطين أندلس الشرق ١٩١٧ - ١٩٤٥ ص ١٧٣.

(٣٢) يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ - ١٩٣٩، ص ٣٢٠، ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٣٣) وثائق الهيئة العربية العليا، ملف ب.٢/ وثيقة رقم (٧).

(٣٥) الأمير شكيب أرسلان، «فلسطينكم أيها العرب»، نقلاً عن صحيفة البيان، ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨.

(٣٦) The New York Times. 12 Nov. 1938 للمزيد من التفصيلات عن أخبار الوفد أنظر: البيان، ١٠ و١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨؛ السمير، ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر)؛ مرآة الغرب، ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨؛ السائح ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨.

(٣٧) من نداء الأمير عادل أرسلان إلى الجالية السورية في المهجر. نقلاً عن: البيان، ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨، العدد ٥٠٤.

(٣٨) من بيان المفتي محمد أمين الحسيني إلى المهاجرين العرب. نقلاً عن: البيان، ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨، العدد ٥٠٤.



(٣٩) من نداء محمد جميل بيهم واميل الغوري إلى المهاجرين العرب، نقلاً عن: الهدى ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨.

(٤٠) من رسالة محمد جميل بيهم إلى الرئيس روزفلت في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨. من مجموعة محمد جميل بيهم الوثائقية، أنظر أيضاً: اليوم، ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩؛ بيروت، ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٩؛ صدى الأنصار، ١٥ آذار (مارس) ١٩٤٤؛ أنظر أيضاً: محمد جميل بيهم، واشنطن تعبد الطريق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين، ص ١٣، ومحمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها، ج ٢، ص ١٢٣.

(٤١) من جواب و. ميراي إلى محمد جميل بيهم في ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨. من مجموعة محمد جميل بيهم الوثائقية.

(٤٢) أنظر: The Detroit News, 23 Nov 1938; مرآة الغرب ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨، News - Dispatch Michigan city indi - an, 7 Dec. 1938. ،١٩٣٨

(٤٣) بيروت، ١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨.

(٤٤) من بيان المطران غريغوريوس حجار إلى الجالية العربية في أميركا الشمالية في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨. من محفوظات محمد جميل بيهم الوثائقية.

(٤٥) من بيان انطونيوس بشير رئيس أساقفة الأرثوذكس في نيويورك إلى المهاجرين العرب في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ نقلاً عن: السمير ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨.

(٤٦) من رسالة محمد اسحق درويش (بيروت) إلى محمد جميل بيهم (نيويورك) في ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨. محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق ١٩٢٦ - ١٩٦٥، الملف ٥، ص ٣٦.

(٤٧) السمير، ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨.

(٤٨) من تصريح للمفوض السامي الفرنسي في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨. نقلاً عن: وثائق الهيئة العربية العليا، ملف ب VIII/٢، وثيقة رقم (IV).

(٤٩) أنظر نص البيان في: من أوراق أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩، ص ٥٧١ - ٥٧٢.

(٥٠) أنظر: يوميات أكرم زعيتر: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ - ١٩٣٩، ص ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٥١) A. Williams; Britain and France in The Middle East and North AFrica, p.28. أنظر نص الكتاب الأبيض في: The Middle East and North Africa, pp. 59 - 60.

(٥٢) Kisch; Palestine Diary, p. 450.

(٥٣) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج ٢ ص ١٢٥ و١٢٦.

(٥٤) Esco Foundation for Palestine, Vol. I, pp. 161 - 162.

(٥٥) يوميات مناحيم بيغن، ص ٦٧؛ M. Begin; The Revolt.

(٥٦) M. Wurmbrand et C . Roth; Le Peuple Juif, p . 424.

(٥٧) من بيان يوسف سعيد أبو درة (فلسطين) إلى أهالي سورية ولبنان في ٧ آذار (مارس) ١٩٣٩. نقلاً عن: من أوراق أكرم زعيتر: وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٣٩، ص ٦٣٦.

(٥٨) حول الهجرة اليهودية إلى فلسطين أنظر: M . Wurmbrand...; op . cit., 426 - 430.

(٥٩) أنظر: خليل أبو رجيلي، المطامع الاسرائيلية في الأراضي اللبنانية، شؤون فلسطينية، تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٢، ص ٧٨.

(٦٠) تذكارات اسكندر الرياشي، قبل وبعد ١٩١٨ - ٩٤١ ، ص ٢٦٢.

* الأمير خالد شهاب (؟ - ١٩٧٨) إحدى الشخصيات اللبنانية البارزة، تولى رئاسة الوزارة لأول مرة في عهد الرئيس اميل اده، ثم أصبح في عام ١٩٥١ وزير لبنان المفوض في الأردن، وتولى فيما بعد الوزارة أكثر من مرة.

(٦١) تذكارات اسكندر الرياشي، المصدر نفسه ص ١٩٢.

(٦٢) عبد الرحمن بكداش العدو، أيام من الحياة، ص ٦١ و٦٢.

(٦٣) علي ابراهيم عبده، خيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، ص ١٢١، نقلاً عن: J .B . Schechtman; on wings of Eagles, p. 169.



(٦٤) Kisch; Palestine Diary, p . 268.

(٦٥) أنظر: لوكاز هيرزويز، المانيا الهتلرية والمشرق العربي، تعريب: أحمد عبد الرحيم مصطفى، ص ٢٨٨ و٢٨٩، ٢٩٢.

(٦٦) محمد جميل بيهم: قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور، ج ٢، ص ١٢٦ و١٢٧.

(٦٧) للمزيد من التفصيلات عن مؤتمر بلتيمور أنظر: Esco Foundation for Palestine, vol . II, p . 1084; Ben Gurion Look Back, pp . 122 - 113, A. Williams; op . cit, p . 85, Arab World, 11 May 1942, Jewish Agency, Book of Documents, p . 226, أنظر أيضاً مقررات بلتيمور في: The Middle East and North Africa, pp . 60 - 61.

## صدر للمؤلف

١ - موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩.
٢ - دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ - ١٩٠٩.
٣ - موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٥٢.
٤ - دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ - ١٩٤٣.
٥ - التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ - ١٩٥٢.
٦ - لبنان من الفينيقية الى العروبة.
٧ - أية ثقافة، أية سياسة للتعايش في لبنان؟.
٨ - الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني وللاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان.
٩ - الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان.
١٠ - اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية.
١١ - مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٢ - أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني - سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.
١٣ - التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية - سجلات المحكمة الشرعية
١٤ - بيروت المحروسة في العهد العثماني.
١٥ - مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.
١٦ - العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - الأندلس، صقلية، الشام -.
١٧ - المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ - ١٩٧٨.
١٨ - مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ - ١٩٣٨.
١٩ - العلاّمة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ - ١٩٨٧.
٢٠ - تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.
٢١ - الادارة المحلية الاسلامية - المحتسب -.

تطلب هذه المؤلفات من العناوين التالية:


بيروت - تلفون - ٣١٦٣٦٦ - ٣١٧١١٨ - ص. ب - ٩٣٣٣ /١١ - برقياً: ميمكاوي - تلكس:
MAKAWI 43968 LE
الكويت - تلفون - ٢٤٣٥٦٧٧ - ٢٤٢٤٨٨٤ - ص. ب - ٨٢٦٠ - برقيا: الطّلبة - FAX: 2426069
الاسكندرية - تلفوز - ٥٩٦٩٥٠٢ - ٥٩٦٠١٢١ - ص. ب - ٢٨٩ - برقياً: ميكاوي - FAX: 5969502